ديوان

عبد الله بن رواحة

ودراسة في سيرته وشعره

د. وليد قصاب
الأستاذ المساعد في كلية الآداب - جامعة الرياض

دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

ديوان عبد الله بن رواحة

ودراسة في سيرته وشعره

د. وليد قصاب
الأستاذ المساعد في كلية الآداب - جامعة الرياض

دار العلوم
للطباعة والنشر
١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م

الطبعة الأولى
١٤٠١هـ = ١٩٨١م

الإهْـداء

إلى المجاهدين الشرفاء في كلِّ مكان . .
إلى الصابرين المرابطين على كلّ ثغر من ثغورِ المسلمين . .
وإلى السائرين على درب الفضيلةِ والتقوى والإيمانِ
من أجلِ أن تسودَ في الأرضِ كلمةُ الحقِّ والعدلِ والكرامةِ . .
أقدِّمُ عبدَ الله بنَ رَوَاحَةِ ـ مجاهدَ السيفِ والقلمِ ـ قُدْوَةً فُضْلَى ، ونموذجاً أمثلَ ، في طريق الجهاد . .

وليد

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم . والحمد له على ما منّ به علينا من نعمة الدين ، وحلاوة الإيمان ، وبرد اليقين وبعدُ . .

فهذا بحث عن عبد الله بن رواحة ، الشاعر المخضرم ، والمجاهد الفارس المؤمن ، تناول الحديث عن سيرته وشعره ، بعد أن جمعت هذا الشعر من مصادره المختلفة حتى صنعت منه ديواناً .

وعهدي بهذا البحث عهد بعيد ؛ فقد كنا نقرأ سيرة ابن رواحة منذ كنا صغاراً ، ونعجب بما تفيض به هذه الشخصية من صدق الإيمان ، وروعة التضحية والبذل والفداء ، ثم رأيت في شعره ـ على قلته ـ صورة لهذا الصدق ، وصفحة مما يَعْمُرُ هذا القلبَ المؤمن من حرارة وانفعال ويقين ، فزاد إعجابي به ، وألفيت أنْ ليس للرجل ديوان مطبوع ولا مخطوط يضم شعره ، وأن هذا الشعر متناثر هنا وهناك من صفحات المصادر العربية القديمة ، فعزمت على جمعه من مظانّه المختلفة ، وسار العمل في ذلك وئيداً ، فلم أكن متفرغاً لهذا العمل تفرغاً كاملاً ، ولم يكن هو وكدي الأول ، بل كنت مشغولاً عنه بأشياء كثيرة ، فكنت كلما وقع لي شيء من شعره ـ في أثناء أعمالي الأخرى ـ جمعته وضممته إلى ما عندي . ولما أوشكت أن أفرغ من عملي هذا سمعت أن أحد الباحثين وهو الدكتور حسن باجودة قد سبقني إلى ذلك ، فتوقفت عما كنت آخذاً فيه ، وانصرفت عنه عهداً طويلاً . ولم يكن قد أتيح لي وقتذاك أن أطّلع على عمل الدكتور با جودة أو أرى ما صنع ، ثم أتيح لي ذلك فيما بعدُ ، فنظرت فيه ، فتجدد

عندي العزم على إخراج هذا العمل ؛ فقد فات الباحثَ ـ على جلالة ما بذل من جهد ـ شيءٌ لا بأس به من شعر ابن رواحة ، كما تراءى لي أن هذا الشعر المجموع لم يأخذ حظاً كافياً من الدراسة والتوثيق والتحقيق ، فأعدت النظر فيما بين يديَّ من أوراق وبطاقات حول الموضوع ، فلملمت شتاتها في هذه الدراسة .

وعبدالله بن رواحة أنصاريّ خزرجيّ فارس ، وهو شاعر حجازيّ يثربيّ مخضرم . عاش في الجاهلية ، وشارك قومه في أيامهم ووقائعهم وحروبهم ، فكان سيداً من ساداتهم ، وفارساً من فرسانهم ، دافع عنهم بشعره وسيفه . ثم جاء الإسلام فكان من السابقين الأولين إليه ، وسرعان ما جند هذه الطاقة في خدمة الإسلام ، فكان جندياً مخلصاً من جنوده الباسلين الشجعان ، وصحابياً جليلاً من أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ شهد معه جميع الغزوات والوقائع ، لم يتخلف عن واحدة منها ، ثم ختم حياته بأشرف ما تُختَم به حياةُ مصابر مؤمن ؛ اصطفاه الله شهيداً في يوم مؤتة .

وكان إلى جانب جهاد السيف مجاهداً بالقلم في سبيل دين الله ؛ فهو من شعراء الرسول ـ عليه السلام ـ الذين دافعوا عن الإسلام والمسلمين ، ووقفوا شعرهم على خدمته ، والردّ على خصومه .

وقد قسمنا هذا البحث إلى قسمين . فأما القسم الأول فكان دراسة في سيرة ابن رواحة وشعره ، وقد جاء هذا القسم في ثلاثة فصول : كان الفصل الأول منها عرضاً لسيرته في الجاهلية والإسلام ، وكان الفصل الثاني دراسة لشعره الجاهلي ، وهو كله شعر نقائض بينه وبين شعراء الأوس ، وخاصة قيس بن الخطيم ، وتناولنا في الفصل الثالث شعره الإسلامي والطوابع الفنية التي اتسم بها .

وأما القسم الثاني فهو الديوان الذي جمعته من المصادر والمظانّ المختلفة ، وقد عرضت بين يديْ الديوان تمهيداً تحدثت فيه عن مصادر شعر ابن رواحة ، وعن منهج الجمع والتحقيق الذي اتبعته .

وقد حاولتْ هذه الدراسة أن تبرز الأثر الذي تركه الإسلام في شعر عبدالله ، وأن تُظهر مدى تأثره بروح الدين الجديد وأفكاره وقيمه ، فأظهرت أن ابن رواحة

بعد نموذجاً طيباً بين الشعراء المخضرمين لما حدث للشعر العربي من تطور ، وما داخله من خيوط جديدة كانت من أثر الإسلام وتعاليمه .

وأما سيرته الإسلامية فهي صورة عطرة ، وصفحة مشرقة يبدو فيها عبدالله ذلك المؤمن التقي الورع ، الذي أخلص لله ولرسوله قولاً وفعلاً وعملاً ، فكان نموذجاً فاضلاً للمسلم الصادق ، والمجاهد المصابر ، والفارس البطل .

ولا أدعي ـ بطبيعة الحال ـ أني قد أحطت بكل المظانّ التي يمكن أن يكون فيها شيء من شعر الرجل ؛ فهذا قول لا يستطيع أحد أن يتصدى له ؛ فما أكثر هذا التراث ، وما أغزر مادته ، وما أوفر مداخله ومخارجه ! ولكنه جهد دام أكثر من عشر سنوات استعرضت خلالها كل ما يمكن أن يكون مظنة لوجود شيء يتصل بابن رواحة من قريب أو بعيد ، وعدت من هذه الجولة بحصيلة من شعره بلغت مئتين وسبعة عشر بيتاً ، منها اثنان وخمسون بيتاً جاهلياً ، ومئة وخمسة وستون بيتاً إسلامياً ، وقد أوضحت من خلال هذه الدراسة قلة هذا الشعر الذي وصل إلينا ، وأنه أقلّ بكثير مما كانت العصور القديمة تعرف لابن رواحة ، مما يدل على ضياع جزء وافر منه ، وقد عللت لذلك ، وأوضحت الأسباب التي كانت وراء قلة شعره الإسلامي بصورة خاصة .

أسأل الله أن ينفع بهذا الجهد المتواضع ، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وهو الهادي والموفق إلى سواء السبيل . .

الرياض: ٢٣ ربيع الأول ١٤٠١ هـ
٢٩ كانون الثاني ١٩٨٠ م

القسم الأوّل

سيرة ابن رواحة وشعره

الفصل الأوّل

سيرته

يثرب : بيئة الشاعر

ولد عبد الله بن رواحة في يثرب ، وفيها نشأ وشبّ وترعرع ، فهي بيئته التي تربى على أرضها ، وتركت في نفسه من الأثر والتوجيه ما يمكن أن تتركه البيئة عادة في نفس أبنائها ، ومن أجل ذلك كنا محتاجين الى وقفة عاجلة نجوس خلالها يثرب ، ونتعرف على بعض الملامح والمعالم والسمات .

يثرب إحدى مدن الحجاز ، وهو سلسلة جبال السّراة الممتدة في شبه جزيرة العرب من الجنوب إلى الشمال ، وسمي حجازاً لأنه يحجز بين نجد شرقاً وتهامة غرباً ، ويحجز بين اليمن جنوباً والشام شمالاً ، وأشهر بلاده مكة والمدينة (يثرب) والطائف . واسم يثرب هو الاسم الذي كان يوجد في الكتابات المعينية القديمة ؛ وذلك لأنها كانت من المواضع التي استقرت بها جاليات من معين ، ثم صارت لسبأ بعد زوال مملكة معين . وللباحثين في سبب تسميتها بهذا الاسم آراءٌ كثيرة . جاء في معجم البلدان لياقوت الحموي : قال أبو القاسم الزجاجي : يثرب مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم ، سميت بذلك لأن أول من سكنها عند التفرق يثرب بن يمانية . . . بن إرم بن سام بن نوح[1] .

وأما اسم المدينة فيبدو أنه مأخوذ من الكلمة الآرامية « مدينتا » التي تعني الحمى ، وقد سماها بذلك اليهود حين كثروا فيها ، وفضلوا هذه التسمية على (يثرب) وأما الرأي القائل بأن اسم المدينة مختصر من عبارة (مدينة الرسول) أو

---

(١) معجم البلدان : ٤/ ٤٢٤ .

أنها سميت بذلك لصيرورتها مدينة الرسول فيبدو أنه رأي متأخر . .[1] . وإذن فالمرجح أن اليهود ـ وهم يتكلمون الآرامية ـ قد استبدلوا باسمها القديم (يثرب) الاسم الآرامي (مدينتا) ولما جاء الإسلام أخذتْ الاسم العربي (المدينة) .

وتاريخ هذه المدينة في الجاهلية القديمة غامض مجهول وذلك لانعدام الوثائق التاريخية عن نشأتها ، ولكن المؤرخين يرون أن أول من سكنها هم جرهم والعمالقة ، وهم الذين أقاموا فيها الدور والآطام ، واتخذوا الضياع . يقول ياقوت : « كان أول من زرع بالمدينة ، واتخذ بها النخل ، وعمر بها الدور والآطام ، واتخذ بها الضياع العماليق ، وهم بنو عملاق بن أرْفَخْشَد بن سام بن نوح ، وإلى ذلك يشير حسان بن ثابت وهو يقص خبر رحيل قومه من اليمن إلى يثرب بقوله :

فأُنْبِئُوا بعادٍ وأشياعِها ... ثمودَ وبعضِ بقايا إرَمْ
بيثربَ قد شيَّدوا في النخيل ... حُصوناً ، ودَجَّنَ فيها النَّعَمْ[2]

وإن صحّ هذا فإنه يعني أن اليهود لم يكونوا أول من سكن يثرب كما يرى بعضهم . يقول البلاذري : « كان بيثرب قوم من جرهم ، وبقية من العماليق قد اتخذوا النخل والزرع ، فأقام اليهود معهم وخالطوهم ، فلم يزالوا يكثرون ، وتقل جرهم والعماليق حتى نفوهم عن يثرب ، واستولوا عليها ، وصارت عمارتها ومراعيها لهم »[3] .

وأما التاريخ الواضح للمدينة فيبدأ من نزول اليهود بها . على أن أول ذلك العهد مختلف فيه كثيراً ، فبعضهم يربطه بخروج بني إسرائيل من مصر في نحو سنة ١٢٢٥ ق.م . ويرجعه بعضهم إلى طرد اليهود على يد بُخْتَنَصَّر بين سنتيْ ٥٨٨ ـ ٥٨٦ ق . م[4] فهل يكون معنى هذا أن يهود يثرب ليسوا عرباً ، وإنما هم من يهود مصر أو فلسطين ؟ يقول فيليب حتي : « إذا اعتبرنا الأسماء التي تسمى

---

(١) تاريخ العرب لفيليب حتي : /١٤٦
(٢) معجم البلدان : ١/ ٤٢٤ .
(٣) فتوح البلدان : ٢١ .
(٤) تاريخ العرب : ١/ ٤٨ .

بها يهود يثرب والألفاظ الآرامية التي كانوا يستعملونها في حياتهم الزراعية ؛ فإننا نحكم أنهم كانوا في الأكثر من القبائل العربية والآرامية التي تهوّدت ، مع أنه ربما كانت نواة هذه الجماعة إسرائيلية صرفة هجرت فلسطين في القرن الأول للميلاد على أثر الفتح الروماني »(1) ويقول (أو . ليري) في الكلام عن يهود المدينة : « نستطيع أن نستنتج أن بني قينقاع كانت من عرب الشمال أو الأيدوميين، أما قريظة والنضير فكانتا من اليهود الذين نزلوا بلاد العرب بعد تخريب معبدهم سنة ٧٠ ق. م ، أو بعد فتك هارديان بيهود يهوذا سنة ١٣٢ ق.م . والأساطير التي وردت عن نزول الآراميين في بلاد العرب قد تدل على آثار هجرة عرب الشمال أو الأيدوميين إلى يثرب قبل هجرة يهود فلسطين »(٢).

ويبدو أن الأحوال القاسية التي أحاطت باليهود في بلادهم هي التي اضطرتهم إلى الهجرة ، وقد يمموا شطر الجزيرة العربية لأنه ـ على حد تعبير ولفنسون ـ لا شيء أحب إلى قلوب الذين تركوا بلادهم هرباً من العسف والطغيان من العيش في بلاد ترفرف فوقها أعلام الحرية ، فقصدوا شبه الجزيرة يلتمسون الحياة البدوية الحرة حيث تحول رمالها الشاسعة بين جند الرومان أعدائهم وبين التوغل فيها ، أو ربما مال بهم إليها أن فيها بني عمومتهم من ولد إسماعيل عليه السلام ، وأن بلادهم قد ضاقت بهم بعد أن زاد عددهم زيادة مطردة ، فأصبحوا أكثر من أربعة ملايين(٣) .

وهكذا نزل اليهود المدينة ، وغلبوا على أمرها ، فأقاموا الحصون والآطام على قمم الجبال لرد الأعراب الذين قد يغيرون عليهم ، أو لصد قبائل أخرى من اليهود قد تغزوهم ، واشتغلوا أول الأمر بالزراعة ، ثم أخذ الاهتمام بالزراعة يتحول إلى اتجاه اقتصادي أثر في العنصر اليهودي كله من القرن الرابع وما تلاه(٤) . وقد تركز هذا النشاط الاقتصادي في التجارة بنوع خاص ؛ إذ كانت من أهم مرافق الحياة عند يهود الحجاز حتى صار لبعضهم فيها شهرة عظيمة ، كما

---

(١) المرجع السابق : ١/ ١٤٦ .
(٢) الجزيرة العربية قبل الإسلام : ١٧٣ ـ ١٧٤ .
(٣) تاريخ اليهود في بلاد العرب : ٩ .
(٤) الجزيرة العربية قبل الإسلام : ١٧٤ .

اهتموا بالصناعة فكان لبني قينقاع شهرة خاصة فيها ، فقد مهروا في الصياغة وصنع الجواهر والسلاح والدروع وسائر الآلات الحديدية .

ولكن الحال ما لبث أن تغير في المدينة بقدوم قوم من عرب اليمن هاجروا إليها بعد انهيار سد مأرب ، وهم بنو قَيْلة : الأوسُ والخزرج الذين يرجعون في نسبهم إلى قبائل الأزد القحطانية ، وقد نزلوا أول الأمر في يثرب ، فأقاموا خارجها ، وبقوا ردحاً من الزمن تحت سيطرة اليهود ، يحيون الأرض الموات ويزرعونها ، ثم يؤدون الخراج لليهود . وفي ذلك يقول شاعرهم :

نؤدي الخَرْجَ بعد خراجِ كسرى وخرجِ بني قُرَيْظَةَ والنضيرِ[1]

وقد لبثوا دهراً في عسر شديد ، وكلما ازدادوا فقراً ازداد اليهود غنى وثروة وضياعاً ، ولكنهم استطاعوا بعد ذلك أن يغلبوا على المدينة ، ويذكر المؤرخون سبب ذلك فيقولون إنه كان على المدينة ملك يهودي يسمى الفِطْيَوْن ، وكان مستبداً ظالماً ، أساء السيرة واستباح الأعراض ، حتى امتدت عينه إلى امرأة من الخزرج هي أخت مالك بن العجلان ، وكان سيداً عظيماً ، فقتله مالك[2] ، ومضى يستصرخ قومه في الشام واليمن ، فاستجابوا له ، وهبوا لصريخه ، فقمعوا اليهود وأذلوهم ، وصار الأوس والخزرج من يومئذٍ أعز أهل المدينة ، ودانت اليهود لسيادتهم[3] . فانصرفوا لشؤونهم ، فعرفوا الحرف النبطية ، وبدؤوا يمتهنون الزراعة ، وصاروا زراعاً تقيم كل جماعة منهم في بقعة مسوّرة ، واقتنوا الأموال والضياع والقصور ، وأضافوا إلى الحصون التي ورثوها عن اليهود حصوناً جديدة ، فصار بالمدينة وأرباضها منها الشيء الكثير ، وكانت من الظواهر المميزة ليثرب .

وكانت الخزرج أعظم قبائل المدينة قاطبة وأقواها « وكانت العرب إنما

(١) مسالك الممالك : ١٢٨ .

(٢) شك بعض الباحثين في هذه القصة ، انظر على سبيل المثال كتاب دراسات في تاريخ العرب القديم : ٤٦٣- ٤٦٩ .

(٣) معجم البلدان : ٧ / ٤٢٤ .

يسمون ذلك الحي من الأنصار بالخزرج : خزرجها وأوسها »[1] ولهذا تولت الزعامة ، ونزلت في وسط المدينة بينما نزلت قبائل الأوس إلى الجنوب والشرق .

وكان في المدينة إلى جانب الأوس والخزرج واليهود قبائل عربية أخرى ، كان بعضها ممن نزل قبل اليهود ، وقد تهوّد منهم من تهوّد .

وهكذا ساد الأمن المدينة ، وغلب عليها بنو قَيْلة ، وصارت لهم السيادة من دون اليهود ، ولكنهم ما لبثوا أن اختلفوا فيما بينهم ، بسبب الزعامة ، والسعي إلى الرئاسة والسيادة ، فنشبت بينهم الحروب والمعارك المتجددة التي ما تكاد تهدأ قليلاً حتى تعود لتشتعل عند أقل بادرة ، وقد عرفت بحروب الأوس والخزرج وكانت من أشهر حروب الجاهلية ، وقد تعددت وعرفت منها أيام بعينها كيوم سُمَيْر ، ويوم السَّرارة، ويوم كعب، ويوم فارع، ويوم معبِّس ومضرِّس ، ويوم بُعَاث . والمتتبع لأخبار هذه الأيام يجد أن بواعثها في أكثر الأحيان كانت تافهة هينة لا تستحق حرباً ولا قتالاً . ولكن روح العصبية ، وحمية الجاهلية ، وما يشد إليه الثأر من كرّوفرّ ، ومد وجزر هو الذي كان يؤجج باستمرار جمر هذه الحروب ، ويشعل جذوتها كلما أوشكت أن تنطفىء . كما لعب اليهود دوراً في إيقاظ الفتنة وإثارة الحزازات ، فقد كان من مصلحة اليهود ألا تتحالف هاتان القبيلتان ، وألا يسود بينهما أمن وسلام ، لأن ذلك سيجعل منهما قوة تهدد نفوذ اليهود ومصالهم ، وربما لجأ اليهود إلى محالفة أحد هذين الفريقين لإضعاف شوكة الفريق الآخر؛ فقد كانت قريظة والنضير حلفاء للأوس ، وقد قاتلوا الخزرج معهم في يوم بعاث ، ولما انتهى الأمر بهزيمة الخزرج تبعهم الأوس يحرقون عليهم نخلهم ودورهم ، وتولى قريظة والنضير سلبهم[2] .

وقد أدت هذه الحروب والأيام المستمرة الطاحنة الى الحط من مكانة الأزد ، وضعف مكانتهم ، وأعاد لليهود منزلتهم التي فقدوها ، وأوشكت أن تكون لهم السيادة من جديد .

وقد ترك ذلك أسى مريراً في نفوس الأوس والخزرج ، وحزَّ في صدورهم ما

---

(١) السيرة لابن هشام : ٢/ ٨٤ .

(٢) الكامل لابن الأثير : ١/ ٤١٧ .

آلت إليه أحوالهم ، فأصبحوا في شوق دائم إلى زعيم يجمع شملهم ، ويوحد كلمتهم ، ويعيد إليهم هيبتهم الضائعة ومجدهم الذي كاد اليهود ينتزعونه منهم ، فلما خرج نفر من الخزرج إلى مكة يبتغون الحج لقيهم الرسول ، وتحدث اليهم ، فسألهم عن أمورهم ، ودعاهم إلى الإسلام ، فأيقنوا أنه النبي المنتظر الذي أظلّ زمانه ، والذي طالما حدثهم اليهود عنه ، فآمنوا بدعوته حتى لا يسبقوهم إليه ، وقالوا معبرين عن مأساتهم وأملهم : « إنا قد تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر ما بينهم ، فعسى أن يجمعهم الله بك »[1] .

الشعر يواكب الأيام :

وفي خضم المعارك الحربية ، والأيام المستمرة كان يقف الشعر ليخلد الأحداث ، ويسجلها ، ويواكب مسيرتها ، ولم تكن المعركة الأدبية لتقل ضراوة وعنفاً عن المعركة الحربية ، فحروب الأوس والخزرج تسايرها حرب الشعر بين المتخاصمين خطوة خطوة ، وتسمع من هذا الشعر صليل السيوف ، وقعقعة الرماح ، وتلمح لمح الألسنة ، وإشراق المهندة البيض مثلما يكون من ذلك كله في ساحات النزال والصدام .

لقد ذكا الشعر في هذه البيئة ، وكان ذلك أمراً طبيعياً ، فهذه هي الأرض التي يمكن أن يذكو فيها ، ألم يقل ابن سلام : « وإنما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الأحياء ، نحو حرب الأوس والخزرج ، أو قوم يغيرون ويُغار عليهم ، والذي قللَّ شعر قريش أنه لم يكن بينهم ثائرة ولم يحاربوا ، وذلك الذي قلل شعر عُمَان »[2] . وبسبب هذه النائرات والحروب كانت المدينة أشعر القرى إذا قورنت بمكة أو الطائف أو غيرهما .

كانت تدور مع كل معركة في ميدان الحرب والقتال معركة للشعر والبيان . وكما كان يلتحم الأبطال في ساحات النزال كان يلتحم الشعراء مع بعضهم بعضاً في معارك لا تقل أثراً في النفوس عن معارك الأبطال . في بادىء الأمر كان مالك بن العجلان هو شاعر الخزرج ، وكان يقف معه عمرو بن امرىء القيس جدُّ

---

(١) السيرة لابن هشام : ٢/ ٧٠ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٢٥٩ .

شاعرنا عبدالله بن رواحة ، وكان من شعراء الأوس درهم بن يزيد ، وأحيحة بن الجُلَّاح ، ثم تجددت ذكرى الوقائع القديمة ، ونشبت وقائع جديدة ، فوقف من صف الأوس قيس بن الخطيم ، وأبو قيس بن الأسلت ، وعُبَيْد بن نافذ يذودون عنهم ، ويهجون أعداءهم ، ووقف من صف الخزرج حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة يردون على شعراء الأوس ، ويهجون أعداءهم ، ويمجدون أبطالهم وأيامهم . كما كان في الساحة شعراء يهود ، وكان لهم دورهم في هذه المعارك الشعرية ، كالربيع بن أبي الحقيق من قريظة ، والسموأل بن عادياء ، وأبو الزناد ، وكعب بن الأشرف من بني النضير ، وكان لهؤلاء صلة بشعراء النقائض أو مشاركة فيها وفي أيامها [1] . وهكذا كانت المدينة موطن حركة شعرية نشيطة أذكت جذوتها المعارك والأيام التي لم تكن تهدأ أو تستكين ، وكان الشعر سلاحاً من أسلحة هذه المعارك ، وسيفاً بتاراً من سيوفها ، ولقد كان يذكيها وتذكيه ؛ فالشعر يترعرع في ساحات القتال ، وتحت ظلال الرايات والبنود ، وهو الذي يوقد حماسة المقاتلين ، ويثير شجاعة الأبطال ، فتشتد المعركة ، ويحمى الوطيس .

المدينة في الإسلام :

كان جو المدينة مضطرباً قلقاً ، تسوده المنازعات والخصومات والحروب ، وكان الصراع بين الأوس والخزرج من ناحية ، وبينهم وبين اليهود من ناحية ثانية دامياً عنيفاً كما رأينا ، مما كان يسبب توتراً دائماً في العلاقات الاجتماعية بين سكان المدينة . وقد استمرت المنازعات والحروب بين الأوس والخزرج حتى مجيء الإسلام ، فكان يوم بُعَاث ـ وهو آخر الأيام ـ قبل الهجرة بثلاث سنين[2] ، وكان الأوس قبل أن يخوضوا غمار هذا اليوم قد أرسلوا إلى قريش نفراً منهم ، يطلبون حلفهم على الخزرج ، فالتقى هؤلاء النفر برسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر لهم الإسلام ، ودعاهم إليه ، وتلا عليهم القرآن ، فمال بعضهم إليه ، وآمن بدعوته ، وعاد القوم يذيعون أمر الإسلام بين الناس ،

---

(١) انظر السيرة لابن هشام : ٢/ ٧٠ .

(٢) وقيل بخمس سنين ، انظر الأغاني (ط ساسي) ١٥ / ١٥٩ .

وكانت الحروب قد أنهكتهم ، وخاصة يوم بُعاث الذي كان من أعنف الأيام وأقساها ، فغدت نفوس القوم ميالة إلى التجمع والاتحاد ، والانضواء تحت راية زعيم يلمّ الشمل ، ويوحِّد القلوب والصفوف ، فكان يوم بعاث فرصة ثمينة هيأها الله تعالى لرسوله الكريم ، ولذلك قالت السيدة عائشة رضي الله عنها : « كان يوم بُعَاث يوماً قدمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد افترق مَلَؤُهم وقُتِلَتْ سَرَوَاتُهم ، وجرحوا ، فقدمه الله لرسول الله صلى الله عليه وسلم في دخولهم في الإسلام »[١] .

وهكذا انتهت الحروب الطاحنة بمجيء الإسلام ، وهجرة الرسول الكريم إلى المدينة ، فآخى بين الحيين ، ووحد شملهم على الحق والبركة والخير ، فزالت الحزازات القديمة ، وأوى الناس إلى ركن من الأمان والسلام في ظل القائد العظيم ، وصار أعداء الأمس إخوة متحابين متعاونين ، لقبهم الرسول بالأنصار ؛ لأنهم نصروه وآووه .

وصارت يثرب مدينة الرسول ، حبيبة الى نفسه ، أثيرة إلى قلبه . قال ياقوت الحموي : قال النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر : « اللهم إنك أخرجتني من أحب أرضك إليّ فلتسكني أحب أرضك إليك » فأسكنه المدينة[٢] .

نسب ابن رواحة:

في هذه البيئة التي تحدثنا عنها نشأ عبدالله بن رَوَاحَة ، فهو شاعر حجازي ، ولد في يثرب وشبّ وترعرع ، وهو خزرجي النسب ، يعود أصله إلى قبائل الأزد القحطانية الذين نزحوا إلى شمال الجزيرة بعد تصدُّع سد مأرب ، فسكن الغسانيون في بلاد الشام ، وأقام الأوس والخزرج قومُ عبدالله في المدينة .

ويسوق لنا الرواة عادة نسب ابن رواحة على الشكل التالي : هو عبدالله بن رواحة بن ثعلبة بن امرىء القيس بن عمرو بن امرىء القيس الأكبر بن مالك بن

---

(١) معجم ما استعجم ـ مادة بعاث .
(٢) معجم البلدان : ٤/ ٤٢٤ .

الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج بن الحارث بن الخزرج الأنصاري الخزرجي[1] .

فعبدالله ـ كما يلاحظ ـ خزرجي من ناحية الأب ، ولكنه كان أيضاً خزرجياً من جهة أمه ، فأمه كبشة بنت واقد بن عمر بن الإطنابة الخزرجية[2] وقد كانت لقبيلته السيادة في المدينة ، وكانت أعظم القبائل وأعزها ؛ حتى لقد كانت العرب ـ كما ذكر ابن هشام ـ « إنما يسمون ذلك الحي من الأنصار بالخزرج : خزرجها وأوسها »[3] وحتى لقد نزلوا في وسط المدينة ، وحلوا في أعلى مكان منها .

وعبدالله بن رواحة شاعر فارس ، وصحابي جليل ، وقائد من قواد معارك الإسلام ، وأحد شخصيات المسلمين الفذّة الذين دافعوا عن الدين بالسنان واللسان ، والسيف والقلم ، والرمح والقرطاس ، فأبلى في ذلك كله بلاء حسناً مشكوراً ، ونال من الأجر والثواب عند الله تعالى ما لا يناله إلا المؤمنون المصابرون . وهو شاعر مخضرم عاش في الجاهلية ، وشارك في أيام قومه ووقائعهم وحروبهم ، وكان سيداً من ساداتهم ، ثم جاء الإسلام ، فمنّ الله عليه بالإيمان والهداية ، فكان من السابقين الأولين إليه ، ثم أصبح جندياً من جنوده الباسلين الشجعان ، فشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جميع الغزوات والوقائع ، لم يتخلّف عن واحدة منها حتى استشهد يوم مؤتة .

وسنستعرض سيرة عبدالله بن رواحة في الفترتين اللتين عاش فيهما : الجاهليةِ ، والإسلام .

ابن رواحة في الجاهلية :

لا يكاد يوجد بين أيدينا من الأخبار عن نشأة عبدالله الأولى وسيرته في الجاهلية إلا أقل القليل ، وهي أشياء لا تسعف في رسم صورة واضحة لحياته ونشأته المبكرة . لا نعرف متى ولد ؟ وكيف كانت طفولته أو صباه ؟ ما المنازع

---

(١) طبقات ابن سعد : ٣ / ٥٢٦ .
(٢) المصدر السابق وصفحته .
(٣) السيرة لابن هشام : ٢/ ٨٤ .

التي كان ينزع إليها ، والمشارب والأهواء التي كان يأخذ فيها ؟ وعلى الرغم من وفرة الأخبار التي بين أيدينا عن الرجل في فترة إسلامه ، فإن المصادر قد شحّت بذكر شيء ذي بال عن جاهليته .

نعرف أنه شاعر حجازيّ يثربيّ من بني الحارث بن الخزرج ، وقد عرفنا مكانة الخزرج ورفعتها بين قبائل العرب ، ولكن أسرة عبدالله كانت مع ذلك من ذؤابة القوم وسادتهم وأشرافهم ، حتى كانت تُحكَّم بين الناس في خصوماتهم وأيامهم ، وقد أشرنا من قبلُ إشارة عابرة إلى حكم عمرو بن امرىء القيس جد عبد الله بين الناس في يوم سُمَير حيث اقتتل الأوس والخزرج قتالاً عنيفاً . وكان السبب في ذلك أن مالك بن العجلان ـ وكان سيداً من سادات الخزرج ـ نزل به ضيف ، فقتله رجل من الأوس يقال له : (سُمَير بن زيد) وطالب مالك بالقاتل ليقتله بضيفه ، أو تدفع إليه ديته كاملة ، ولكن الأوس رفضوا دفع دية القتيل كاملة ، وعرضوا عليه دية الحليف وهي نصف الدية الكاملة ، فرفض مالك ذلك ، فدعوه أن يحكم بينهم وبينه (عمرو بن امرىء القيس) جد عبدالله[1] ، فقضى على مالك بدية الحليف ، ولكن مالكاً غضب ، ورفض حكم عمرو ، واستنصر قبائل الخزرج ليكونوا معه على حرب الأوس ، فأبى بنو الحارث بن الخزرج قوم عمرو بن امرىء القيس أن ينصروه ، غضباً لصاحبهم حين ردّ قضاءه . وكان يوم سُمير أول اختلاف وقع بينهم ، وقد لبثوا يتعاودون القتال في أمر هذا اليوم عشرين سنة ، كثرت فيها أيامهم ، وأوشك أن يفني بعضهم بعضاً ، ثم حكّمت القبيلتان المنذر بن حرام جد حسان بن ثابت ، فأجابهم الى ذلك ، ونزلوا عند حكمه[2] .

ويبدو أن جد عبدالله هذا كان شاعراً ، وقد أُثِر له شيء من الشعر في المناقضات التي كانت بين الأوس والخزرج ، ففي يوم سُمير غضب مالك بن العجلان لأن بني الحارث قد خذلوه بسبب ردّه لقضاء عمرو ، فقال يذكر خذلانهم له ، وحدب بني عمرو بن عوف على سمير ، ويحرض بني النجار على نصره :

---

(١) هكذا ورد في الرواية ، ولكن من خلال نسب ابن رواحة يبدو عمرو هذا وكأنه ليس الجد المباشر لعبدالله . .

(٢) انظر الأغاني : ٣/ ٢٠ .

إنّ سُمَيْراً أرَى عشيرتَه قد حدِبوا دونَه وقد أنِفُوا
إنْ يكنِ الظنُّ صادقي ببني النّـ . . . ـجّار لا يَطْعَموا الذي عُلِفُوا

فقال عمرو بن امرىء القيس يناقضه في قصيدة منها :

يا مالِ والسيِّدُ المُعَمَّمُ قد يطْرأُ في بعض رأيه السَّرَفُ
نحن بما عندنا وأنتَ بما عندك راضٍ ، والرأيُّ مختلِفُ[1]

كما انحدرت السيادة إلى ابن رواحة من أسرة أمه كذلك ، فقد كانت كبشة من سلالة عريقة ذات مجد وسيادة ، وقد بقيت لنا أخبار عن جدها (عمرو بن الإطنابة) وهو فارس قديم معروف ، وسيد من سادات الخزرج وقوّادهم ، وقد خرجت الخزرج معه في بعض حروبها مع الأوس ؛ ففي يوم حاطب خرج الفريقان حتى التقوا بالرَّدْم من بُطحان ، فاقتتلوا هنالك قتالاً شديداً ، وانتصر الخزرج يومذاك ، وكان قائدهم جدُّ كبشة عمرو بن الإطنابة . كما كان عمرو هذا شاعراً معروفاً[2] .

وهكذا انحدرت السيادة لابن رواحة من جهة أبيه ومن جهة أمه على السواء ، فكان رفيع القدر والمنزلة في قومه . قال عنه ابن سلام : « وعبدالله بن رواحة عظيم القدر في قومه ، سيِّد في الجاهلية »[3] وقد ذكره في الطبقات في طبقة (شعراء القرى العربية) ثم تحدث عن مكانته ، ورفعة شأنه ، فقال: « ليس في طبقته التي ذكرنا أسودُ منه »[4] .

ويظهر مما تبقى لدينا من أخبار عن حياته المبكرة أنه قد اعتُني بتربيته وتنشئته منذ الصغر، فالرواة يحدثوننا أن عبدالله كان يكتب في الجاهلية ، ثم كان يكتب للرسول صلى الله عليه وسلم والكتابة يومئذ قليلة في العرب ، والناس في ذلك العهد أميّونُ[5] . ولا شك أن هذه الدرجة الرفيعة من السيادة والمعرفة هي التي

---

(١) انظر ديوان حسان : ٨٦،وانظر كذلك ديوان قيس بن الخطيم : ٢٣٨ - ٢٣٩ .
(٢) انظر معجم الشعراء للمرزباني : ٨ ، وديوان قيس : ١٩٧ .
(٣) طبقات فحول الشعراء : ٢٢٣ .
(٤) المصدر السابق وصفحته .
(٥) تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٨٧ .

جعلت النبي الكريم يختاره فيما بعد نقيباً على قومه في بيعة العقبة الثانية كما سنرى .

وإضافة إلى السيادة والعلم كان عبدالله صاحب ثروة وجاه ، وكان يملك عدداً من الغلمان والعبيد ؛ فقد كان (زيد بن أرقم) يتيماً في حجره ، يعنى به ، ويشرف على تربيته ، وكان يخرج معه في بعض أسفاره ، وهو الذي عناه في قوله :

يا زيدُ زيدَ اليعملاتِ الذُّبَّلِ تطاول الليلُ هُدِيتَ فانزلِ[1]

ونعرف من جواري عبد الله وإمائه أمةٌ سوداء أخطأ في حقها ذات مرة ، فضربها في فورة من غضبه ، ثم ندم على ذلك ، وراجع نفسه ، فأتى النبي عليه السلام ، فحكى له القصة ، فقال رسول الله معاتباً : « هي مؤمنة » فعاد ابن رواحة إليها ، فأعتقها ، وتزوجها تكفيراً عن ذنبه[2] .

ولعل مما يدل على ثروة عبدالله ، وما كان يملك من جوارٍ وعبيد ما كان يخاطب به نفسه في يوم مؤتة وقد تردد بعض التردد ، وأخذه شيء من روع ؛ فأنشأ يقول : « يا نفسُ ! إلى أي شيء تتوقين ؟ إلى (فلانة) امرأته ؟ فهي طالق . وإلى فلان وفلان ؟ غلمان له ، فهم أحرار . وإلى (معجف) ؟ حائط له ، فهو لله ورسوله . . »[3] . فلم يكن عبدالله إذن من عامة الناس أو فقرائهم ، ولكنه كان سيداً عظيماً ، ذا ثروة وجاه ، وغلمان وعبيد وإماء . .

وأما أسرته فما بين أيدينا عنها كذلك نزر يسير . نعرف أن له أختاً اسمها (عمرة بنت رواحة) وقد كان يتغزل بها قيس بن الخطيم في قصائد المناقضات التي كانت بينه وبين عبدالله كما سنرى . فمما يقوله قيس في عمرة هذه :

أجدَّ بعَمْرَةَ غُنْيانُها فتهجُرَ أم شأنُنا شانُها
وعمرةُ من سَرَوَاتِ النسا ءِ تنْفَحُ بالمسكِ أرْدَانُها[4]

---

(١) سيرة ابن هشام : ٤/ ١٩ .
(٢) تهذيب ابن عساكر : ٧/ ٣٨٩ .
(٣) أسد الغابة : ٣/ ١٥٨ .
(٤) الأغاني : ١٦/ ٢٨ ، وديوان قيس بن الخطيم : ٦٦ .

وقوله أيضاً :

لعَمْرَةَ - إذ قلبُهُ مُعْجَبٌ فأنّي بعَمْرةَ أنى بها -
ليالٍ لناوُدُّها مُنْصِبٌ إذا الشَّوْلُ لطَّتْ بأذنابِها[1]

وعمرة هذه هي أم الصحابي الجليل النعمان بن بشير ، الذي كان أحد الأنصار السابقين إلى الإسلام ! شهد بيعة العقبة ، ثم حضر مع رسول الله غزواته جميعها : بدراً ، وأحداً ، والخندق ، والمشاهد كلها ، واستشهد يوم عين التمر مع خالد بن الوليد[2] فهو ابن أخت عبدالله ، وقد ذكر بعض الرواة أن عمرة التي تغزل بها قيس بن الخطيم ليست أمَّ النعمان، وإنما هي(عمرة بنت صامت بن خالد) امرأة كانت لحسان بن ثابت ، وكان حسان قد ذكر ليلى بنت الخطيم في شعره ، فكافأه حسان بذلك ، ولكن أبا الفرج يذهب إلى أنها عمرة أخت عبدالله ، ويذكر أن ابنها النعمان بن بشير قد دخل المدينة في أيام يزيد بن معاوية ، وكان مشتاقاً للغناء ، فقيل له : لو وجهت إلى عزة الميلاء فإنها من قد عرفت ، ولكن عزة تعتذر عن الحضور بسبب علة ، فيقوم النعمان هو وأصحابه ويطرقونها في دارها ، ويقول لها النعمان غنيني ، فغنته بشعر قيس :

أجدَّ بعمرةَ غنيانها . . الخ

فأشير إليها أنها أمه ، فسكتت ، ولكن النعمان يقول لها : « غنّيني ، فوالله ما ذكرت إلا كرماً وطيباً ، لا تغنّيني سائر اليوم غيره ، فلم تزل تغنيه هذا اللحن فقط حتى انصرف » ويعلق ابو الفرج على هذا الخبر قائلاً : « فهذا يدل على أن المعنية بهذا الشعر عمرة بنت رواحة »[3] .

ومن الإخوة الذين نعرفهم لعبدالله الصحابي الجليل أبو الدرداء ، وهو عويمر ابن عامر الذي روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً من الأحاديث ، وقد شهد معه أحداً ، وأبلى فيها بلاء حسناً ، حتى قال فيه الرسول الكريم : « نعم الفارس عويمر » وقال عنه كذلك : « هو حكيم أمتي » . ولاه معاوية قضاء دمشق في

---

(١) ديوان قيس : ١٣٤ .
(٢) الأغاني : ١٦/ ٢٨ .
(٣) الأغاني : ٣/ ١٤ .

خلافة عمر . وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه ، ولكن أبا الدرداء كان أخاً لابن رواحة من أمه[1] وذكر صاحب سير أعلام النبلاء أخاً آخر لعبدالله هو ثابت بن قيس بن شماس ، وقال : إنه أخ له من أمه ، وقيس هذا هو خطيب الأنصار ، وبليغها المعروف ، كان من نجباء أصحاب النبي ، عليه السلام ، لم يشهد بدراً ، وشهد أحداً وبيعة الرضوان[2] . ولم تقع لنا أخبار تشير إلى وجود إخوة لعبد الله من أبيه .

وأما عقب ابن رواحة فقد ذكر الرواة أنه مات ولم يترك من خلفه عقباً[3] ولكننا نعرف أنه كان يكنى أبا محمد ، وقيل : أبو رَوَاحَة ، وقيل : كنيته أبو عمرو[4] ولا ندري إن كانت هذه مجرد كنى ، أم أنه كان لعبدالله ذرية لم تصل إلينا أخبار عنهم ؟ خاصة وبين أيدينا شيء من الأخبار عن بعض ازواج ابن رواحة ، وبعض من ملكت يمينه من الجواري والإماء ، فنحن نعرف أن زوجاً له قد غضبت منه ذات مرة لأنها رأته يواقع جارية له ، ثم اعتذرت له في قصة طريفة سنتوقف عندها بعد صفحات . كما مر معنا قبل قليل قصته مع أمة سوداء له ، غضب منها ذات يوم فضربها ، ثم ندم على ذلك ، فتزوجها تكفيراً عن ذنبه .

وبعدُ . . فقد كان هذا أقصى ما استطعنا أن نضع أيدينا عليه من حياة عبدالله ابن رواحة في الجاهلية ، وفي فترة نشأته المبكرة ، وما وصل إلينا من أخبار أسرته وقومه وذريته ، وأما ابن رواحة الشاعر الجاهلي فهو ما تحاول أن تتوقف عنده الصفحات المقبلة .

ابن رَوَاحَة في الإسلام

إذا كانت المصادر التي بين أيدينا قد شحّت بإيراد أخبار مفصلة عن عبدالله في الجاهلية فلعل ذلك لأن شخصية الرجل المؤثرة ، ودوره الإيجابي العميق إنما برز

---

(١) شرح شواهد المغني : ٢/ ١٠٠ .
(٢) سير أعلام النبلاء : ١/ ٢٢٤ .
(٣) أسد الغابة : ٣/ ١٥٨ .
(٤) المصدر السابق : ٣/ ١٥٦ .

بصورة خاصة في الإسلام ، فقد كان عبدالله بحق مثالاً للمسلم المؤمن الصادق الذي تغلغل الدين في أعماق نفسه ، فالتزم به منهجاً وسلوكاً وعقيدة .

عبدالله في الإسلام صورة مشرقة ، وصفحة ناصعة ، فقد باع نفسه لِله منذ أن ارتضى الإسلام ديناً ، ورصد جميع الأسلحة التي كان يملكها : من قول ، أو فعل ، أو عمل ، لخدمة هذا الدين ، والانتصار له في كل ميدان .

برزت شخصية ابن رواحة في الإسلام ، وأفصحت عنها جميع المواقف والغزوات ، ما تعلق منها بحياته الخاصة ، أو حياته العامة .

إسلامه :

كان من عادة الرسول صلى الله عليه وسلم أن يخرج كلَّ عام ، فيعرض نفسه على قبائل العرب ووفودهم القادمة في موسم الحج ، وكان أمره قد ذاع في يثرب كما ذاع في غيرها ، وفي أحد الأعوام التقى بجماعة من الأوس والخزرج الذين كانوا أعرف الناس بأمر النبي الجديد لكثرة ما حدَّثهم عنه اليهود ، فعرض عليهم الإسلام ، وتلا عليهم القرآن ، فأثر كلامه في نفوسهم ، وانصرفوا وقد استشعرت قلوبهم الإسلام .

وفي السنة الحادية عشرة من البعثة لقي الرسول عند العقبة ستة نفر من الخزرج ، فصدقوه وآمنوا به ، وعادوا يذيعون الإسلام في قومهم ، ويفشون أمر النبي ، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا فيها ذكر من رسول الله[١] .

وفي السنة الثانية عشرة لقي في العقبة اثني عشر يثربياً ، منهم عشرة من الخزرج ، فبايعوه بيعة العقبة الأولى ، وأرسل معهم مصعب بن عُمير يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، وبعدها لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال مسلمون ونساء مسلمات . .[٢] .

فلما كانت العقبة الثانية في الموسم القادم سنة ثلاث عشرة من البعثة قدم وفد مكوّن من ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين ، أما المرأتان فخزرجيتان ، وأما الرجال

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢/ ٧٠ ، ٧٢ .
(٢) المصدر السابق : ٢/ ٨٠ .

فاثنان وستون منهم خزرجيون ، وأحد عشر رجلاً من الأوس ، فبايعوا الرسول بوجود عمه العباس بن عبدالمطلب ـ وكان لا يزال على دينه ـ على السمع والطاعة ، وأن يمنعوه مما يمنعون منه نساءهم وأبناءهم . وكان عبدالله بن رواحة في هذا الوفد ، فأسلم يومذاك . .

ثم إن النبي ـ عليه السلام ـ أراد أن يختار لهم نقباء يكونون عليهم ، فالتفت إلى الناس قائلاً : « أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً ، ليكونوا على قومهم بما فيهم ، فأخرجوا منهم اثني عشر نقيباً ، تسعة من الخزرج ، وثلاثة من الأوس » وكان ابن رواحة أحد هؤلاء النقباء الذين اختارهم القوم[1] ، وقد ذكر السهيلي أن اختيار هؤلاء النقباء كان بوحي من ربّ العالمين ، وأن النبي عليه السلام قال للأوس والخزرج حين قدم عليهم النقباء : « لا يغضبن أحدكم ، فإني أفعل ما أومر ، وجبريل ـ عليه السلام ـ إلى جنبه ، يشير إليهم واحداً بعد واحد ، وروي في المُعَيْطِيِّ عن مالك بن أنس أنه روى حديث النقباء عن شيخ من الأنصار . قال مالك : وكنتُ أعجب كيف جاء هذا ؟ رجلان من قبيلة ، ورجل من أخرى ؟ حتى حدِّثت بهذا الحديث ، وأن جبريل هو الذي ولّاهم ، وأشار على النبي صلى الله عليه وسلم بهم »[2] .

هذه إذن مكانة رفيعة ، ومنزلة سامية ، خصّ الله والناس بهما عبد الله وصحبه من النقباء ، وكانت مهمة النقباء ـ كما حددها لهم رسول الله ـ أن يكونوا كفلاء على قومهم ككفالة الحواريين لعيسى بن مريم . . وقد ذكر كعب بن مالك النقباء في قصيدة أولها :

أبْلِغْ أُبَيّاً أنه فَالَ رأيُهُ ... وحَانَ غداةَ الشِّعْبِ والحينُ واقِعُ[3]

فذكر ابن رواحة بقوله :

وأيضاً فلا يُعطِيكَهُ ابنُ رَوَاحةٍ ... وإخفَارُه من دونِهِ السمُّ ناقِعُ

---

(١) سيرة ابن هشام : ٢/ ٨٦ .

(٢) الروض الأنف : ٤/ ١٢٤ وقد جعل الرسول ـ عليه السلام ـ النقباء اثني عشر اقتداءً بقوله تعالى في قوم موسى : « وبعثنا منهم اثني عشر نقيباً » .

(٣) المرجع السابق : ٢/ ٨٨ .

وعاد الوفد إلى المدينة ومعهم نقباؤهم ، فكان قدومهم في ذي الحجة ، وأقام الرسول في مكة بقية ذي الحجة ، والمحرم ، وصفراً ، ثم هاجر إلى المدينة في شهر ربيع الأول ، فاستقبله أهلها ذلك الاستقبال التاريخي المعروف ، وكل قبيلة تعرض عليه أن ينزل عندها ، ولكن النبي ـ عليه السلام ـ أرخى لناقته العنان وقال : خلوا سبيلها ، فإنها مأمورة ، فكانت كلما مرّت أمام منزل دعوه إليهم ، حتى إذا وازنت دار بني الحارث بن الخزرج ، اعترضه سعد بن الربيع ، وخارجة ابن زيد ، وعبدالله بن رواحة ، في رجال من بني الحارث بن الخزرج فقالوا : يا رسول الله ، هلمَّ إلينا ، إلى العدد والعدة والمنعة ، فقال : خلُّوا سبيلها فإنها مأمورة ، وسارت الناقة حتى وقفت حيث قدّر الله[1] .

ثم آخىٰ النبي بين أصحابه من المهاجرين والأنصار ، بعد أن آخىٰ بين الأوس والخزرج ـ أعداء الأمس ـ وسماهم الأنصار ، فاختار لابن رواحة المقداد بن الأسود[2] ، فصار الرجلان الجليلان أخوين في الله . . ومنذ أن دخل عبدالله في الإسلام ، وتعمق الإيمان قلبه ؛ أخذ دوره في الأحداث الإسلامية فارساً مقاتلاً مسلماً ، ومجاهداً شجاعاً صابراً ، لا يتأخر عن أداء واجبه ، ولا يتوانى أو يُجبن في الخروج . شهد بدراً وأحداً والخندق والحديبية وخيبر وعمرة القضاء ، والمشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الفتح وما بعده ، لأنه كان قد استشهد في مؤتة سنة ثمانٍ . .

يوم بدر :

عندما التقى المسلمون بأعدائهم في بدر ، كان أول ما بدأت به المعركة هو المبارزة التي نعرفها ؛ فقد خرج من صفوف قريش ثلاثة فرسان هم : عتبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة ، وأخوه شيبة بن ربيعة ، وطلبوا المبارزة ، فخرج إليهم ثلاثة من الأنصار هم : عوف ، ومُعوِّذ ، ابنا الحارث ، وعبدالله بن رواحة . فقال المشركون : من أنتم ؟ قالوا : رهط من الأنصار ، قالوا : ما لنا بكم من حاجة ، ثم نادى مناديهم : يا محمد ، أخرج إلينا أكفاءنا من قومنا ،

---

(١) المرجع السابق : ٢/ ٩٠ .
(٢) الإصابة : ١/ ٣٠٦ .

فخرج إليهم عبيدة بن الحارث ، وحمزة ، وعليّ ، فقتل كلٌّ من حمزة وعليّ خصميهما : شيبة ، والوليد ، واختلف عبيدة وعتبة بينهما ضربتين ، كلاهما أثبت صاحبه ، وكرّ حمزة وعليّ بأسيافهما على عتبة ، فذفّفا عليه ، واحتملا صاحبهما فحاذاه إلى أصحابه[1] .

وانتهت غزوة بدر وقد منَّ الله على المسلمين بالنصر العظيم ، فأرسل النبي - عليه السلام - عبدالله بن رواحة بشيراً إلى أهل العالية ، يزف إليهم البشرى ، ويخبرهم بما أفاء الله على رسوله وعلى المسلمين من نصر وفتح[2] .

يوم أُحد :

ثم كانت غزوة أحد في السنة الثالثة من الهجرة ، وأدى عبدالله دوره مع المجاهدين المصابرين ، وكان من أمر الغزوة ما كان ، واستشهد حمزة عم النبي - عليه السلام - وعدد من فرسان الإسلام ، فوقف عبدالله يرثي حمزة وشهداء المسلمين بقصيدة يقول فيها :

بَكَتْ عيني وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغني البكاءُ ولا العويلُ
على أسدِ الإلهِ غداةَ قالوا: ... أحمزةُ ذاكُمُ الرجلُ القتيلُ
أُصِيْبَ المسلمون به جميعاً ... هناكَ وقد أُصيب به الرسولُ[3]

غزوة بدر الآخرة :

وقبل أن ينصرف أبو سفيان ومن معه من المشركين من أحد نادى في المسلمين : إن موعدكم بدر للعام القابل ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجل من أصحابه : قل : نعم ، هو بيننا وبينكم موعد ، ثم خرج في شعبان سنة أربع إلى بدر لميعاد أبي سفيان ، وأقام ينتظره ثماني ليال ، وخرج أبو سفيان في أهل مكة حتى نزل مجنّة ، ثم بدا له الرجوع ، فقال : يا معشر قريش ، إنه لا يصلحكم إلا عام خصيب ، ترعون فيه الشجر ، وتشربون فيه اللبن ، وإن

---

(١) الروض الأنف : ٥/ ١٠٣ .

(٢) المرجع السابق : ٥ / ١٥١ ، وأهل العالية : هم بنو عمرو بن عوف وخطمة ووائل .

(٣) السيرة : ١١٧/٣ ، وتنسب القصيدة أيضاً لكعب بن مالك .

عامكم هذا عام جدب ، وإني راجع فارجعوا ، فرجع الناس ، وأقام الرسول عليه السلام على بدر ينتظر أبا سفيان ، وقد استخلف على المدينة في أثناء غيبته عبدالله بن رواحة ، ويقال : إن غيبته كانت ستة عشر يوماً كان فيها ابن رواحة أميراً على المدينة بلا منازع[1] .

ثم ذكر تخلف أبي سفيان عن موعد رسول الله ، وسخر من خلفه للموعد ، وعدم حضوره إلى بدر في قصيدته :

وَعَدْنا أبا سفيان وعداً فلم نجدْ
لميعادِه صِدْقاً وما كانَ وافِيا[2]

وكانت بدر الآخرة ـ أو بدر الموعد ـ في شعبنا سنة أربع . .

غزوة الخندق :

ثم كانت غزوة الخندق في شوال سنة خمس ، واشتغل المسلمون بحفر الخندق حول المدينة ، وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ينقل التراب مع أصحابه حتى وارى صدره ، وكانوا يرتجزون بشعر ابن رواحة :

تالله لولا اللهُ ما اهتدينا ولا تَصَدَّقْنا ولا صلَّينا
الكافرون قد بَغَوْا علينا إذا أرادُوا فتنةً أبَيْنا
ونحنُ عن فضلكَ ما استغنينا

ثم بدأ القتال ، وأبلى عبدالله بلاء حسناً ، واشتد الحال على المسلمين ، فكانت عمرة بنت رواحة ـ أخت عبدالله ، وزوجة بشير بن سعد ـ ترسل ابنة لها بطعام لأبيها وخالها ، وقد أعطتها حفنة من تمر في ثوبها ، فمرّت برسول الله ـ عليه السلام ـ فقال لها : تعالي يا بنيَّةُ ، ما هذا معك ؟ فقالت : يا رسول الله ، هذا تمر بعثتني به أمي إلى أبي بشير بن سعد ، وخالي عبدالله بن رواحة يتغديانه ،

---

(١) انظر التنبيه والاشراف : ٢١٤ ، وابن عساكر : ٧ / ٣٨٧ ، وذكر ابن هشام ان الرسول ـ عليه السلام ـ قد استخلف على المدينة عبدالله بن عبدالله بن أبي بن سلول الانصاري (انظر السيرة : ٣/ ٢٢٠) .

(٢) السيرة : ٣/ ٢٢١ وتنسب القصيدة أيضاً لكعب بن مالك . .

قال : هاتيه ، فصبته في كفيّ رسول الله فما ملأتهما ، ثم أمر بثوب ، فبسط له ، ثم دحا بالتمر عليه ، فتبـدّد فوق الثوب ، ثم قال لإنسان عنده : اصرخ في أهل الخندق : أنْ هلُمَّ إلى الغداء . فاجتمع أهل الخندق عليه ، فجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه ، وإنه ليسقط من أطراف الثوب[١] .

غزوة بني المصطلق :

أو غزوة المُرَيْسِيْع ، في شعبان سنة ست[٢] ، خرج ابن رواحة مع رسول الله لغزو بني المصطلق من خزاعة ، وغاب المسلمون عن المدينة شهراً إلا ليلتين ، وانتهى عبدالله في أثناء عودته من هذه الغزوة إلى وادي العقيق في وسط الليل ، والناس مُعَرِّسون ، فتقدم إلى المدينة ، فطرق أهله ، فإذا مع امرأته إنسان طويل ، فظن أنه رجل ، وندم على تقدمه ، واقتحم البيت رافعاً سيفه يريد أن يضربها ، ثم فكّر وادّكر ، فغمز امرأته برجله فاستيقظت وصاحت ، فقال : أنا عبدالله ، فمن هذا ؟ قالت : رحيلة ـ اسم امرأة ـ سمعنا بقدومكم ، فدعوتها تمشِّطني فباتت عندي . فبات ، وأصبح فخرج يلقى رسول الله ـ عليه السلام ـ فلما رآه النبي قال : إن وجه عبدالله ليخبر أنه كره طُروق أهله ، ثم سأله عن القصة فأخبره ، فقال صلى الله عليه وسلم : (لا تطرقوا النساء ليلاً) فكان ذلك أول ما نهى عنه رسول الله[٣] . . . وفي هذه الغزوة أرجف المنافقون بحديث الإفك ضد السيدة عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، ورموها بالفاحشة مع صفوان بن المعطَّل السّلَمي ، فهمَّ صفوان بقتل حسان بن ثابت الذي كان ممن خاضوا في حديث الإفك ، وقال شعراً عرّض فيه بابن المعطل ، ثم إن ثابت بن قيس ـ أخا عبدالله بن رواحة لأمه ـ وثب على صفوان حين ضرب حسان ، فجمع يديه إلى عنقه بحبل ، ثم انطلق به إلى دار بني الحارث بن الخزرج ، فلقيه عبدالله ، فسأل أخاه : هل علم رسول الله بشيء مما صنعت ؟ قال : لا والله ، قال : لقد اجترأت ، أطلق الرجل ،

---

(١) سيرة ابن هشام : ٣/ ٢٢٩ .

(٢) اختلف في غزوة المُرَيْسِيع ، فذهب الواقدي الى أنها كانت في شعبان سنة خمس ، وقال بعضهم إنها كانت سنة أربع ، وما أثبتناه رأي ابن إسحاق (انظر إمتاع الأسماع : ١/ ٢١٤) .

(٣) إمتاع الأسماع : ١/ ٢١٣ .

فأطلقه ، ثم أتوا رسول الله ، فذكروا ذلك له ، فدعا حسان وصفوان فأصلح بينهما[١] .

وقد ذكر ابن رواحة ما كان من حديث الإفك ، وضرب العصابة التي خاضت فيه ، في أبيات أولها

لقد ذاقَ حسانُ الذي هو أهلُه   وحَمْنةُ إذ قالُوا هَجيراً ومِسْطَحُ

سريته إلى خيبر :

وفي شهر رمضان سنة ست من الهجرة وجه النبي ـ عليه السلام ـ عبدالله بن رواحة في ثلاثة نفر من المسلمين ليستكشف له أخبار أُسير بن رِزام الذي أمرَّته اليهود عليها بعد مقتل أبي رافع سلام بن أبي الحُقيق ، فاقترح عليهم طريقة للانتقام من رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فأقروه عليها ، وحاصلها أن يذهب الى غطفان ، ويجمعهم ، ويسير إلى النبي في عقر داره . .

وقد ذهب عبدالله في النفر الثلاثة إلى خيبر ، فاستطلع أخبار أُسير اليهودي ، وعاد إلى النبي فأخبره بما رأى وسمع . . فأرسله في شوال من السنة نفسها في ثلاثين رجلاً من المسلمين أمرَّه عليهم إلى أُسير بن رِزام ، فقدموا عليه فقالوا : إن رسول الله بعثنا إليك لتخرج إليه ليستعملك على خيبر ، فطمع في ذلك ، وخرج ومعه ثلاثون رجلاً من بني يهود مع كل رجل رديف من المسلمين ، وفي الطريق ندم أُسير على مسيره الى رسول الله ، وأراد الفتك بعبد الله بن رواحة ، ففطن إليه وهو يريد السيف ، فاقتحم به عبد الله ، ثم ضربه بالسيف فقطع رجله ، فضربه أُسير بمخرش في يده من شوحط فشج رأسه ، فضربه ابن رواحة فقتله ، ومال أصحاب النبي على رجال أسير فقتلوهم ، ولم يفلت منهم غير واحد ، ولم يصب من المسلمين أحد ، ثم قدموا على النبي ، فحدّثون بالخبر ، فقال : (قد نجاكم الله من القوم الظالمين) [٢] .

أما شجة عبدالله فيقال إن النبي ـ عليه السلام ـ قد نفث فيها ، فلم تَقُح ، ولم تؤذه ، مع أن العظم كان قد كسر حتى خرج فراش الرأس ، ومسح على وجهه ودعا

---

(١) السيرة : ٣/ ٣١٨ .

(٢) طبقات ابن سعد : ٣/ ١٣٥ .

له ، وقطع له قطعة من عصاه قائلاً : أمسك هذه علامة بيني وبينك يوم القيامة أعرفك بها ، فجُعِلت في قبره حين مات[1] .

كما أرسله النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ بعد ذلك في سرية لغزو خيبر ، فتحصنوا ، فأغار عليهم بضع عشرة غارة ، وأصاب عامة مواشيهم[2] .

عمرة القضاء :

خرج النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في ذي القعدة من السنة السابعة معتمراً عمرة القضاء ، مكان عمرته التي صدّه المشركون عنها بالحديبية في العام الفائت . وأمر ألا يتخلف أحد ممن شهد الحديبية عن حضور هذه العمرة .

وقد دخل النبي مكة ، وعبدالله بن رواحة آخذ بخطام ناقته يقودها وهو يرتجز :

خلّوا بني الكفارِ عن سبيله ... خلُّوا فكلُّ الخيرِ في رسولِهِ
يا ربِّ إني مؤمنٌ بقِيلِهِ ... أعرف حقَّ اللهِ في قبولِهِ
نحن قتلناكم على تأويله ... كما قتلناكم على تنزيله
ضرباً يزيلُ الهامَ عن مقيله ... ويذهلُ الخليلَ عن خليلهِ[3]

وعندما سمعه عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قال له : يا ابن رواحةٍ ، في حرم الله وبين يدي رسول الله تقول الشعر ؟ فقال النبي ـ عليه السلام ـ : خلِّ عنه يا عمر ، فوالذي نفسي بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل[4] .

ذهابه إلى خيبر خارصاً :

وبعد عودة المسلمين من عمرة القضاء أرسل النبي ـ عليه السلام ـ عبدالله إلى أهل خيبر من أجل أن يخرص[5] على أهلها الثمر ، وذلك بعد أن قاتلهم حتى ألجأهم إلى حصونهم ، فكان يأتيهم كلَّ عام فيخرص عليهم ، ثم يضمنهم

(١) إمتاع الأسماع : ١/ ٢٧١ .
(٢) انظر المحبَّر : ١٢١ .
(٣) السيرة : ٤/ ١٣ .
(٤) شرح شواهد المغني : ٢٩٠ .
(٥) الخرص : تقدير ما على الشجر من الثمار بالظن لا بالإحاطة .

الشطر ، فشكوا إلى رسول الله شدة خرصه ، وأرادوا أن يرشوه فجمعوا حلياً من نسائهم فقالوا : هذا لك ، وخفّف عنا ، فقال : يا أعداء الله ، تطعموني السحت ؟ والله لقد جئتكم من أحب الناس إليّ ، وأنتم أبغض إليّ من عدتكم من القردة والخنازير ، قتلتم أنبياء الله عزَّ وجلَّ ، وكذبتم على الله ، وليس يحملني بغضي إياكم ، وحبي إياه على أن لا أعدل عليكم ، قد خرصت ألف وسق من تمر ، فإن شئتم فلكم ، وإن أبيتم فلي ، فقالوا : بهذا قامت السموات والأرض ، قد أخذنا ، فاخرجوا عنا[1] .

ولم يزل ابن رواحة يخرص على يهود خيبر حتى خرج إلى غزوة مؤتة .

غزوة مؤتة :

أقام الرسول صلى الله عليه وسلم بعد عودته من عمرة القضاء ستة أشهر في المدينة كان ابن رواحة خلالها يخرص التمر على يهود خيبر ، ثم أرسل في جمادى الأولى سنة ثمان بعثة إلى مؤتة في أرض الشام على مرحلتين من بيت المقدس جنوب شرق البحر الميت ، وذلك لمحاربة الروم ، وسببها أن النبي ـ عليه السلام ـ كان قد أرسل الحارث بن عمير بكتاب إلى أمير بصرى من جهة هرقل وهو الحارث بن أبي شمر الغساني ، فلما نزل مؤتة تعرض له شرحبيل بن عمرو الغساني وقتله ، فلما بلغ الأمر رسول الله اشتد ذلك عليه ، وجهز جيشاً لمقاتلة ملك الروم ، وكانت هذه أول معركة يلقى فيها المسلمون جيشاً مسيحياً من أعظم جيوش العالم في ذلك الوقت . .

أمرّ النبي ـ عليه السلام ـ مولاه زيد بن حارثة على ثلاثة آلاف من المسلمين ، وندب الناس وقال لهم : إن أصيب زيد فجعفر بن أبي طالب على الناس ، فإن أصيب جعفر فعبدالله بن رواحة على الناس ، فإن قتل ابن رواحة فليرتضِ المسلمون بينهم رجلاً فليجعلوه عليهم . . فبكى الناس وقالوا : هلا متعتنا بهم يا رسول الله ؟ فأمسك ، وكان إذا قال : فإن أصيب فلان فالأمير فلان ، اصيب كل من ذكره . وقيل إن النعمان بن فنحص اليهودي كان حاضراً ، فلما سمع قول رسول الله قال له : يا أبا القاسم ، إن كنت نبياً فلو سمَّيت من سمَّيت قليلاً أو كثيراً أصيبوا جميعاً ، إن

(١) انظر مسند أحمد : ٣/ ٣٦٧ ، وتهذيب ابن عساكر : ٧/ ٣٩٢ ، وسير أعلام النبلاء : ١/ ١٧٠ .

الأنبياء في بني إسرائيل كانوا إذا سمّوا الرجل على القوم فقالوا : إن أصيب ففلان ، فلو سمّوا مائة أصيبوا جميعاً ، ثم جعل يقول لزيد : اعهد ، فإنك لا ترجع أبداً إن كان محمد نبياً ، فقال زيد : أشهد أنه نبي صادق بار[1] . .

وأوصى النبي ـ عليه الصلاة والسلام ـ جيش المسلمين تلك الوصية التاريخية العظيمة : « أوصيكم بتقوى الله ، وبمن معكم من المسلمين خيراً . اغزوا باسم الله ، في سبيل الله من كفر بالله . لا تغدروا ولا تغلوا ، ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً فانياً ولا منعزلاً بصومعة ، ولا تقربوا نخلاً ، ولا تقطعوا شجراً ، ولا تهدموا بناء . . » . وتجهز الناس ثم تهيؤوا للخروج ، فلما حضر خروجُهم ودَّع الناسُ أمراء رسول الله : زيداً ، وجعفراً ، وعبدالله ، وسلَّموا عليهم ، فلما وُدِّع ابن رواحة بكى ، فاستغرب الناس بكاءه ، ولعلهم حسبوه حزناً على فراق أهل أو ولد ، أو صبابة في الدنيا ، فيسألونه : ما يبكيك ؟ فيقول : أما والله ، ما بي حب الدنيا ولا صبابة بكم ، ولكني سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقرأ آية من كتاب الله يذكر فيها النار : ﴿وإن منكم إلا واردها كان على ربك حتماً مقضياً﴾ فلست أدري كيف لي بالصَّدَر عنها بعد الورود ؟ فقال المسلمون : صحبكم الله ، ودفع عنكم ، وردَّكم إلينا صالحين ، ولكن ابن رواحة كان يريد غير ذلك ، كان ينشدُ الشهادة في سبيل الله ، فردّ على الناس :

لكنني أسألُ الرحمن مغفرةً ... وضربةً ذات فرغٍ تقذف الزبَّدا
أو طعنةً بيديْ حَرانَ مُجهزَةً ... بحربةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدَا
حتى يقال إذا مرّوا على جَدَثِي ... أرشده الله من غازٍ وقد رشدا

ثم تهيَّأ القوم للخروج ، فأقبل النبي ـ صلى الله عليه وسلّم ـ لوداع الجيش ، فتعلّق به ابن رواحة يسأله أن يعلمه كلمات يستفيد منها في غيبته : « يا رسول الله ، مُرني بشيء أحفظه غداً ، قال : إنك قادم بلداً السجودُ فيه قليل ، فأكثر السجود . قال عبدالله : زدني يا رسول الله ، قال : اذكر الله فإنه عون لك على ما تطلب ، فقام من عنده حتى إذا مضى ذاهباً رجع إليه فقال : يا رسول الله ، إن الله وتر ويحب الوتر ، قال : يا ابن رواحة ، ما عجزت فلا تعجزن ، إن أسأت عشراً أن تحسن

(١) البداية والنهاية : ٤/ ٢٤١ .

واحدة ، فقال : لا أسألك عن شيء بعدها »[1] .

ثم ودّع النبي بقوله :

خلَفَ السلامُ على امرىء ودَّعْته   في النخلِ خيرَ مشيّعٍ وخليلِ

ومضى جيش المسلمين حتى نزل بمعان من أرض الشام ، ولما بلغ العدوَ مسيرهم ، قام شرحبيل بن عمرو الغساني فجمع أكثر من مائة ألف مقاتل من الروم ، وضم إليهم مائة ألف أخرى من القبائل القريبة من لخم وجُذام والقين وبَهراء وبَلِيٍّ ، وزحفوا نحو المسلمين ، فلما رأى المسلمون كثرة العدو أقاموا على معان ليلتين ينظَرون في أمرهم ، فقالوا : نبعث إلى رسول الله ، فنخبره بعدد عدونا ، فإما أن يُمدَّنا بالرجال ، وإما أن يكتب إلينا بأمره ، فنمضي له ، ولكن ابن رواحة يشجع الناس ، فيقول لهم : « يا قوم ، والله إن التي تكرهون للَّتي خرجتم تطلبون الشهادة ، وما نقاتل الناس بعدد ولا قوة ولا كثرة ، ما نقاتلهم إلا بهذا الدين الذي أكرمنا الله به ، فانطلِقوا ، فإنما هي إحدى الحسنيين : إما ظهور ، وإما شهادة » فتشجَّع الناس وقالوا : قد ـ والله ـ صدق ابن رواحة ، وأنشد في ذلك الموقف :

جَلَبْنا الخيلَ من أَجأٍ وفَرْعٍ   تُغَرُّ من الحشيشِ لها العُكُومُ
حَذَوْناها من الصَّوَّانِ سِبْتاً   أزلَّ كأنَّ صفحتَه أَدِيْمُ

ومنها :

فلا وأبي مَآبَ لَنَأْتِيَنْها   وإنْ كانتْ بها عَرَبٌ ورُوْمُ

وينجح ابن رواحة في إذهاب الروع عن النفوس بقوله وشعره ، فيتشجع المسلمون ويمضون ، حتى إذا كانوا بتخوم البلقاء لقيتهم جموع هرقل الكثيفة من الروم والعرب بقرية من قرى البلقاء يقال لها مَشَارف ، ثم دنا العدو ، وانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها مؤتة ، فالتقى الناس عندها ، وفي الطريق إلى مؤتة يسمع (زيد بن أرقم) ـ وكان يتيماً قد تربى في حجر ابن رواحة ـ سيده ينشد في الليل هذه الأبيات المؤثرة مخاطباً ناقته :

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٧/٣٩٣ .

إذا أدَّيْتِنِي وحملتِ رحْلِي ... مسيرةَ أربعٍ بَعْدَ الحِسَاءِ
فشأنُكِ أنْعُمٌ وخَلاكِ ذَمٌّ ... ولا أرجعْ إلى أهلِيْ وَرَائِي
وجاءَ المُسلمونَ وغادَرُوني ... بأرضِ الشَّامِ مُشْتَهِيَ الثَّوَاءِ
وردَّكِ كلُّ ذي نَسَبٍ قريبٍ ... إلى الرحمنِ مُنْقَطِعُ الإخاءِ
هنالكَ لا أُبالي طَلْعَ بَعْلٍ ... ولا نَخْلٍ أسَافِلُها رِوَاءِ

فلما سمع زيد ذلك تأثر فبكى ، فخفقه ابن رواحة بالدِّرة ، وقال : « ما عليك يا لُكَع أن يرزقني الله الشهادة ، وترجع بين شعبتيْ الرَّحْل! » ويلتحم جيش المسلمين القليل بجيش العدو الكثيف ، وتشتد المعركة وتعنف ، ويقاتل الأمراء الثلاثة بشجاعة وجلد . يندفع زيد بن حارثة فيقاتل براية رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى يشيط[1] في رماح القوم ، فيسقط بين الصفوف ، فيتقدم جعفر بن أبي طالب ، فيأخذ الراية ، فيقاتل بها ، حتى إذا ألحمه[2] القتال ، وأحاط به العدو من كل جانب ؛ اقتحم عن فرس له شقراء فعقرها[3] حتى لا تقع في يد العدو ، فكان أول رجل من المسلمين عقر في الإسلام ، ثم أقبل يقاتل وهو يقول :

يا حبَّذا الجنَّةُ واقترابُها ... طيِّبَةً وبارِداً شَرَابُها
والرُّومُ رُومٌ قد دنَا عذابُها ... كافرةٌ بعيدةٌ أنسابُها
عليَّ إذْ لاقَيْتُها ضِرَابُها

وأخذ اللواء بيمينه فقُطِعت ، فأخذه بشماله فقطعت ، فاحتضنه بعضديه ، فجاءه رجل من الروم فضربه ضربة فقطع نصفين ، فتساقط القائد الثاني وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة .

وجاء دور القائد الثالث عبد الله بن رواحة الذي كان مكلفاً بأخذ الراية بعد مقتل صاحبيه ، فتقدم يأخذها ، فداخل نفسه شيء من روع لا يخلو منه

---

(١) شاط الرجل : إذا سال دمه فهلك .
(٢) ألحمه القتال : نشب فيه فلم يجد مخلصاً .
(٣) اقتحم عن الفرس : رمى نفسه عنها ، وعقر الناقة : ضرب قوائمها وهي قائمة بالسيف .

الموقف ، فجعل يستنزل نفسه ، ويتردد بعض التردد ، ولكنه مايلبث أن يُقدم وهو يوبِّـخ نفسه قائلاً :

أَقْسَمْتُ يـا نفسُ لَتَنْزِلِنَّهْ لَـتَـنْـزِلَـنَّ أو لَـتُـكْـرِهِـنَّهْ
إنْ أجْلَبَ النَّاسُ وشدُّوا الرَّنَّةْ مـالـي أرَاكِ تَكْـرَهِيْنَ الجنَّـةْ
قَـدْ طَالما قَدْ كُنْتِ مُطمَئِنَّةْ هـل أنتِ إلا نُطْفَةٌ في شَنَّـةْ

وأخذ الراية ، ثم تقدم فقاتل ، فأصيبت إصبعه ، فارتجز قائلاً :

هـل أنتِ إلا إصْبَعٌ دمِيْتِ وفي سبيل اللهِ ما لَقِيْتِ
يـا نفسُ إلَّا تُقْتَلي تَمُوتي هـذا حِيَاضُ الموتِ قد صَلِيْتِ
ومـا تَمَنَّيْتِ فقد لقِيْتِ إنْ تفعَلِي فِعْلَهما هُدِيْتِ
وإنْ تأخرتِ فقد شَقِيْتِ[1]

ثم قال : « يا نفسُ ، إلى أي شيء تتوقين ؟ إلى فلانة ـ امرأته ـ فهي طالق ، وإلى فلان وفلان ـ غلمان له ـ فهم أحرار ، وإلى معجف ، حائط له ـ فهو لله ولرسوله » [2] .

ويأتيه ابن عم له بعرق من لحم ، ولم يكن ذاق طعاماً قبل ذلك بثلاث ، ويقول له : شدّ بهذا صلبك ، فإنك قد لقيت في أيامك هذه ما لقيت »[3] فأخذه من يده فانتهس منه نهسة ، ثم سمع جلبة القوم وضوضاءهم ، فقال : « وأنت في الدنيا ! » وألقاه من يده ، ثم أخذ سيفه فتقدم ، فما زال يقاتل حتى قتل .

وقيل إنه لما طعن استقبل الدم بيده ، فدلك به وجهه ، ثم صرع بين الصفين ، فجعل يقول : « يا معشر المسلمين ذُبُّوا عن لحم أخيكم » فجعل المسلمون يحملونه حتى يحوزوه ، فلم يزالوا كذلك حتى مات مكانه[4] .

وكان النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قد نعَىٰ للناس زيداً وجعفراً وابن رواحة

---

(١) صفة الصفوة : ١/ ١٩٣ .

(٢) أسد الغابة : ٣/١٥٩ .

(٣) صفة الصفوة : ١/ ١٩٣ .

(٤) أسد الغابة : ٣ / ١٥٩ .

قبل أن يأتيهم الخبر ، فقد أوحى الله إليه بذلك ، فنادى في الناس : الصلاة جامعة ، ثم صعد المنبر وعيناه تذرفان ، وقال : يا أيها الناس ! باب خير ، باب خير ، ثلاثاً . أخبركم عن جيشكم هذا الغازي ، إنهم انطلقوا ، فلقوا العدو ، فقتل زيد شهيداً ، فاستغفروا له ، ثم أخذ الراية جعفر ، فشدّ على القوم حتى قتل شهيداً ، فاستغفروا له ، ثم أخذ الراية عبدالله بن رواحة ، وأثبت قدميه حتى قتل شهيداً ، فاستغفروا له ، ثم أخذ اللواء خالد بن الوليد ، ولم يكن من الأمراء ، وهو أمير نفسه ، ولكنه سيف من سيوف الله ، فآب بنصره »[1] . ثم قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ : « لقد رفعوا لي في الجنة ـ فيما يرى النائم ـ على سرر من ذهب ، فرأيت في سرير عبدالله ازوراراً عن سرير صاحبيه ، فقلت : عم هذا ؟ فقيل لي : مضيا ، وتردد عبدالله بن رواحة بعض التردد » وفي حديث آخر أنه قال : « مثلوا لي في الجنة في خيمة من درة ، كل واحد منهم على سرير ، فرأيت زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدوداً ، وأما أعفر فهو مستقيم ليس فيه صدود ، قال : فسألت ، أو قيل لي : إنهما حين غشيهما الموت كأنهما أعرضا ، أو كأنهما صدًّا بوجوههما ، وأما جعفر فلم يفعل . . »[2] .

وقد رثى حسان بن ثابت شهداء مؤتة في قصيدته التي أولها :[3]

تــأوَّبـني لـيـلٌ بيثـربَ أعْـسَـرُ   وهمٌّ إذا مـا نـوَّمَ القـومُ مُسْهِـرُ

فذكر زيداً وجعفراً وابن رواحة قائلًا :

فـلا يُبْعِدَنَّ اللهُ قتلَى تتـابَعُـوا   بمؤتَـةَ منهم ذُو الجناحَيْنِ جَعْفَـرُ
وزيـدُ وعبـدُ اللهِ حينَ تتـابَعُـوا   جميعـاً وأسبـابُ المنيـةِ تَخْـطرُ

كما ذكرهم في قصيدته :[4]

عينُ جـودِي بـدمعِـكِ المَنْـزُورِ   واذكـري في الرخـاءِ أهلَ القُبُـورِ

(١) سيرة دحلان : ٢/ ١٠٠ .
(٢) حلية الأولياء : ١/ ١٢٠ .
(٣) ديوان حسان : ٢٢٣ .
(٤) ديوان حسان : ٢٢١ .

فقال في ابن رواحة :

ثم جودِي للخزرَجِيِّ بدمعٍ سيِّداً كانَ ثمَّ غيرَ نَزُورِ

وهكذا طُويت صفحة ابن رواحة ، المجاهد المؤمن البطل ، بعد أن أدّى دوره في الأحداث والمشاهد والمعارك كأروع ما يكون الأداء ؛ فقد كان عبدالله « أول خارج الى الغزو ، وآخر قافل »[1] .

وكما كان سيِّداً عظيم القدر في الجاهلية كان سيِّداً عظيم القدر في الإسلام ، فخيار الناس في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقُهُوا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم .

---

(١) الإصابة : ١/ ٣٠٧ .

ملامح من شخصية ابن رواحة

ابن رواحة صفحة مشرقة ناصعة البياض في تاريخ الإسلام ، وهو قدوة طيبة ، ومثال صالح ، ونموذج خيِّر كريم للمسلم الصادق ، والمؤمن الحق ، ولقد كان مجاهداً في نفسه كما كان مجاهداً في ميدان القتال . أدّى دوره في الأحداث الإسلامية كأحسن ما يكون الأداء ، فقد حضر مع رسول الله جميع الغزوات والمشاهد ، لم يتخلف ، ولم يجبن أو يتوان ، بل كان دائماً في مقدمة الصفوف حتى اشتهد في مؤتة استشهاد المؤمنين الكرماء .

وإذا كانت الفروسية والقتال والنزال معالم واضحة في حياة ابن رواحة فإن هذا بعض خصال الخير في هذه الشخصية الكريمة ؛ فكما كان مثلاً إذا اشتد الوغى وحمي الوطيس ؛ كان مثلاً في حياته الأخرى وقت الرخاء وأوان السلم .

فهو امرؤ صادق الإيمـان ، قوي العقيدة ، ومنذ أن عجّل في الدخول في دين الله ، وتفتح قلبه لدعوة الحق ؛ ملأ الإسلام أقطار نفسه ، فالتزم به فكراً وسلوكـاً وعقيدة ، فكان دائماً سباقاً إلى العبادة والطاعة وفعل الخيرات . قال أبو الدرداء : « إنْ كنا لنكون مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في السفر في اليوم الحار، ما في القوم أحد صائم الا رسولُ الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعبدالله بن رواحة »[1] .

ويبدو أن الناس كانوا يعرفون شدة تدين ابن رواحة وتقواه ، وكان أسوة حسنة

---

(١) سير أعلام النبلاء : ١/ ١٦٧ .

يحرص المسلمون على التشبه بها ، روي عن ابن أبي ليلى أن رجلاً تزوج زوجة عبدالله بن رواحة فقال لها : لم أتزوجك إلا لأن تخبريني عما كان يفعل عبدالله في بيته فقالت له في جملة قولها : « كان إذا أراد أن يخرج من بيته صلى ركعتين ، وإذا دخل صلى ركعتين ، لا يدع ذلك أبداً »[1] .

وكان مثالاً في الطاعة وامتثال أوامر الله ورسوله ، روي عن ابن أبي ليلى أنه أتى النبي يوماً وهو يخطب ، فسمعه وهو يقول : اجلسوا ، فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته ، وقيل : جلس في بني غنم ، فقيل : يا رسول الله ، ذاك ابن رواحة سمعك وأنت تقول للناس : اجلسوا ، فجلس في مكانه ، فقال له : « زادك الله حرصاً على طواعية الله وطواعية رسوله »[2] .

وكان دائم الذكر لربه ، كثير الطاعة ، والسعي إلى العبادة ، فكان إذا لقي الرجل من أصحابه ، يقول : تعال نؤمن بربنا ساعة[3] . وكان دائم الإحساس أنه لم يوفِّ الله حقَّ شكره ، وأن نعمه لا تُعَدُّ ولا تُحصى ، ولا تقوم بها ـ حق القيام ـ طاعة ولا عبادة ، فكان يبالغ في الشكر ، ويشدّد على نفسه ؛ فقد روى الحافظ عن مجاهد أن قوله تعالى : ﴿ لم تقولون ما لا تفعلون ﴾ إلى قوله : ﴿ صفاً كأنهم بنيان مرصوص ﴾ نزل في نفر من الأنصار ، فيهم عبدالله بن رواحة ، قالوا في مجلس : لو نعلم أي الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى لعملنا به حتى نموت ، فلما نزلت فيهم هذه الآية قال ابن رواحة : « لا أزال حبيساً في سبيل الله حتى أموت » فقتل شهيداً[4] .

وروي عن أنس قال : كنا مع رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ في سفر ، فأصابنا مطر ، فأمرنا رسول الله أن نصلي على ظهور رواحلنا ففعلنا ، ونزل ابن رواحة ، فصلى في الأرض ، فسعى به رجل من القوم ، فقال : يا رسول الله ، أمرت الناس أن يصلوا على ظهور رواحلهم ، ففعلوا ، ونزل ابن رواحة فصلى في الأرض ، فبعث إليه ، فقال : ليأتينكم وقد لقي حجته ، فأتاه فقال له : يا ابن

---

(١) المصدر السابق وصفحته .
(٢) تهذيب ابن عساكر : ٧/ ٣٨٨ .
(٣) المصدر السابق وصفحته .
(٤) المصدر السابق: ٧ / ٣٨٨ .

رواحة ، أمرتُ الناس أن يصلوا على ظهور رواحلهم ، فنزلتَ فصليت في الأرض ، فقال : يا رسول الله ، لأنك تسعى في رقبة قد فكها الله ، وإنما أنا نزلت لأسعى في رقبة لم تفكَّ ، فقال رسول الله : ألم أقل إنه سيلقى حجته . وفي رواية أنه قال : يا رسول الله ، أنا لست مثلك ، أنت تسعى في عنق ، ونحن نسعى في رقّ ، فلم يعب عليه ما صنع[1] .

وكان يبكي من خشية الله حتى تخضل عيناه من الدمع ، روي أنه قد بكى يوماً وبكت امرأته ، فقال : مالكِ ؟ قالت : بكيتُ لبكائك ، فقال : إني قد علمت أني واردُ النار ، وما أدري أناجٍ منها أم لا[2] ؟

وكانت لابن رواحة مكانة عالية في نفس رسول الله ؛ فقد أثنى عليه ، ودعا له في أكثر من موقف . قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ « نعم عبدالله بن رواحة » وقال : « رحم الله ابن رواحة كان أينما أدركته الصلاة أناخ » وقال : « يرحم الله ابن رواحة ، إنه يحب المجالس التي تتباهى بها الملائكة » وأغمي على عبدالله يوماً فعاده الرسول فقال : « اللهم إن كان قد حضر أجله فيسِّر له ، وإن لم يكن حضر أجله فاشفه ، فوجد خفة ، فقال : يا رسول الله ، أمي تقول : واجبلاه ، واظهراه ، وملك قد رفع مرزبة من حديد ، ويقول : أنت كذا ؟ فلو قلت : نعم ، لقمعني بها »[3] .

هذه ملامح من سيرة عبدالله ، وهي سيرة كلُّ ما فيها ناصع خيِّر ، فهي صورة الإيمان العميق ، ولوحة الجهاد والتقوى والصلاح . رحم الله ابن رواحة ، وأجزل في الجنة أجره ، ونفع بسيرته .

روايته للحديث

عندما تحدثنا عن حياة ابن رواحة ونشأته رأينا أنه قد اعتني بتربيته ورعايته منذ

---

(١) المصدر السابق وصفحته .
(٢) سير أعلام النبلاء : ١/ ١٧٠ .
(٣) تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٨٧ ـ ٣٨٩ .

الصغر ، فكان يكتب في الجاهلية ، والكتابة يومئذ قليلة في العرب[1] ، ثم كان يكتب للرسول بعد ذلك[2] . وقد استدللنا من ذلك على أن ابن رواحة كان على قدر من العلم والمعرفة ، وقد هيأه ذلك لأن تكون له رواية لأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقد روى عنه عدد من الصحابة ، روى عنه ابن عباس ، وأسامة بن زيد ، وأنس بن مالك ، والنعمان بن بشير ، وأرسل عنه قيس بن أبي حازم ، وأبو سلمة بن عبد الرحمن ، وعطاء بن يسار ، وعكرمه وغيرهم ، وله عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن بلال[3] ولم يدركه أحد منهم ، فهو أحد من أسند من الصحابة في حياة النبي عليه السلام[4] .

ومن الأحاديث التي رويت عنه :

أخرج ابن عساكر من طريق ابي سلمة بن عبد الرحمن عن عبدالله بن رواحة : « نهى النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يطرق الرجل أهله ليلاً » وقد مرت بنا قصة ذلك عندما عاد ابن رواحة ليلاً الى بيته بعد قفوله من غزوة المريسيع .

وأخرج من طريق عكرمة عن عبدالله بن رواحة قال : « نهانا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب »[5] . وأسند الحافظ إليه وإلى أسامة بن زيد عن بلال قال : توضأ رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ومسح على الموقين (الخفين)[6] وهكذا جمع ابن رواحة إلى مآثره معرفة بحديث رسول الله ، ورواية له .

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٨٧ .
(٢) الإصابة : ١/ ٣٠٦ .
(٣) سير أعلام النبلاء : ١ / ١٦٦ ، وشرح شواهد المغني : ٢٨٨ .
(٤) شرح شواهد المغني : ٢٨٨ .
(٥) المصدر السابق وصفحته .
(٦) تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٨٧ .

الفصل الثاني

شعره الجاهلي

تمهيد :

عرفنا فيما تقدم أن ابن رواحة شاعر مخضرم ، أدرك الجاهلية والإسلام ، وكانت له مشاركة إيجابية فعّالة في كلّ فترة من هاتين ، وعرفنا كذلك أن يثرب ـ بيئة الشاعر ـ كانت موطن حركة شعرية نشيطة ؛ فقد كان يذكي الشعر هناك ، ويساعد على ازدهاره وتطوره تلك الخصوماتُ المستمرةُ التي كانت بين الأوس والخزرج ، وقد أشرنا إلى أن المعارك الحربية لم تكن تنفصل أبداً عن المعارك الأدبية ، وأن الشعر كان سلاحاً فتاكاً ماضياً من أسلحة الحرب ، يجرح مثلما يجرح السنان ، ويطعن مثلما يطعن السيف .

وقد أخذ عبدالله دوره في هذه المعارك جميعها ، فوقف إلى جانب قومه الخزرج يدافع عنهم بالسلاحين كليهما : السيف واللسان . وأول ما نتوقف عنده ونحن نتحدث عن شعره الجاهلي ، وكذلك شعره الإسلامي ـ كما سنرى ذلك فيما بعد ـ هو قلة ما بين أيدينا من هذا الشعر قلةً واضحة ملحوظة لا تتفق مع ما يذكره لنا الرواة عن مكانة ابن رواحة الشعرية ، ومنزلته الأدبية .

بين أيدينا من شعره الجاهلي قصيدتان من قصائد النقائض هما الوحيدتان اللتان وصلتا إلينا متكاملتين ، أو شبه ذلك على الأقل ، ثم مجموعة أبيات أخرى متفرقة من هنا وهناك لا تزيد عن عشرة أبيات ، ولا تكاد تسمن أو تغني من جوع، وهي كلها من شعر النقائض كذلك .

ومن هنا لم يكن بدّ من الافتراض أن قسماً كبيراً من شعر ابن رواحة قد ضاع

فيما ضاع من تراثنا الأدبي الزاخر ، ولم يصل إلينا ، وبين أيدينا مجموعة من الأمور التي تشعر أن عبدالله قد عُرف بشعر أغزر بكثير مما بين أيدينا في الوقت الحالي. من ذلك مثلاً أن ابن سلام في طبقات فحول الشعراء يضع ابن رواحة في طبقة يسميها (طبقة شعراء القرى العربية) وهي (المدينة ، ومكة ، والطائف ، واليمامة ، والبحرين) ثم يقول ابن سلام بعد ذلك : « وأشعرهن قرية المدينة ، شعراؤ ها الفحول خمسة : ثلاثة من الخزرج ، واثنان من الأوس . فمن الخزرج من بني النجار حسان بن ثابت ، ومن بني سَلِمة كعب بن مالك ، ومن بلحارث بن الخزرج عبدالله بن رواحة . ومن الأوس قيس بن الخطيم من بني ظفر ، وأبو قيس بن الأسلت من بني عمرو بن عوف . . »[1] .

فعبدالله إذن من الفحول ، وهو في طبقة حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وقيس بن الخطيم ، وكلٌّ من هؤلاء شاعر فحل مجيد ، كثير الشعر ، ولا شك أن لعبدالله من الشعر ما يجعله يقف في صف هؤلاء الشعراء ، أو يدنو من مكانتهم على الأقلّ ، ولو لم يكن له إلا هاتان القصيدتان اللتان بين أيدينا لما استحق أن يكون من الفحول ، ويسلك في طبقة شعراء مجيدين مكثرين كحسان وقيس ،وهذا الذي نقوله هو أصلا مقياس ابن سلام الذي استدل به على ضياع كثير من الشعر العربي ، حتى إن ما بين أيدينا منه إنما هو القليل من الكثير الذي قالته العرب . يقول ابن سلام : « ومما يدل على ذهاب الشعر وسقوطه قلَّةُ ما بقي بأيدي الرواة المصحِّحين لطرفة وعبيد ، اللذين صح لهما قصائد بقدر عشر . وإن لم يكن لهما غيرهن فليس موضعهما حيث وُضِعا من الشهرة والتَّقْدِمة ، وإن كان ما يُروى من الغثاء لهما ، فليس يستحقان مكانهما على أفواه الرواة . ونرى أن غيرهما قد سقط من كلامه كلام كثير ، غير أن الذي نالهما من ذلك أكثر ، وكانا أقدم الفحول ، فلعل ذلك لذاك ، فلما قلّ كلامهما ، حُمل عليهما حَمْلٌ كثير »[2] .

فمن الواضح أن ابن سلام يستدلّ على سقوط شيء كثير من شعر طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص بما لهما من مكانة عند الرواة تجعلنا نفترض أن يكون لهما

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢١٥ .

(٢) المصدر السابق : ٢٦ .

شعر كثير حتى استحقا هذه المنزلة . فكثرة الشعر مقياس من مقاييس الحكم على الشاعر بالتفوق والتقدمة ، وقد أكثر ابن سلام في كتابه الطبقات من الاحتكام إلى هذا المقياس . يقول عن الأسود بن يعفُر مثلاً : « وله واحدة رائعة طويلة ، لاحقة بأجود الشعر ، لو كان شَفَعها بمثلها قدّمناه على مرتبته »[1] .

ومن قبل ابن سلام احتكم الأصمعيّ إلى كثرة الشعر في تقدمة الشاعر ، وعدِّه بين الفحول ؛ فقد سئل عن مهلهل بن ربيعة ، فقال عنه : « ليس بفحل ، ولو قال مثل قوله :

أليلتنا بذي حسم أنيري

خمس قصائد لكان أفحلهم »[2] وسئل عن الحويدرة ، فقال : « لو كان قال خمس قصائد مثل قصيدته ـ يعني العينية ـ كان فحلاً . . »[3] .

وقد شهد لابن رواحة بحسن الشعر وجودته عدد من العلماء والرواة ، فقد عدَّه أبو زيد القرشي في كتابه (جمهرة أشعار العرب) من أصحاب المذهبات ، وقصيدة ابن رواحة :

تذكَّرْ بعدما شطَّتْ نجودا وكانتْ تيَّمتْ قلبي فريدا

هي ثانية المذهبات في جمهرة أبي زيد[4] .

ويقول عنه الآمدي في المؤتلف والمختلف : هو شاعر محسن وفارس[5] . ووصفه صاحب حسن الصحابة بأنه أحد الشعراء المفلقين[6] .

وقال عنه ابن عبد البر إنه أحد الشعراء المحسنين[7] .

---

(١) المصدر السابق : ١٤٧ .
(٢) الموشح : ١٠٦ .
(٣) المصدر السابق : ١١٨ .
(٤) جمهرة أشعار العرب : ٢٤٣ .
(٥) المؤتلف والمختلف : ١٢٦ .
(٦) حسن الصحابة : ١/ ٣٥ .
(٧) الاستيعاب : ٣/ ٨٩٨ (ترجمة ١٥٣٠) .

إن هذه الأقوال وغيرها مما قد نورده في مكان آخر تصور شاعرية ابن رواحة ، وما عُرف به من إحسان وتفوق في قول الشعر ، مما يحملنا على الاعتقاد بأن للرجل شعراً آخر كثيراً لم يصل إلينا ، فهو داخل فيما ذكره أبو عمرو بن العلاء ذات مرة : « ما انتهى إليكم مما قالت العرب إلا أقلّه ، ولو جاءكم وافراً لجاءكم علم وشعر كثير »[1] .

وعلى كل حال فقد بقي لنا من شعر عبدالله الجاهلي قصيدتان وعدد من الأبيات القليلة المتفرقة ، وسنحاول من خلال هذا اليسير المتبقي أن نتصور طبيعة هذا الشعر ، ونحدد موقعه من الشعر العربي الجاهلي .

ويلاحظ فيه أنه جميعه شعر قبلي ، وهو مناقضات لقصائد قالها شعراء الأوس في هجاء الخزرج قوم الشاعر ، وتعييرهم بما كان يحدث في تلك الأيام المشهورة بين الطرفين من كرّ وفرّ ، وإقدام وإحجام ، ولم يكن دور ابن رواحة في هذه الحروب والأيام دور الرجل العادي ؛ فقد كان هو وأسرته من سادة القوم وكبرائهم ، ومن أصحاب الحلّ والربط فيهم ، وكان فارساً مقداماً ، ومقاتلاً جريئاً ، ذا خبرة وحنكة بفن المعركة وشؤون القتال ، ومن هنا كان دوره في هذه المعارك دوراً بارزاً مهماً ، وهو دور لعبه ابن رواحة بسلاحين اثنين كان يمتلك من كل منهما حظاً من التفوق والمقدرة ، هما سلاح القتال ، وسلاح الشعر . كانت المعركة الشعرية بين الفريقين المتحاربين ـ كما عرفنا ـ عنيفة قوية لا تقلّ ضراوة عن معارك القتال ، وقد خاض فيها شعراء من كافة الجهات ، من الأوس والخزرج ومن اليهود كذلك ، ونشأ في ظل ذلك فنّ المناقضة ، وأخذ شكلاً فنياً متكاملاً لأول مرة في حروب الأوس والخزرج . في أعقاب كل معركة ، أو يوم من الأيام كان يقف الشعراء ، ليتحدثوا عن انتصارات قومهم ، وشجاعة فرسانهم ، وليذيعوا مفاخر القوم ومحامدهم ، أو ليبكوا قتلاهم ، ويرثوا أبطالهم ، أو ليهجوا خصومهم ، ويذكروا مثالبهم ، ويهوّنوا من شأنهم . وقد وقف ابن رواحة في الأيام الأخيرة للأوس والخزرج مع حسان بن ثابت وكعب بن مالك ينافحون عن قومهم الخزرج ، ويردون على قيس بن الخطيم ، وأبي قيس بن الأسلت ، وعُبَيْد بن نافذ وغيرهم من شعراء الأوس .

---

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢٥ .

وقد شهد عبدالله الأيام الأخيرة من حروب الأوس والخزرج كيوم حاطب ويوم بُعَاث ، وما تخلل هذين اليومين من وقائع وصدام ، ولكنه لم يحضر الأيام الأولى ، كيوم سُمَير ، وما تخلله من أحداث كثيرة ؛ فقد كان يومُ سُمَيْر هذا أولَّ أيام القوم ، وأغلب الظن أن ابن رواحة لم يكن قد ولد يومذاك ؛ فالرواة يحدثوننا أنه كان بين يوم سُمير ويوم حاطب مئة سنة وضعت خلالها الحرب أوزارها ، فلم يحدث فيها قتال ولا نزال[1] . ثم كان ـ بعد يوم حاطب ـ يومُ بُعَاث آخر أيامهم . وشعر ابن رواحة الجاهلي المتبقي بين أيدينا كلّه في هذين اليومين ووقائعهما . وعندما نستعرض هذا الشعر نجد عبدالله يقف دائماً موقف الرادّ على خصمه ، الناقض لما يقول ، وليس بين أيدينا شعر بدأ فيه القول حتى في تلك الوقائع التي كان النصر فيها حليف الخزرج قومه .

وسنحاول الآن أن نلقي نظرة على شعر ابن رواحة الجاهلي الذي بين أيدينا حسب ترتيبه الزمني .

شعره في يوم الفضاء :

اختُلِف في الحديث عن زمان يوم الفضاء ، فقد ذكره أبو الفرج في موطنين من كتابه بروايتين اتفقتا على أنه من وقائع يوم سُمَيْر ، ثم اختلفت الروايتان بعد ذلك في تحديد موقعه وزمانه ؛ فالرواية الأولى تجعله بين بئر سالم وقُبَاء ، وتذكر أنه أول أيام سُمير ، وتجعله الثانية عند آطام بني قينُقاع ، وتذكر أنه ثاني أيام حرب سمير ، وأن اليوم الأول كان عند الصَّفِينَة ، وهي قرية لبني عمرو بن عوف ، وأن الصَّفِينَة هذه هي التي بين بئر سالم وقُبَاء . قال أبو الفرج في الرواية الأولى : « ثم زحف مالك بن العجلان بمن معه من الخزرج ، وزحفت الأوس بمن معها من حلفائها قُريظة والنَّضير ، فالتقوا بفضاء كان بين بئر سالم وقباء ، وكان أول يوم التقوا فيه ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم انصرفوا وهم مُتَنصِفُون جميعاً . ثم التقوا مرة أخرى عند أُطُم بني قَيْنُقَاع ، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم ، وكان الظفر يومئذٍ للأوس على الخزرج . . »[2] .

---

(١) الكامل لابن الأثير : ١ / ٤١١ .

(٢) الأغاني : ٣ / ٢٤ ـ ٢٥ .

وقال في الرواية الثانية : « ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصَّفِينة بين بئر سالم وبين قباء ـ قرية لبني عمرو بن عوف ـ فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى نال بعض القوم من قوم . . فجمع القومُ بعضُهم لبعض ثم التقوا بالفضاء عند آطام بني قينُقاع فاقتتلوا قتالاً شديداً ، ثم تداعوا إلى الصلح . . »[1] .

أما ابن الكلبي فلم يحدد مكانه ، ولكنه ذكر في حديث طويل ما يُفهم منه أن يوم الفضاء كان بعد يوم الرُّبَيْع[2] الذي هو أحد وقائع يوم حاطب ، وهذا أدنى إلى الصواب مما ذكره أبو الفرج ؛ لأننا نستبعد أن يكون عبدالله بن رواحة قد شهد يوم سُمَير ، فهو أقدم أيام الأوس والخزرج ، بينه وبين يوم حاطب مئة سنة كما ذكرنا من قبل ، وأغلب الظن أنه لم يكن قد ولد بعد ، فقد حضر ذلك اليوم جدّه عمرو ابن امرىء القيس ، واحتُكِم إليه فيه .

أقدم ما بين أيدينا من شعر ابن رواحة الجاهلي إذن يعود إلى يوم الفضاء الذي ربما كان أحد وقائع يوم حاطب ، وقد اقتتل الأوس والخزرج في يوم الفضاء قتالاً عنيفاً حتى حجز الليل بينهم ، فأفضلت الأوس يومئذ على الخزرج ، فقال قيس بن الخطيم قصيدته التي مطلعها[3] :

صرمتَ اليومَ حبلَكَ من كَنُودا ... لتُبْدِلَ حبلَها حبلاً جديدا

فردّ عليه عبدالله بقصيدته :

تذكَّر بعدما شطّت نَجُودا ... وكانت تيَّمتْ قلبي وليدا

وهما ـ بطبيعة الحال ـ من وزن واحد ، وروي واحد ؛ لأنهما نقيضتان . وقد استهلّ ابن الخطيم قصيدته بمطلع غزليّ ، شبّب فيه بامرأة سماها (كنود) وقد بدا في هذا المقطع الغزلي معتداً بشخصيته ، تملؤه الأنفة ، وعزة النفس ، وكأنما كان هذا من أصداء انتصار قومه في الحرب ، فهو يصرم ودّ صاحبته لأنها أظهرت له شيئاً من جفاء أو نحوه ، وتأبى كرامته أن يتحمل ذلك منها كما يفعل الكثير من العشاق عادة ، وهو يفعل ذلك على الرغم من أن صاحبته امرأة ذات دلّ

(١) الأغاني : ٣ / ٤٠ ـ ٤١ ، وانظر ديوان قيس بن الخطيم : ٢١٠ .

(٢) ديوان حسان : ١٥٠

(٣) ديوان قيس : ١٤٥ .

وجمال ، وذات عزّ وجلال ، فهي تتهادى في مشية كلها سكينة ورفق وتؤدة ، وقد ارتدت فاخر الثياب ، وتزينت بأثمن الأصباغ ، وهي رهيفة البطن كسيف هندي ، ولكنها ممتلئة الجيد والمعاصم ، فهي تمثل هذا النموذج الجمالي الذي كان يتعشقه العربيّ في المرأة ، وهي ذات وجه مشرق مضيء ، كدينار صافٍ مصقول :

مِنَ اللائي إذا يَمْشِيْنَ هَوْناً	تَجلبَبْنَ المَجَاسِدَ والبُرُودا
كأنّ بطونَهُنَّ سيوفُ هِنْدٍ	إذا ما هُنَّ زايَلْنَ الغُمُودَا
تَبَدَّتْ ليْ لتقتُلَني فأبْدَتْ	معاصِمَ فخمةً منها وجِيْدَا
ووجهاً خلتُه لمَّا بَدَا ليْ	غداةَ البَيْنِ دِيناراً نَقِيْدَا

ويبدأ ابن رواحة نقيضته التي رد بها على قيس بمقدمة غزلية كذلك ، تستغرق منه سبعة أبيات ، هي :

تذكَّر ـ بعدما شطَّتْ ـ نَجُودَا	وكانتْ تيَّمتْ قلبي وليدا
كذي داءٍ يُرى في الناس يمشي	ويكتُمُ داءَه زمناً عميدا
تَصَيَّدُ عَوْرَةَ الفتيانِ حتى	تَصِيدَهُمُ وتَشْنأُ أنْ تَصِيْدَا
فقد صادتْ فُؤادَكَ يومَ أبدَتْ	أسِيْلاً خدُّها صَلْتاً وجِيدا
تُزَيِّنُ مَعْقِدَ اللبَّاتِ منها	شُنُوفُ في القلائدِ والفريدا
فإنْ تَضْنُنْ عليكَ بما لدَيْها	وتقلبْ وصلَ نائِلها جديدا
لَعَمْرُكَ ما يوافِقُني خليلٌ	إذا ما كانَ ذا خُلْفٍ كَنُودَا

ومن الواضح هذا التشابه بين المقدمتين الغزليتين ، فعبدالله كذلك معتد بشخصيته ، وهو إن كان يعشق فتاته الجميلة مذ كان صغيراً ، ويكتم هذا العشق عن الناس كما يكتم مريض داءه حتى ليظنه الآخرون صحيحاً معافىً لأنهم يجدونه يمشي بينهم ؛ فإنه مع ذلك من عزة النفس ، ومن الأنفة والكبرياء ، بحيث لا يتحمل ممن يحب ـ على عمق هذا الحب ، وبعد عهده ـ أيّ جفاء أو صرم أو تقلّب ، وامرأة عبدالله كذلك مترفة مرفهة منعمة ، تزين جيدها أصناف الحليّ والجواهر ، بل من العجيب أن يختار ابن رواحة لصاحبته اسم (نجود) في مقابل

(كنود) صاحبة ابن الخطيم ، وهكذا يبدو التشابه واضحاً في هاتين المقدمتين الغزليتين ، مما يدل على تأثر ابن رواحة بابن الخطيم لأن قيساً هو الذي أخذ في هذه المعاني أولاً ، وعبد الله ينشىء القول بعده ، وإذا كان في انتصار الأوس قوم ابن الخطيم ما يفسر هذا التعاليَ الذي نجده في المقدمة الغزلية ؛ فإن الهزيمة في المقابل لم تؤثر في نفسية ابن رواحة ، بل ظل هو الآخر صلباً ، قويّ الشكيمة ، يرفض أن يلين أو يتخاذل ، وعلى كلٍّ فإن أثر أبيات قيس كان واضحاً في مقدمة شاعرنا ؛ ففي كلتا المقدمتين نفس واحد متشابه ، وروح متقاربة ، ولعل ابن رواحة أحسّ في استهلال صاحبه الغزلي روح الانتصار والزهو ، فأحب أن يقابل ذلك بزهو مشابه ، وعزة نفس مماثلة لعزة نفس قيس تجاه صاحبته ، تأكيداً للتماسك والصمود ، وإعلاناً عن التحدي والإقدام ، وهكذا وظف شاعرنا ـ كما فعل صاحبه ـ المقدمة الغزلية من أجل هذا الغرض ، واتخذ ـ كصاحبه كذلك ـ من الحديث عن هجر الحبيب وصرمه ، وقطع الآصرة التي تربطهما رمزاً لزهو ردّ به على زهو ، وغروراً قابل به غروراً . ومن أجل ذلك بدا المقطع الغزليّ في كلتا القصيدتين ذا صلة واضحة بالجو العام الذي تتحدث عنه القصيدة ، فهو من وحي المعركة ، وما يخيم عليها من انتصار وغرور ، أو من صمود وإصرار . .

ثم نمضي بعد المقدمة الغزلية إلى الغرض الأصيل في القصيدة ، فأما ابن الخطيم فهو مزهو بانتصار قومه في يوم الفضاء ، يملؤه الغرور والعنجهية والانتفاخ ؛ فقد ظفر الأوس بخصومهم الخزرج من بني عوف وإخوتهم تزيد ، وأوقعوا فيهم هزيمة ساحقة ، فقتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وسقوهم في (الفضاء) كؤوس الموت والهلاك ، ويختلط الفخر في قصيدة ابن الخطيم بالهجاء : فخر بقومه المنتصرين ، وهجاء لخصومهم المنهزمين . لقد لقُوا الأعداء بكل فتى محنك خبير بشؤون الحرب والقتال ، ومن خلفه جيش مستعد مهيّأ قادر ، يركب خيلاً مائلة الأعناق ، ضامرة ، هزيلة الحشا لكثرة ما خاضت من حروب ، وطوت من مسافات ، وهو يُعرِّض بالخصوم ، ويسخر منهم سخرية لاذعة عن طريق هذه الصورة التي رسمها ؛ أحسب الخزرج قتال الأوس أمراً سهلاً كأهل التمر والهبيد ؟ أسوّل لهم الغرور أنهم أمام خصم كالخصوم ؟ ماذا كانت نتيجة هذا الغرور الأرعن ؟ قُتِل بنو ساعدة بن كعب ، وبنو طريف بن الخزرج ، وضُربت

عليهم الذلة والعار ، فغدوا في مجالسهم كالقردة الخاسئين ، وأصابتهم عزمات الأوس ، ونالهم منهم البأس الشديد ، وهم الملوك ، أصحاب الخبرة بفن السلاح ، وصناعة الحديد ، ولكن هذه السيادة ، وهذه الخبرة ، لم تشفعا لهم أمام ضربات الأوس وعزماتهم ؛ فقد علتهم السيوف ، وتساقط أهل الشر والخنا لا يستطيعون الصمود ، ويختلط الفخر بالهجاء في صورة بديعة رسمها ابن الخطيم ، تجلّت في هذه المفارقة الطريفة بين موقف الفريقين المتحاربين ، ففي حين ينشد الخزرج الفرار ، بل (يأبى) جمعهم إلا هذا الفرار وكأنه لم يبق أمامهم خيار غيره ، يَرِد جيش الأوس زاحفاً متقدماً ، بل هو (يأبى) إلا هذا الورود الذي لا يعرف غيره .

ويختم ابن الخطيم قصيدته بأبيات يضمِّنها وعيداً وتهديداً ، وتحذيراً أن يعود الخزرج ثانية إلى قتال الأوس ؛ فهم بذلك يجشمون أنفسهم ما لا قدرة لهم عليه ؛ فقد أفنتهم سيوف الأوس قديماً ، وشردت من بقي منهم ، وإن حدثتهم النفس بالعودة ؛ عاد الأوس إليهم ، وكانوا لهم بالمرصاد ، يقتلون من يقتلون ، ويأخذون من تبقى عبيداً وأسارى . يقول قيس :

سقَيْنا بالفضاءِ كؤوسَ حَتْفٍ ... بني عَوفٍ وإخوتَهم تَزِيْدَا
لقيناهُمْ بكلِّ أخِي حروبٍ ... يَقُودُ وراءَه جمعاً عَتِيْدَا
ومُشْرِفَةَ التَّلائِلِ مُضْمَرَاتٍ ... طَوَى أحشاءَها التَّعْدَاءُ قُودَا
أكنتُمْ تَحسَبُون قتالَ قومي ... كأكلِكُمُ الفغايا والهَبِيْدَا؟[1]
أصابَ القتلُ ساعدةَ بنَ كعبٍ ... وغادرَ في مجالسها قُرُودا
وقد رُدَّ العزائمُ في طريفٍ ... وأقْيَالٍ يصوغُون الحدِيْدَا[2]
وإنَّ سيوفَنَا ذهبت عليكم ... بني شَرِّ الخَنَى مَهَلاً بعيدا
ويأبَى جمعُكُم إلا فِراراً ... ويأبَى جمعُنا إلَّا وُرُودَا
وإنّ وعِيدَناكُمْ حينَ نمشِي ... بِهِنَّ على المَنُون ولا وعِيدا

---

(١) الفَغَى (مقصور) : التمر الذي يغلظ ، ويصير فيه مثل أجنحة الجراد . والهبيد : أن يؤخذ حبّ الحنظل فينقعُ في ماء أياماً ، ثم يُصبُّ ذلك الماء ، ويُجدد له ماء آخر حتى تخرج مرارته ثم يُطبخ .
(٢) الأقيال ، جمع قيل : وهو الملك .

ألاَ مَنْ مُبْلِغٌ عنـي كُعَيْباً ... فهل يَنْهَاكَ لُبُّكَ أنْ تعودَا؟
أرانـي كلما صـدَّرْتُ أمراً ... بني الرَّقْعَاءِ جشَّمَكُم صَعُودا[1]
فما أبقتْ سُيوفُ الأوسِ منكُمْ ... وحَدُّ ظُبَاتِهَا إلاَّ شَرِيدا
فلنْ تَنْفَكَّ نقتُلُ ما حَيِيْنَا ... رجالَكُمُ ونجعلُكُم عَبِيْدا

وأما ابن رواحة فقد كان أطول نفساً من صاحبه ، فقصيدته تزيد على قصيدة ابن الخطيم ، ولكن الفخر قد استغرق معظم أبياتها ، وكأنه أراد بهذه الإطالة في الفخر بقومه أن ينقض ما زعمه شاعر الأوس ، وما نسب إليهم من مثالب وعيوب . ويلاحظ أولاً أن ابن رواحة كان أكثر توفيقاً من قيس في الانتقال من المقدمة الغزلية الى الغرض الأصيل ؛ فعلى حين انتقل ابن الخطيم انتقالاً مفاجئاً ؛ نجد شاعرنا قد ختم المقطع الغزلي بالإشارة إلى رأيه في مثل هذا المحبوب الذي كان يتحدث عنه ، وكأنما كان ذلك كالإيذان بانتهاء الحديث في هذا الموضوع ، والانتقال إلى موضوع آخر .

ثم يبدأ حديث الفخر ، وهو ـ كما قلنا ـ حديث طويل ـ استغرق منه أكثر من اثني عشر بيتاً ، اختلط فيه الفخر بالجماعة بالفخر الشخصي ، ولكن أغلبه كان فخراً بقومه الخزرج أمام ما نسبه إليهم شاعر الأوس . وقد حشد جميع صفات المجد والسيادة التي كان يتمدح بها الجاهليون ، وتجمعت فيه معظم القيم والمثل التي كانت تشكل عناصر الفخر الجاهلي ، فهم قوم كرام يطعمون الطعام أيام الشدة والضيق ، وفي وقت الأزمات وحين المحل ، فإذا لم يجد الآخرون ما يقدمونه للأضياف إلا الفصيد من الطعام الذي لا يؤكل إلا عند الأزمة ، وإن لم تعد هنالك جفان ملأى بالطعام اللائق الدسم ؛ نجد الخزرج أهل الجود والكرم ، وأهل الجاه والغنى والعز ، يخرج من عندهم طعام الشتاء لكل محتاج أو مسترفد ، وتمتلىء قدورهم بأطايب الأطعمة ، وألوانها المتعددة الأشكال والألوان ، يصيب منها القاصون والدانون ، يقول عبدالله :

وقد عَلِمَ القبائلُ ـ غير فخرٍ ـ ... إذَا لم تُلْفِ ماثِلَةً رَكُودَا
إذا مَا واجِبُ الأضيافِ أمْسَى ... وكان قِرَاهُمُ غَثّاً فَصِيْدا

---

(١) الرقعاء : الحمقاء. والصعود : العقبة الشاقة ، أي جشمكم أمراً يشق عليكم .

بـأَنَّـا تَـخْـرُجُ الشَّـتَـوَاتُ مِـنَّـا ... إذَا مـا اسْتَحْكَمَتْ حَسَباً وجُـودا
قُـدُورٌ تَـغْـرَقُ الأوصـالُ فيـهـا ... خضِيْبٌ لـونُها : بِيْضـاً وسُـودا
وإنْ رَسَـلٌ تـرفَّـعَ بعـدَ طُعْـمٍ ... فـعَـادَ لكـي يُعـادَ لـه أُعِـيـدا
متى مـا تـأتِ يثـربَ أو تَـزُرْهـا ... تَجِـدْنـا نحن أكـرمَهـا وجُـودَا

ثم ينتقل من الحديث عن قيمة الكرم التي تشكل اللون البارز في هذا الفخر ليشير إلى قيم أخرى ، فإذا أتيت يثرب وجدت الخزرج يحملون من صفات المجد والسمو والرفعة ما يجعلهم ـ عن جدارة ـ أكرم من حلّ بها : جمعوا الكرم ، والخطابة ، والعدل ، والوفاء بالعهود ، وإغاثة الملهوف الذي يدعوهم ، وجمعوا العزة والإباء فلا يقيمون على ضيم ، فإن دُعُوا لأخذ ثأر ، أو لردّ مظلمة ؛ وجد الداعي عندهم جمعاً عديداً يسدّ الحاجة ، ويقوم بالمطلوب ، وهم ـ على غلظتهم على العدو ، وخشونتهم في الردّ عليه ـ لا يريدون شراً ، ولا يبغون عدواناً ، بل تجد منهم لين جانب ، وسماحة نفس لمن أراد الخير ، ونشد الحق . يقول عبدالله :

متى مـا تـأتِ يَثْـرِبَ أو تَـزُرْهـا ... تجِـدْنـا نحن أكـرمَهـا وجُـودَا
وأغْـلَظَهـا عـلى الأعـداءِ رُكنـاً ... وألْيَنَهـا لبـاغِيْ الخيـرِ عُـودَا
وأخـطَبَهـا إذا اجتـمعُـوا لأمـرٍ ... وأقْـصَـدَهـا وأوفـاهـا عُـهُـودَا
إذا نُـدْعَـىٰ لـثـأرٍ أو لـجـارٍ ... فنحنُ الأكثـرون بـهـا عَـدِيْـدَا

ثم يفخر في بيتين فخراً شخصياً ، فيواجهنا ضمير المتكلم ، ونجد الشاعر يتحدث عن مكانته في قومه ، ويشير إلى سيادته فيهم ، فما هو بالرجل المغمور ، أو المجهول ، أو الوحيد الذي لا عدة له ولا عدد ، إن من حواليه جموع ساعدة بن عمرو ، وجموع تيم اللات ، قد استعدوا في لباسهم وحديدهم ، وكأنهم ينتظرون منه أمراً حتى يقضوا بما أراد :

متى ما تدعُ في جُشَمِ بنِ عوفٍ ... تـجـدْنـي لا أغـمَّ ولا وحـيـدا
وحـولي جمعُ سـاعـدةَ بنِ عمـرٍو ... وتيمُ الَّـلاتِ قد لبسُـوا الحـديـدَا

ولكنه سرعان ما يذوب في ذات الجماعة ، فينتقل عن هذا الفخر الشخصي ـ

الذي ربما كان ردة فعل لتلويح قديم من قيس بابن رواحة - إلى مقطع آخر هو الرد المباشر على قيس ، وهجاء الأوس ، فيذكر أن الخزرج من القوة والقدرة بحيث لا تفكر في الانتقام من الأحلاف التي تحزَّبتْ ضدها ، فقد تكاملت لهم السيادة من كل أقطارها ، ولا يستطيع أحد أن ينتقص هذه المكانة أصلاً ، أو ينال منها ، ولقد اعترف لهم قيس نفسه بالسيادة ، فزعم أنه قد نال منهم (أقيالاً) أي ملوكاً ، وأما نحن فما نلنا منكم إلا العبيد ؛ لأنه ليس فيكم ملك ولا سيادة ، تركناكم أذل من (بنات فقع)[1] وغادرنا جحجبى وبني عوف أذلاء خانعين في مجالسهم ، وأبحنا ديار أبي أمية ، وأهلكنا الأوس جميعاً ، فألحقناهم بمن باد من الأمم الماضية ، ولم يبق منه أثر ، كثمود وغيرهم ، ويعرِّض ابن رواحة بالأوس تعريضاً ساخراً لأنهم قد حالفوا اليهود على حرب الخزرج بعد أن كانوا يحتقرونهم ، ويمتهنون شأنهم ، ويختم القصيدة بالعودة إلى الحديث عن أمجاد قومه وانتصاراتهم على الأوس ، وكأنه يستمد من رصيد قديم ، أو يعود إلى جعبة الماضي ، يقول عبدالله :

زعـمـتُـم أنَّـمـا نِـلـتُـم مـلـوكـاً	ونـزعُـمُ أنَّـمـا نِـلْـنـا عَـبِـيْـدَا
ومـا نـبـغِـي مـن الأحـلافِ وَتْـراً	وقـد نِـلْـنـا الـمُـسَـوَّدَ والمَـسُـودَا
وكـان نـسـاؤُكـم فـي كـلِّ دارٍ	يُـهَـرِّشْـنَ الـمعـاصِـمَ والخُـدُودَا
تـركْـنـا جَـحْـجَـبَى كبـنـات فقـعٍ	وعـوفـاً في مجـالسهـا قُـعـودا
ورهطَ أبـي أمـيـة قـد أبـحـنـا	وأوسَ الله أتْـبَـعْـنـا ثـمـودا
وكـنـتـم تـدَّعـون يـهـودَ مـالاً	ألآنَ وجـدتُـمُ فـيـهـا يـهـودا؟
وقـد ردُّوا الغنـائمَ في طـريـفٍ	ونـحَّـامٍ ورهطِ أبـي يـزيـدا
تـركْـنَ مـجـمَّـعـاً وبـنـي أبـيـه	أمـاءً يـحـتـلبْـن الـضَّـانَ سُـودَا

وهكذا تلخص رد ابن رواحة على قصيدة شاعر الأوس المنتصر في شيئين أساسيين :

أ - الإطالة في الفخر : في محاولة لنقض ما نسبه ابن الخطيم إليهم .

ب - العودة إلى الماضي : والحديث عن انتصارات قديمة ، وكأنه يريد أن

---

(١) مثل يضرب في الذلة وهوان الشأن .

يقول : إن الأيام دول ، وإذا كان اليوم لكم ، فقد كانت لنا من قبلُ أيامٌ وأيام . .

يوم بقيع الغرقد:

التقت الأوس والخزرج ببقيع الغرقد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وكان الظفر يومئذ للأوس ، وقد جعل ابن الأثير هذا اليوم من وقائع حرب حاطب ، فقال شاعر الأوس عبيد بن ناقد مزهواً بانتصار قومه(١) :

لمـا رأيتُ بني عـوفٍ وجمعَـهُمُ ... جاؤ وا وجمعَ بني النَّجار قد حَفِلُوا
دعوتُ قومي وسهَّلْتُ الطريقَ لهم ... إلى المكانِ الذي أصحـابُه حللُوا

فذكر انتصار قومه ، وكيف استعدوا للقاء بني عوف بن الخزرج وأبناء عمومهم بني النجار ، فقد واجهوهم بعُصَب من بني مالك بن الأوس ، جادت بأنفسها ، وأقدمت دون خوف ولا وجل ، فسقوا الخزرج كؤوس الموت طوال اليوم ، وآمت كثير من النساء ، ولم يبقَ لهن قيِّم ، وصرخن ملتاعات جزعات : « أكل مَنْ خلفنا من قومنا قتلوا ؟ » ولقد كان انتصاراً ساحقاً للأوس ، قتلوا فيه سادة وكبراء :

جادتْ بأنفُسِهـا من مالـكٍ عُصَبٌ ... يـومَ اللقاءِ فَمَـا خافُـوا ولا فشلُوا
وعاوَرُوكم كؤوسَ الموتِ إذْ برزُوْا ... شـطر النهـارِ حتى أدبـرَ الأُصُلُ
حتى استقامُوا وقد طالَ المِراسُ بهم ... فكلُّهُمْ من دمـاءِ القومِ قـد نَهَلُوا
تَكَشَّفُ البيضُ عن قتلَى أولي رحِمٍ ... لَـوْلاَ المسـالمُ والأرحـامُ مـا نقلُوا
تقـولُ كـلُّ فتـاةٍ غـاب قيِّمُهـا: ... أكـلُّ مَنْ خلفنا من قـومِنـا قُتِلُوا؟
لقـد قتلتُم كـريمـاً ذا محـافـظةٍ ... قـد كان حـالفَـه القَيْنَـاتُ والحلَلُ
جـزلٌ نـوافِلُه حُـلوٌ شـمـائِلُه ... ريَّـانُ واغِـلُه تشـقَى بـهِ الإبـلُ

ورد ابن رواحة على عبيد بن ناقد ببيتين لا يكادان يفنيان ، ونستبعد ألا يكون قد قال غيرهما في هذا الرد ، ونرجح أن تكون أبيات أخرى قد سقطت مع الزمن ولم تصل إلينا ؛ وهما بيتان لا يخلوان من اضطراب وكأنما أصابهما بتر أو سقط ، وهما :

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير : ١ / ٤١٣ .

لمـّا رأيتُ بني عـوفٍ وإخـوتَهم   كعْباً وجمعَ بني النَّجار قد حَفِلُوا
قِدْماً أباحُوا حماكُمْ بالسيـوفِ ولَمْ   يفعلْ بكُمْ أحدٌ مثلَ الَّذي فَعَلُوا

فواضح أنهما بيتان هزيلان لا يصنعان شيئاً ، وقد اتكأ في البيت الأولى على عبيد ، فكرر بيته كما هو ، وانصرف إلى الماضي في البيت الآخر ، فذكر انتصارات سابقة .

يوم الفِجَار الأول :

التقى الأوس والخزرج في قرية من أعراض المدينة في طريق مكة تسمى (الحديقة) فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى كاد بعضهم يفني بعضاً ، وسمي ذلك اليوم يوم الفِجَار ، لأن الخزرج كانت قد غدرت بثلاثة غلمان دفعتها الأوس لهم رهناً بديات فضلت لهم في يوم الغَرْس، فقتلتهم ، فسمي اليوم بيوم الفِجَار الأول ، وكان قيس بن الخطيم في حائط له ، فانصرف فوافق قومه قد برزوا للقتال ، فعجز عن أخذ سلاحه إلا السيف ، ثم خرج معهم ، فعظم مقامه يومئذ ، وأبلى بلاء حسناً ، وجرح جراحة شديدة ، فمكث حيناً يتداوى منها ، وأُمِر أن يحتمي عن الماء ، فقال عبدالله بن رواحة يفخر بذلك ويعرِّض بقيس :[(١)]

رمَيْنـاكَ أيـامَ الفِجَـار فلم تَـزَلْ   حَمِيًّا فَمَنْ يشربْ فلَسْتَ بشارِبِ

وهو بيت واحد ليس بين أيدينا غيره ، وربما كان أصله من قصيدته الطويلة التي سنتوقف عندها بعد قليل :

أشاقتك ليلى في الخليط المجانب   نعم فرشاش الدمع في الصدر غالبي

فهو من نفس الوزن والقافية ، وقد رد بها على قصيدة ابن الخطيم التي ذكر فيها بلاءه في يوم الحديقة كما سنرى .

يوم مُعَبِّس ومُضَرِّس :

ثم التقت الأوس والخزرج عند معبِّس ومضرِّس ، وهما جداران ، فكانت

---

(١) انظر الكامل : ١/ ٤١٤ ـ ٤١٥ .

الخزرج وراء مضرِّس ، وكانت الأوس وراء معبِّس ، فأقاموا أياماً يقتلون قتالاً شديداً ، ثم انهزمت الأوس حتى دخلت البيوت والآطام ، وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها ، ولم يقتل من الخزرج إلا قليل ، وقد خافت الخزرج يومها أن يستعين الأوس ببني قريظة والنضير عليهم ، فأخذوا من اليهود أربعين غلاماً من أبنائهم رهينة على ذلك ، فقال قيس بن الخطيم قصيدته[1] :

ألم خيال لـيلى أم عـمـرو ولـم يـلمـم بـنـا إلا لأمـر

وهي قصيدة يقولها من وحي الهزيمة الساحقة التي لحقت بهم حتى لقد فكروا في مغادرة المدينة نهائياً[2] ، فهي تقطر أسىً ومرارة ، وتنضح بتعاسة مرة تنعكس منذ المقدمة الغزلية :

ألمَّ خيـالُ لـيـلى أمِّ عـمـرِو ولـم يُـلْمِـمْ بـنـا إلا لأمْـرِ
تقـولُ ظعـينـتي لـمَّـا استـقَلَّتْ: أَتَتْـرُكُ ما جمعتَ صريمَ سَحْرِ[3]
فـقلتُ لـهـا : ذريـني إنَّ مـالي يـروحُ إذا غـلبتُـهُـمُ ويـسْـري
فلستُ لحـاصِنٍ إنْ لـم تَـرَوْنـا نجالـدُكُمْ كـأنَّـا شَـرْبُ خَمْـرِ[4]

وقد ذكر قيس في القصيدة خذلان اليهود لهم ، وذمَّ بني عمرو من الأوس لأنهم تخاذلوا ووادعوا الخزرج بعد يوم معبِّس ومضرِّس ، وذكر مسيرهم إلى مكة بعد هزيمتهم يطلبون حلف قريش على الخزرج ، وأشار إلى شجاعة القرشيين ، ودربتهم على القتال ، واعترف بعجز الأوس عن قتال الخزرج ، وأن قريشاً سوف تحمل عنهم هذا العبء :

وتحمِـلُ حـربَهم عـنـا قـريشٌ كـأنَّ بَنَـانَهم تفـريكُ بُسْـرِ[5]
ونُـدرِكُ في الخَزَارِجِ كـلَّ وِتْـر بـذمِّ الـكـاهـنـيـن وذمِّ عـمـرِو

---

(1) ديوان قيس : ١١٩ ـ ١٢٠ .

(2) انظر الكامل : ١/ ٤١٥ .

(3) يقال : قد صرمت سَحْري منه ، أي يئست منه ، وذلك أن السَّحْر الرئة ، فإذا انقطعت لم يعش الإنسان .

(4) أي لست ابن امرأة كريمة حصان إذا لم أجالدهم.

(5) تفريك بسر : أي حمر من الدماء .

زجرنا الخيلَ والآطامَ حتى إذا هي لم تشيِّعْنا لِزَجْرِ
هَمَمْنا بالإقامةِ ثم سِرْنا كسيرِ حذيفةَ الخيرِ بن بَدْرِ[1]

ثم مضى في بقية الأبيات يفخر بقومه ، ويعدد لهم انتصارات وأياماً سابقة ، كأنه يفر إلى الماضي على نحو ما كان يفعل ابن رواحة أحياناً ، ثم يعترف مرة أخرى بهزيمتهم ، ولكنه يجعلها هزيمة قصيرة الأمد ، ويشير إلى تخلي حلفائهم عنهم من قريظة والنضير وبعض أبناء عمومتهم من الأوس ، مما جعلهم يفكرون في مغادرة يثرب ، واللحاق بأبرهة اليماني ، أو النعمان أو عمرو من ملوك الحيرة أو الشام ، وذكر ما يمكن أن يجدوه عند هؤلاء من كرم وعزّ وصريخ :

ألا أبلغ بني ظفر رسولاً فلم نذلل بيثرِب غير شهر
خُذلناه وأسلمنا الموالي وفارقنا الصريح لغير فقر
أبحنا المسبغين كما أباحت يمانونا بني سعد بن بكر
فإن نلحق بأبرهة اليماني ونعمانٍ يوجهنا وعمرو
وإن ننزل بذي النجدات كُرز نلاقِ لديه شرباً غير نزر

إلخ . . .

من الواضح إذن أن هزيمة الأوس في يوم معبّس ومضرّس كانت ساحقة باعتراف قيس نفسه ، ومع ذلك فلم يبق بين أيدينا مما قاله ابن رواحة في هذا اليوم ـ على الرغم من انتصارهم العظيم ـ إلا بيت واحد رد به على قصيدة ابن الخطيم السابقة ، وهو بيت نقض فيه بصورة خاصة قول قيس :

ألا أبلغ أبا ظفر رسولاً فلم نذلل بيثرب غير شهر

إذ أجابه عبدالله بهذا البيت اليتيم الذي وصلنا :

كذبتَ لقد أقمتَ بها ذليلاً تقيم على الهوان بها وتسري

وهو بيت لا يسمن ولا يغني ، ولا شك عندنا أن ابن رواحة قد قال شعراً أكثر من هذا ، فقد انتصر قومه انتصاراً ليس له مثيل ، وإذا كانت الهزيمة قد أسكتته في

---

(١) يضرب المثل بحذيفة في سرعة السير وشدته .

مرات سابقة ؛ فمن المستغرب ألا ينطقه النصر الكبير ، وألا نجد له في الفخر بهذا اليوم ، أو الرد على شاعر الأوس المنهزم على الأقل إلا هذا البيت ، والأدنى إلى التصور أن يكون الزمن قد أسقط شعر هذا اليوم كما أسقط غيره .

شعره في يوميْ حاطب وبُعاث :

كانت حرب حاطب آخر وقعة بين الأوس والخزرج إلا يوم بعاث ، وكان سبب هذه الحرب أن حاطب بن قيس الأوسي كان رجلاً شريفاً سيداً ، فأتاه رجل من بني ثعلبة بن سعد فأجاره وأضافه ، ثم خرج ضيفه يوماً إلى سوق بني قينُقاع ، فرآه يزيد بن الحارث المعروف بابن فُسْحُم ، وهو من بني الحارث بن الخزرج ، فأمر رجلاً من اليهود أن يكسع استه ، فصرخ الثعلبيّ : يا جاراه كُسِعْتُ ، فأقبل حاطب مغضباً فقتل اليهودي ، ثم أُخبر أن الخزرجي أمر بذلك فقتله وانصرف فبلغ ذلك بني الحارث ، فخرجوا سراعاً حتى أدركوا حاطباً في بني معاوية فقتلوه ، فانبعثت الحرب بين الأوس والخزرج ، وجمع كل واحد من الفريقين حتى التقوا بالرَّدْم من بُطحان[1] ، فاقتتلوا هناك قتالاً شديداً ، وكان ذلك اليوم للخزرج على الأوس ، وكان قائد الخزرج : عمرو بن الإطنابة ، وقائد الأوس : حُضير بن سِماك .

ومن وقائع يوم حاطب : يوم الجسر - والربيع - والفضاء - ويوم بقيع الغرقد - ويوم الحديقة أو الفجار الأول - ويوم معبِّس ومضرِّس .

ثم كان يوم بُعاث آخر الأيام حتى جاء الله بالإسلام . وسببه أن الخزرج قد قتلوا من كان عندهم من الرهن التي أخذوها من اليهود في يوم معبِّس ومضرِّس ؛ لأنهم سمعوا أن اليهود قد عادوا إلى حلف الأوس ، فاجتمعت الأوس وقريظة والنضير على حرب الخزرج ، ودخل معهم قبائل أخرى من اليهود ، فلما سمعت بذلك الخزرج جمعت وحشدت وراسلت حلفاءها من أشجع وجهينة ، ومكثوا يتجهزون للحرب أربعين يوماً، ثم التقوا ببعاث من أعمال قريظة ، وعلى الأوس حضير الكتائب بن سماك ، وعلى الخزرج عمرو بن النعمان البياضيّ ، وبعد قتال

---

(١) انظر الكامل لابن الأثير : ١/ ٤١١ - ٤١٢ ، وديوان قيس بن الخطيم : ٢٠٠ .

شديد انهزمت الخزرج ووضعت فيهم الأوس السلاح ، فصاح صائح : يا معشر الأوس أحسنوا ولا تهلكوا إخوانكم ، فجوارهم خير من جوار الثعالب - يعني اليهود - فانتهوا عنهم ، ولم يسلبوهم، وإنما سلبهم قريظة والنضير . . وقد أكثر الشعراء من ذكر وقائع حاطب وبعاث ، فقال قيس بن الخطيم قصيدته :[1]

أتعرِفُ رسماً كاطِّرادِ المَذَاهِبِ ... لِعَمْرةَ وحشاً غيرَ موقِفِ راكِبِ

فردَّ عليه ابن رواحة بقصيدته :

أشاقتْكَ ليلى في الخليطِ المُجَانِبِ ... نعم فرشاشُ الدمعِ في الصدرِ غالِبِي

وقد بدأ قيس قصيدته كالعادة بمقدمة غزلية ، وهو يتغزل بعمرة أخت عبدالله ، وأم النعمان بن بشير التي ورد ذكرها في شعره أكثر من مرة ، وقد بدا في غزله كالعادة معتداً بشخصيته ، يُدِلُّ على من يعشق ، فقد فتن كثيراً من أمثالها ، وحملهن على الصبوة والغزل ، فهو ينطلق في هذا المقطع الغزلي من موقف القوة والاعتداد اللذين يبدو أن النصر قد أورثه إياهما ؛ فعلى الرغم من جمال صاحبته وصباها وفتنتها ؛ كان لها في موقف الند ، وهو يتمدح بفتنة أمثالها وإصبائهن ، يقول بعد البيت السابق :

ديارَ التي كادتْ ونحن على مِنىً ... تَحُلُّ بنا ، لولا نَجاءُ الركائِبِ
تَبدَّت لنا كالشمس تحتَ غَمَامةٍ ... بدا حاجِبٌ منها وضَنَّتْ بحاجِبِ
ولم أرَها إلا ثلاثاً على مِنىً ... وعهديْ بها عذراءَ ذاتَ ذوائِبِ
ومثلِكِ قد أصْبَيْتُ ليست بكَنَّةٍ ... ولا جارةٍ ولا حَليلةِ صاحبِ

ثم ينتقل قيس بعد هذه المقدمة الغزلية انتقالاً مفاجئاً إلى الحديث عن (يوم حاطب) وتقابلنا في هذا المقطع أيضاً ذاتية قيس ، واعتداده بشخصيته ؛ فهو صاحب الحل والربط ، وهو الذي يأخذ أو يدع لا يكاد قومه يعصون له أمراً . ونجد حديثاً عن الحرب يدل على الحكمة والتفكر والتعقل ؛ فهو ليس ممن يباشرون العدوان ، أو يبعث الحرب ظالماً ، وهو يجهد أن يحول دون وقوعها ،

---

(١) انظر ديوانه : ٣٣ - ٤٧ .

كما فعل في حرب حاطب مثلاً ، ولكن عندما تصبح امرأً لا مندوحة عنه يشعلها في كل جانب ، ويستعد لها ، ولا يهاب الموت في سبيلها :

دعـوتُ بني عـوفٍ لحقنِ دِمـائِهم ... فلما أبَوْا سامحتُ في حربِ حاطبِ
وكنتُ أمْرَأً لا أبعثُ الحربَ ظالماً ... فلمـا أبَـوْا أشعلتُهـا كـلَّ جـانِبِ
أرِبْتُ بـدفع الحـربِ حتى رأيتُهـا ... عن الدفْعِ لا تزدادُ غيرَ تقارب(١)
فإن لم يكنْ عن غايةِ الموتِ مدفَعٌ ... فأهلاً بها إذْ لم تَزَلْ في المَرَاحِبِ
فلمَّا رأيتُ الحربَ حرباً تجـرَّدَتْ ... لبستُ مع البُرْدَيْنِ ثوبَ المُحارِبِ
مضـاعفـةً يغْشى الأنـامـلَ فضلُهـا ... كـأنَّ قَتِيْـرَيْهـا عيـونُ الجَنَـادِبِ(٢)

ثم ينتقل بعد هذا الفخر الشخصي إلى الفخر بقومه ، فيذكر الأوس وأحلافهم من بني قريظة والنضير وثعلبة ، ويتحدث عن شجاعتهم وجرأتهم ، فهم يسرعون إلى الموت كما يسرع الجمل المُصْعَب الذي لم يمسَّه حبل ولم يذلَّل ، وإذا استنصرهم أحد مدّوا لنصرته جيشاً كثيفاً كأنه الليل ، أو كأنه السيل الأتيُّ المزبد ، ويشير إلى قسوة ضرباتهم وعنفها ، وإلى حسن تدبيرهم ومهارة إعدادهم ، وإلى كثرة عددهم . يقول :

أتَتْ عُصَبٌ مِ الكـاهِنَيْنِ ومـالـكٍ ... وثعلبـةَ الأَشْـرِيْنَ رهطِ ابنِ غـالـب
رجالٌ متى يُدْعَوْا إلى الموتِ يُرْقِلُوا ... إليـه كإرقـالِ الجِمَـال المَصَـاعِبِ
إذا فزِعُوا مدُّوا إلى الليلِ صارخاً ... كمـوجِ الأتِيِّ المُـزْبِـدِ المُتـراكِبِ
تـرى قِصَدَ المُـرَّانِ تهـوي كـأنَّهـا ... تَذَرُّعُ خِرْصَانٍ بأيدي الشَّواطب(٣)
صَبَحْنا بها الآطـامَ حول مُزَاحـمٍ ... قوانِسُ أُوْلَى بَيْضِنا كالكواكـبِ(٤)
لَـوَانَّك تُلْقِي حنـظلاً حول بَيْضِنـاً ... تدَحْرجَ عن ذِي سامِهِ المتقـارِبِ

---

(١) أربت : كانت لي إربة في دفع الحرب ، أي حاجة . والأرَب والإِرْبة والمأرُبة : الحاجة .

(٢) مضاعفة : يريد درعاً مضاعفة ،وهي التي تنسج حلقتين حلقتين .والقتير: رؤوس المسامير لحلق الدروع .

(٣) قِصَد : كِسَر . والمران : الرماح . التذرُّع : قدر ذراع ينكسر ، والخرْص (مثلثة الخاء) كل قضيب أو غصن يابس أو رطب من رمح أو سعف . والشطبة : السَّعَفة الطويلة . والشاطبة من النساء التي تشققها وتأخذ قشرها الأعلى تعمل منه الحُصُر .

(٤) مزاحم : أُطُم من آطامهم . والقوانس ، جمع قونس : الناتىء في أعلى البيضة .

ثم كأنه يريد أن يسوِّغ هزيمتهم في يوم حاطب ، ويدحض انتصار الخزرج ، وما زعموه من فرار الأوس وتقهقرهم ، فالأوس قوم لا يفرون ، وأسوأ ما يمكن أن يصدر عنهم في أعنف الأوقات ، وأحلك الساعات أن يصدّوا بوجوههم ، ويميلوا بمناكبهم عند اشتجار القنا ، وتداخل السيوف ، ومثل هذا لا يسمى فراراً ، وإنما يسمى اتقاء ، بل نحن إن قصرت السيوف عن بلوغ عدونا وصلناها بخطانا كي نبلغه ، ونتمكن منه :

إذا ما فَرَرْنا كان أسْوَأْ فرارِنا صدودَ الخدودِ وازْوِرَارَ المناكب
صُدُودَ الخدودِ والقَنَا مُتَشَاجِرٌ ولا تَبْرَحُ الأقدام عند التضارُبِ
إذا قصُرتْ أسيافُنا كان وصلُها خُطانا إلى أعدائِنا فنضاربِ

ثم عاد قيس إلى الحديث عن أمجاد قديمة له في يوم (الحديقة) الذي مر بنا ذكره ، ثم استفاض في الحديث عن يوم (بُعاث) وما حقق الأوس فيه من انتصارات ، وكأنه يريد أن يقول للخزرج : إن الأيام دول ، وها هي الدائرة تدور عليكم في يوم بُعاث . لقد أطاعت الخزرج يومذاك أميرها (عمرو بن النعمان البياضي) الذي نهاهم عن السلم ومصالحة الأوس فكان أول قتيل في الحرب ، ثم مضى يستفيض في الفخر بهذا اليوم ، قتل الأوس سراة الخزرج ، وعفوا عمن دونهم من العبيد والإماء ، فلا يليق أن ينازلوهم ويقاتلوهم ، وسُبيت النساء ، وفرت أخريات ، فكن يحسرن عن أسْوُقِهِنَّ من شدة الجري . وتحدث عن بعض أبطال الأوس ، كأبي قيس بن الأسلت الذي أقسم ألا يشرب الخمر ثلاثين ليلة حتى ينتصر ، وكحضير الكتائب بن سماك الذي كان قائد الأوس في يوم بعاث ، والذي حرم الخمر على نفسه وعلى قومه ما لم يظهروا على عدوهم ، وقد برّوا بقسمهم فما شربوا حتى حققوا ما عاهدوا عليه ، فكان انتصارهم ساحقاً شفى النفس ، ونقع الغليل ، وثأر القوم لسويد بن الصامت الذي قتله المجذَّر بن زياد حليف الخزرج ، وليته رأى انتصار قومه ، وهزيمة العدو وفراره ذليلاً ، وعودة الأوس إلى أبنائهم ونسائهم منتصرين وقد خلفوا وراءهم مقتلة عظيمة لن تعود أبداً ، فيوم بعاث كان أعظم الأيام ، هو يوم التغالب ، وإذا كان قد غيِّب عنه فقد كفته عشيرته ذلك :

أجـالِدُهُمْ يـومَ الحـديقـةِ حـاسـراً ... كأنَّ يدي بالسيفِ مِخْراقُ لاعِبِ[1]
ويـومَ بُعَاثٍ أسلمَتْنـا سيـوفُنـا ... إلى نسبٍ في جِذْمِ غسَّانَ ثاقبِ[2]
يُعَـرَّيْنَ بِيْضـاً حينَ نَلْقى عـدوَّنـا ... ويُغْمَدْنَ حُمْراً ناحلاتِ المَضَـارِبِ
أطـاعَتْ بنـو عـوفٍ أميـراً نهـاهُمُ ... عنِ السِّلْمِ حتَّى كان أوَّلَ واجِبِ[3]
أَوَيْتُ لعـوفٍ إذ تقـولُ نسـاؤُهُمْ ... ويَرْمِيْنَ دفعاً : ليتَنَا لم نحارِبِ[4]
صَبَحْنـاكُمُ شهبـاءَ يَبْـرُقُ بَيْضُهـا ... تُبِيْنُ خـلاخيـلَ النِّسـاءِ الهـوارِبِ
أصـابَتْ سـراةً مِ الأغـرِّ سيـوفُنـا ... وغُـودر أولادُ الإماءِ الحَـوَاطِبِ[5]
ومِنَّـا الـذي آلَى ثـلاثـين ليلةً ... عن الخمرِ حتى زاركُمْ بالكتائبِ[6]
رضِيْتُ لهم إذ لا يَريمون قَعْـرها ... إلى عـازِبِ الأموالِ إلا بصـاحبِ
فلولا ذُرى الآطـامِ قـد تعلمـونـه ... وتركُ الفضا ، شورِكْتُمُ في الكواعِبِ
فلم تمنَعُـوا منـا مكـانـاً نـرِيْـدُه ... لكم مُحْرزاً إلا ظهورَ المشارِبِ[7]
فهلَّا لدَى الحربِ العَوَانِ صبـرتُمُ ... لوقعتِنا، والبأسُ صعبُ المَراكِبِ[8]
ظـأرنـاكُمُ بـالبِيْضِ حتـى لأنتُـمُ ... أذَلُّ من السُّقبـانِ بين الحَلَائِبِ[9]
ولمـا هبَطْنـا الحرثَ قـال أميـرُنـا ... حرامٌ علينا الخمرُ ما لم نضارِبِ[10]
فســامَحَــهُ منــا رجــالٌ أعِــزَّةٌ ... فما بَـرِحُـوا حتى أُحِلَّتْ لشـارِبِ

---

(١) المخراق : ما تلعب به الصبيان من الخرق المفتولة ، كالمنديل أو نحوه يُلوى فيُضرب به ، أو يلف فيفزع به .
(٢) الجذم : الأصل . وثاقب : أي مضيء غير خامل .
(٣) واجب : ميت ، وبنو عوف ، من الخزرج .
(٤) أويت لعوف : أوى إليه أوية وأية ومأواه : رق ورثى له . ويرمين دفعاً : أي يرميننا من فوق الآطام دفعاً عن أنفسهم .
(٥) الأغر : هو مالك الأغر بن ثعلبة بن كعب بن الخزرج .
(٦) في ديوان قيس أنه أبو قيس بن الأسلت ، ولكن الدكتور ناصر الدين الأسد رجح أنه حضير الكتائب سيد الأوس يوم بعاث الذي آلى ألا يشرب الخمر أو يظهر ويهدم مزاحماً أطم عبدالله بن أبيّ .
(٧) المشارب : الغرف .
(٨) الحرب العوان : التي قوتل فيها مرة بعد مرة .
(٩) ظأرناكم : عطفناكم على ما نريد . أذل من السقبان بين الحلائب ، مثل يضرب في الذلة ، والسقبان ، جمع سَقْب وهو الذكر من أولاد الإبل .
(١٠) أميرهم ، هو حضير الكتائب بن سماك كما مر .

فليتَ سُـوَيْـداً رَاءَ مَنْ جُـرَّ مِنْكُمُ ... ومَنْ فَرَّ إذْ يحدُوْنَهُمْ كالجَلائِبِ[1]
فَـأُبْنـا إلى أبنـائِنـا ونِسَـائِنـا ... ومَـا مَنْ تـركْنـا في بُعَـاثٍ بـآيِبِ
وغُيِّبْتُ عن يـومٍ كَنَتْنِي عشِيـرتي ... ويـومُ بُعَاثٍ كـان يومَ التغَـالُبِ[2]

هذه هي قصيدة قيس في يوميْ حاطب وبعاث ، وهي قصيدة متدفقة تفيض بصور حية نابضة حتى أوشك الشاعر أن يحول هزيمة قومه إلى انتصار ، وفرارهم إلى ظفر وفوز .

وإذا نظرنا الآن في نقيضة ابن رواحة التي رد بها على قصيدة قيس السابقة ، وجدناه أقصر من صاحبه نفساً ، وأدنى منه حظاً في الشاعرية ، كما أنه ما يزال يترسم خطاه في بعض المعاني والأفكار ، بل وفي بعض الألفاظ والعبارات .

بدأ ابن رواحة قصيدته بمقدمة غزلية كذلك ، وهو ـ من باب الردّ على قيس ومعاملته بالمثل ـ يتغزل بأخته ليلى ، كما شبب ابن الخطيم بعمرة أخت عبدالله ، وشاعرنا مفتون بصاحبته ، يشوقه بعدها ، ويؤلمه رحيلها ، حتى تتردد دموعه في صدره ، ويظل يبكي خلفها وهي راحلة مبتعدة ، ولكنها صاحبة قاسية ، تمضي غير عابئة ، بل لا تحاول أن تقف لتنظر حاجة هذا العاشق المحزون المتشكي ، لقد ظل يبكي طوال اليوم ، من غدوة الشمس حتى رواحها ، وتجمّعت فوق صدره جميع همومه البعيدة ، ولكنه سرعانا ما يكفّ عن هذا الذي هو فيه ، فيدعو نفسه إلى التنبه والتيقظ ، ويلقانا موقف فيه حزم وثبات ؛ فالحب يدبر إذا لم يجد حبيباً مصافياً ، وخليلاً مصاقباً قريباً ، يقول :

أَشَاقَتْكَ ليلَى في الخليطِ المُجَانِبِ؟ ... نعم، فرشاشُ الدَّمعِ في الصَّدرِ غالبي
بكَى إثْرَ مَنْ شطَّتْ نَوَاهُ ولم يقِفْ ... لحاجةِ مَخزونٍ ـ شَكَا الحُبَّ ـ نَاصِبِ
لَدُنْ غُدْوَةٍ حتى إذَا الشَّمسُ عارَضَتْ ... وَرَاحَ لـهُ مِنْ هَمِّـهِ كُـلُّ عَـازِبِ
تَبَيَّنْ فـإنَّ الحبَّ يَعْلَقُ مُـدْبِـراً ... قـديمـاً إذَا مـا خُلَّةٌ لم تُصَـاقِبِ

---

(۹) راء : أراد (رأى) فقلب . والجلائب : الجماعات من الخيل والإبل والغنم والناس ، والواحدة : جلوبة ، وسويد : هو ابن الصامت الأوسي .

(٢) لم يكن قيس حضر يوم بُعاث .

وكأنما كان البيت الأخير إيذاناً بالانتقال إلى غرض جديد ، والكفّ عما كان آخذاً فيه من حديث ، فراح يتحدث عن ناقته في بيتين ، وكأنما أراد أن يصرف همومه إليها ، أو كأنما كان حديثه عن إعدادها وتجهيزها جزءاً من التهيؤ لأمر عظيم ، والانصراف إليه . يصف ناقته بأنها شديدة صلبة ، وقد أعدها للمسير ، فرفع فوقها خشب رحله ، وراح يدفعها في الطريق الواسع المنقاد ، فمضت مسرعة لا تتوقف ، تباري المطايا الأخرى وتسابقها وتسبقها ، ولعلها تسبق تلك النوق على الرغم من السياط التي تُضرب بها حتى لتحاول أن تتقي وقعها بعيونها ، تُرى أهذا جزء من حديث الفخر الذي يأتي بعد ذلك في القصيدة ؟ أهو رمز إلى المَنعَة والتفوق والامتياز ؟ يقول ابن رواحة :

كَسَوْتُ قُتُودِي عِرْمِساً فَنَصَأْتُها تَخُبُّ على مُسْتَهْلِكَاتٍ لواحِبِ
تُبَارِي مَطَايا تَتَّقِي بعُيُونِها مَخَافَةَ وقْعِ السَّوْطِ خُوصَ الحَوَاجِبِ

ثم يغادر المقدمة الوصفية سريعاً كذلك ، ليأخذ في الرد على قيس ، وهو رد يتمثل في الفخر ، والإسهاب فيه ، وهو فخر بالجماعة يخفت فيه صوت (الأنا) الذي كان صاخباً عند قيس ، وهو فخر بالقيم الجاهلية المعروفة : الكرم ،والإباء،والحلم ، والشجاعة فأما كرمهم فهو ثابت أصيل لا تغيره الأيام كما تغيرٌ كرم بعض الأقوام ، وهم يجودون في العسر والشدة حيث تتغير في أوقات ذلك أحساب الناس ، ويشحون بعد الجود بسبب ما صاروا إليه من جهد وضنك، وأما هم فلا يتغيرون يبقى الكرم عامراً في مضاربهم، والنائل متدفقاً من أيديهم، وهم يدافعون عن أحسابهم بما لهم من مجلد تليد، وعز قديم ، فلا يبخلون على أحد ، ولا يمنعون العطاء فقيراً أو محتاجاً ، وقد جمعوا إلى الكرم والمنعة العقل والحلم والبأس ، فكم جاهل أعمى لم يكن يعرف الطريق فبصّروه به، وردوه إلى صوابه، وكم خصم شاغب استطاعوا أن يقيموا عوجه، ويخضدوا شكوته . وأما شجاعتهم فهي معروفة ، فهم أولو بأس وشدة يمشون إلى الموت بلا وجل ولا خوف ، يعجلون إليه كما يعجل الجمل المصعب الذي لم يُرَوَّض ، وقد أخذوا أهبتهم ، وأعدّوا عددهم ، ويذكر طائفة من عدد الحرب التي يستخدمونها ، فيشير إلى دروعهم وكثرتها ؛ وإلى خوذاتهم ونقاء لونها ولمعانها كما تلمع الكواكب ، وإذا مضوا إلى المعركة كانوا قوما شجعاناً جُسُراً حتى ليخيل إليك أنك أمام أسود تضارب ،

وهم يدعمون العدة العسكرية والسيوف البتارة القاطعة بالصبر والثبات ، وما أحوج المعركة إلى الصابرين الأشداء ، ومن تكامل له هذان السلاحان كان في معقل يحميه ويحفظه ، يقول ابن رواحة :

إذا غُيِّرتْ أحسابُ قومٍ وجدْتَنا ذوي نائلٍ فيها كرامَ المَضَارِبِ
نُحامي على أحسابِنا بتِلادِنا لمُفْتَقِرٍ أو سائِلِ الحقِّ راغِبِ
وأعْمَى هَدَتْه للسبيلِ حُلُومُنا وخصمٍ أقمنا ـ بعدَ مَالَجَّ ـ شاغِبِ
ومُعْتَركٍ ضَنْكٍ ترى الموتَ وسْطَه مشيْنا له مَشْيَ الجِمَال المَصَاعِبِ
بخُرْسٍ ترى الماذِيَّ فوقَ جلودِهم وبَيْضاً نِقَاءً مثلَ لونِ الكواكبِ
فهُمْ جُسُرٌ تحتَ الدُّرُوعِ كأنَّهم أسودٌ متَى تُنْضَ السيوفُ تُضَارِبِ
مَعَاقِلُهُمْ في كلِّ يومٍ كريهةٍ مَعَ الصَّبْرِ منسوبُ السيوفِ القَوَاضِبِ

ثم التفت إلى قيس يرد عليه في بيتين مباشرين ، فعرَّض به في لهجة ساخرة قائلاً : لقد فخرت بجمع من الخزرج زاركم في أرضكم ، فانتصر عليكم ، واستباح منازلكم ، حتى وليتم الأدبار يدفع بعضكم بعضاً بالأصابع من شدة جزعكم ، ثم مضى هذا الجمع إلى حصون حلفائكم من يهود بني قريظة ، يبتغي المنازل التي يظن أن فيها أحداً لا يزال حياً ، وفرّ إلى هناك ، عجباً . . أهذا موطن فخر ؟ :

فَخَرْتُم بجمعٍ زارَكُمْ في ديارِكُمْ تَغَلْغَلَ حتى دُوْفِعُوا بالرَّوَاجِبِ
أباحَ حُصُوناً ثمَّ صَعَّدَ يبتغِي مَظِنَّةَ حيٍّ في قُرَيْظَةَ هارِبِ

هذه هي القصيدة الثانية الكاملة التي تبقت بين أيدينا من شعر ابن رواحة الجاهلي ، وهي ـ بمقارنتها بقصيدة قيس ـ تبدو وكأنها لم تصنع شيئاً ، فهي أقل منها عدد أبيات ، وأكثر تعميماً ، وهي أقل منها حظاً في الشاعرية والصنعة الفنية ، كما أن شاعرنا الخزرجي ما يزال يغرف من بحر قيس ، ويستعير أحياناً من معجمه اللغوي والمعنوي ، فإذا قال ابن الخطيم في قومه :

رجالٌ متى يُدْعَوْا إلى الموتِ يُرْقِلُوا إليه كإرْقالِ الجِمَالِ المَصَاعِبِ

أخذ ابن رواحة الصورة منه وتبعه قائلاً :

ومُعْتَرَكٍ ضنْكٍ ترى الموتَ وسْطَه   مشيْنا له مَشْيَ الجِمَال المَصَاعِبِ

وصحيح أن الصورة قديمة معروفة ، وأن كلاً منهما ليس سباقاً إليها ؛ فقد قال النابغة قبلهما على سبيل المثال :

إذَا اسْتُنْـزِلُـوا عنهنَّ للطَّعْنِ أرْقَلُوا   إلى الموتِ إرْقَالَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ

إلا أن قيساً هو أدنى من يكون ابن رواحة قد تأثر به. ويقول قيس :

صَبَحْنا بها الآطـامَ حول مُـزاحمٍ   قـوانِسُ أُوْلَى بَيْضِنـا كـالكـواكبِ

فيأخذ منه شاعرنا أيضاً صورة البَيْض وتشبيهها بالكواكب ، فيقول :

بخُرْسٍ ترى الماذِيَّ فوقَ جلودِهم   وبَيْضـاً نِقَاءً مثـل لـونِ الكـواكبِ

ترى أيتأثر الشاعر دائماً بقصيدة خصمه التي ينقضها ما دام ينشىء القول تالياً ، ويأخذ في نقض المعاني التي اختارها ، ويمضي في نفس أوزانه وقوافيه ؟ . . إن هذه قضية تحتاج إلى وقفة مستأنية أطول ليس هذا وقتها ، ولكنها واضحة الآن في المقارنة بين ابن رواحة وخصمه الشاعر الأوسي .

وبين أيدينا من شعر عبدالله في يوم بُعَاث كذلك أبيات قالها في الرد على قيس ابن الخطيم أيضاً ، فقد افتخر قيس بانتصار قومه في يوم بعاث في قصيدة طويلة عدتها خمسة وعشرون بيتاً وهي التي مطلعها :

رَدَّ الخَلِيطُ الجِمَـالَ فـانْـقَضَـبَـا   وقـطَّعُـوا من وِصَـالِـكِ السَّبَبَـا[1]

حيث بدأها بمقدمة غزلية طويلة استغرقت أحد عشر بيتاً ، ثم مضى يفتخر بقومه ، وانتصارهم في بعاث ، وقتلهم سيد الخزرج عمرو بن النعمان البياضي ، وأشار بصورة خاصة إلى عفة الأوس ، وترفعهم عن انتهاب الخزرج وقد كانوا قادرين على ذلك . يقول:

قـالتْ بنُـو الأوسِ مِن عَفَـافِهُمُ   مُـرُّوا ولا تَأخُـذُوا لـهُمْ سَـلَبَـا

(١) انظر ديوان قيس : ١١١ ـ ١١٨ .

تَسُوقُ أُخراهُمُ أوَائِلَهُمْ كما يَسُوقُ المُعَارِضُ الجَلَبا[1]
لمَّا دعَاهُمْ للموتِ سيِّدُهُمْ ثَابتْ إليهِمْ جمُوعُهُمْ عُصَبا[2]

فرد عليه ابن رواحة ، ولم يبق من الرد إلا سبعة أبيات ، ولا ندري إن كانت هي كل ما قاله شاعرنا في نقض قصيدة ابن الخطيم ، أم أن أبياتاً أخرى قد سقطت منها ، ولعلها أن تكون المقدمة بصورة خاصة ؟ وعلى كلٍّ فإن الأبيات التي بين أيدينا هي :

يا قيسُ أنتُمْ شِرارُ قومِكُمُ قِدْماً وأنتُمْ أغشُّهُمْ نَسَبا
حالفْتُمُ الفُحْشَ والخِيَانَةَ والْ... بُخْلَ جميعاً واللُّؤْمَ والكَذِبا
يا قيسُ إنَّ الأسلابَ أحْرَزَها منْ كان يُغْشِيْ الذَّوائِبَ القُضُبا
وأنتَ في الدارِ غَيْرُ مُحْتَضِرٍ حرباً وتدعُو قتالَنا لعِبا
لو كنتَ فيهمُ والحربُ لاقِحةٌ لكُنْتَ فيهِمْ مغَلَّباً ذَنَبا
نحنُ استَبَحْنا ما في ديارِكُمُ يومَ صَبَحْنَاكُمْ بها حُصَبا
نحنُ حُمَاةُ الآطَامِ في سالِفِ الدْ... دَهْرِ وقِدْماً سُقْنَاكُمُ حَنَبا

وهي مقطوعة يختلط فيها الهجاء بالفخر ، وهو هجاء مقذع لاذع لقيس ولقومه ، وهو يعيرهم بصورة خاصة لأنهم قد تحالفوا مع يهود قريظة والنضير أهل الخيانة واللؤم والكذب ، ثم ينقض دعوى قيس في أن يكون الأوس أصلاً قد غنموا من الخزرج غنائم أو عفوا عنها - كما يزعم - بل الأسلاب لمن كانت سيوفهم القاطعة تعلو هاماتكم ورؤ وسكم ، ويلتفت إلى قيس مرة ثانية فيعيره بتخلفه عن حضور يوم بعاث ، ولو حضر لحاق به الذل ، وأضحى ذنباً في القوم ، ثم يلتفت ابن رواحة - كالعادة - إلى الماضي ، ليتحدث عن أمجاد وانتصارات سابقة هزموا فيها الأوس ، واستباحوا ديارهم ، وساقوهم أذلاء منكسين كما يقول .

. . . .

---

(١) أي الذي يعرض إبله للبيع .
(٢) يعني الأوس ، وقد دعاهم سيدهم حضير بن سماك قائدهم يوم بُعَاث .

وبعدُ ، فقد كان هذا هو كل ما تبقى لدينا من شعر ابن رواحة الجاهلي ، وهو كله شعر قبلي يدور حول الأيام والوقائع التي كانت بين الأوس والخزرج ، بل هو جميعه عدا البيتين اللاميين في الرد على قيس بن الخطيم شاعر الأوس ، ونقض شعره ، فقد كان قيس أشدّ شعراء الأوس على الخزرج ، وأقدرهم على النيل منهم بشعره ، وقد تصدى له عدد من شعراء الخزرج منهم حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وشاعرنا عبدالله بن رواحة ، فدافعوا عن قومهم وذادوا عنهم الخصوم .

وصحيح أن ابن رواحة ـ في حدود ما تبقى لدينا من شعره ـ بدا أدنى شاعرية من خصمه ، وأقصر باعاً في هذا الفن ؛ إلا أنه استطاع أن ينقض كثيراً من أقواله ، ويرد على ادعاءاته ومزاعمه ، وكان دائماً يتتبع شعر خصمه ، وينشىء القول بعده ، فليس بين أيدينا شيء بدأ فيه ابن رواحة القول ، ينطبق ذلك على الأيام التي انتصر فيها الخزرج كيوم الحديقة أو يوم معبِّس ومضرِّس ، ويوم حاطب ، وعلى تلك الأيام التي انهزموا فيها ، كيوم الفضاء ، ويوم بقيع الغرقد ، ويوم بُعَاث . ولعله ـ من أجل ذلك ـ كان دائماً يتأثر بشعر من تقدمه ، فيستعير أحياناً من معجمه اللغوي ، وأحياناً أخرى من معجمه المعنوي كما أشرنا إلى ذلك في أثناء دراسة الشعر ، ولا شك أن ذلك كان يجعله أقلّ حرية ، وكان يضيِّق عليه آفاقاً كان يمكن أن تكون أوسع وأرحب فيما لو بدأ هو القول وأخذ فيه قبل غيره . .

وأما مضمون هذا الشعر فكان يدور حول غرضين أساسيين هما : الفخر ، والهجاء ، وهما غرضان متكاملان في شعر النقائض ، وكانا يمتزجان في القصيدة الواحدة امتزاجاً تاماً ، فالهجاء كان يستتبع الفخر ، والفخر يستتبع الهجاء ، وكان الفخر أغلب في شعر ابن رواحة من الهجاء والنقض وتتبع ما يقول خصمه ، وكان يفرّ إليه في غالب الأحيان ، ويحتمي في ظلاله من المواجهة المباشرة ، من أجل ذلك كان عبدالله يرتد في غالب الأحيان إلى الماضي ، يلوذ بأمجاده السابقة ، ويقتبس من جعبته الزاخرة ما يعوضه عن هزائم الحاضر وانتكاساته . وكان حديثه من أجل ذلك يأتي حديثاً عاماً ، ليس فيه تحديد لوقائع وأحداث وأزمنة بعينها ، على عكس ابن الخطيم مثلاً فيما لو أخذنا نقارن بينهما من هذه الناحية ؛ فقد كان

قيس مثلاً يشير إلى مواقف معينة ، ويتوقف عند دقائق وتفصيلات معروفة نابعة من طبيعة الأحداث التي كان يتحدث عنها .

ولكن ابن رواحة شديد الولاء لقومه ؛ فهو يفخر غالباً بالذات الاجتماعية ، وقلما نواجه في شعره الذات الفردية ، أو نسمع صوت (الأنا) الشخصية ، فهو شاعر يذوب في قومه ، وتختفي ذاته في ذواتهم ، ولقد كان يستطيع ـ إن شاء ـ أن يفخر طويلاً فخراً شخصياً ، فهو سيد في قومه ، وفارس وبطل ، وعشيرته من ذؤابة الناس وسنامهم ، ولكنه آثر أن يتجه إلى الفخر بالجماعة ، ولعلنا في مقارنة عابرة بينه وبين حسان بن ثابت مثلاً ، الشاعر الخزرجي كذلك ، نحس بهذا الذي نتحدث عنه ، فقد كان حسان دائم الفخر بنفسه ، وكان صوت الذات الفردية عنده طاغياً متميزاً ، وكذا كان الحال عند قيس شاعر الأوس في هذه القصائد التي راح ابن رواحة ينقضها .

وأما شكل القصيدة عنده ، فإن القصيدتين الكاملتين اللتين بين أيدينا من شعره تمثلان الشكل الجاهلي المعروف للقصيدة العربية ، فقد كان ابن رواحة يمضي في قصيدته حسب التقليد المتبع ، تبدأ بمقدمة غزلية ، تليها أحياناً مقدمة وصفية يتحدث فيها عن الناقة أو غيرها ، كما رأينا في القصيدة البائية التي أنشأها في يوم بُعاث ، ثم يتخلص من ذلك إلى الغرض الأصلي الذي قيلت القصيدة من أجله ، فيفخر أو يهجو ، أو يمدح . . ومن أجل ذلك كان الغزل الذي وجدناه لابن رواحة غزلاً تقليدياً ، فهو يأتي في مقدمة القصيدة لوناً من التقليد المتبع ، ومن باب معارضة قصيدة الخصم التي كانت تسلك نفس الاتجاه ، بل إن شاعرنا وجد نفسه أحياناً مضطراً أن يتغزل بليلى بنت الخطيم أخت قيس ، رداً على خصمه ، ومعاملة له بالمثل ، لأنه قد تغزل بعمرة بنت رواحة أخت عبدالله كما رأينا ونحن ندرس الشعر .

وأخيراً ، فإن هذه المناقضات التي توقفنا عندها من شعر ابن رواحة وغيره من شعراء الأوس والخزرج تمثل البداية الحقيقية لفن المناقضة في الأدب العربي ، ففي هذه البيئة الحافلة بالخصومات والمعارك والأيام تنفست النقيضة أنفاسها الأولى ، وقد أخذنا فكرة عن هذه البداية من خلال توقفنا عند شعر ابن رواحة الذي رأينا أنه جميعه يمثل هذا اللون من القول .

الشعر الجاهلي

الفصل الثالث

شعره الإسلامي

تمهيد :

كانت هجرة النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى المدينة إيذاناً بتغير كبير في أوضاعها الاجتماعية والسياسية والنفسية ، وأول ذلك وأهمه انتهاء هذه الحروب الطاحنة بين القبيلتين الكبيرتين : الأوس والخزرج ، وخمود نيران الأيام التي لم تكن تنتهي ؛ فقد دخلت القبيلتان الآن في الإسلام ، وزالت من النفوس الحزازات القديمة ، وآخى الرسول بين أعداء الأمس فصاروا إخوة متحابين هم الأنصار لأنهم نصروه وآووه ، ثم استحدث رابطة أخرى بين المهاجرين والأنصار ، ووجد اليهود مقيمين على العداوة والحقد ، والعمل على الكيد للأوس والخزرج ، فوادعهم وهادنهم ، وانصرف جهده الأول إلى نشر الدين ، وإرساء مبادئه الخلقية والاجتماعية في النفوس والحياة ، وهكذا استظلّت المدينة براية الإسلام والسلام . .

وبدا وكأن الوضع الأدبيّ في المدينة آخذ في التغير كذلك ، فلقد كانت المدينة أشعر القرى العربية لأن نهضة الشعر فيها كانت مصحوبة بالمعارك والأيام ، ففي مثل هذه البيئة كان يذكو الشعر القديم وينمو ويترعرع كما لاحظ ذلك ابن سلام ، أما الآن فقد أصبحت المدينة دار أمان واستقرار ، زالت العوامل والمسببات التي كانت تدفع الشعراء دفعاً إلى قول الشعر ، ولم يعد شاعر الأوس أو الخزرج يستطيع أن يفخر بقومه كما كان يفخر قبل الإسلام ، ولم يعد أمامه من يهجو من الخصوم والأعداء ، فظهر لأول وهلة وكأن معين الشعر سوف ينضب ،

وأن المدينة التي كانت زعيمة القرى العربية في الشعر ستفقد هذه المكانة ، وأن هذا الفن فيها سينزل عن قمته العالية التي كان متربعاً فوقها لزوال عوامله ومسبباته ، ولكن ما لبثت أن لاحت في الأفق بواعث ومهيِّجات جديدة لهذا الشعر ، وما لبث أن عاد جذعة كما كان أو لعله أعتى مما كان .

فالمعركة بين الإسلام والكفر لم تعد معركة حربية فقط ، ولم يعد السيف وحده قادراً على القيام بدور الهجوم والتحدي ، فوقف إلى جانبه الشعر ، سلاح العرب القوي ، والذي كان باستمرار مصاحباً لمعارك الطعن والنزال . جنّد الكفر كل أسلحته لحرب الإسلام ، ومنها هذا السلاح الفتاك ؛ فمكة التي لم تكن تعرف بشعر في الجاهلية ، ولم يكن لها حظ فيه بين القرى العربية ، لأنه « لم يكن بينهم نائرة ، ولم يحاربوا »[1] كما قال ابن سلام ؛ ينشط فيها هذا الفن الآن ، ويستيقظ شعراؤ هم الذين كانوا خاملين قبل الإسلام لترتفع أصواتهم ، فها قد تهيأت أمامهم العوامل والأسباب ، وهذا الدين الجديد يهدد مآثرهم وأيامهم وأمجادهم ، إن انتصاره يعني سقوط امتيازات الجاهلية ، وتخلخل الأمجاد القديمة الموروثة . أي حافز أقوى من هذا يمكن أن يهيِّج الآن شعراء مكة الذين لم يكن لهم شأن يذكر في الجاهلية ؛ فيندفعوا إلى القول ، وإلى تجنيد الطاقات ضد الإسلام والمسلمين ؟

وهكذا بدأت ضد الدين الجديد معركة أدبية ضارية اشترك فيها من صفوف الكفر عدد كبير من الشعراء ، كان في مكة عبدالله بن الزبعرى ألمع شعراء قريش ، وأشدهم عداوة للمسلمين ، وضرار بن الخطاب وهو معدود في فرسان قريش وشجعانهم وشعرائهم المطبوعين المجوِّدين ، وهبيرة بن أبي وهب المخزومي ، وأبو سفيان المغيرة بن الحارث بن عبد المطلب ، ابن عم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ورضيعه ،والحارث بن هشام الذي عرف بعدائه الشديدللاسلام منذ وقت مبكر، وأبو عزة عمرو بن عبدالله بن عثمان الجمحي ، وأبو أسامة معاوية بن زهير بن قيس ، وشداد بن الأسود بن شعوب الليثي ،

(١) طبقات فحول الشعراء : ٢٥٨ .

ومسافع بن عبد مناف ، ومن الشواعر هند بنت عتبة أبرز شاعرات قريش وأشدهن عداء لرسول الله ، وصفية بنت مسافر ، وقتيلة بنت النضر ، ولهؤلاء جميعاً شعر ضد الإسلام والمسلمين[1] . كما وقف إلى جانب معسكر مكة في حرب الرسول وصحبه شعراء من الطائف ، كأمية بن أبي الصلت ، وكنانة بن عبدياليل الثقفي[2] ، كما كان في الساحة شعراء يهود ككعب بن الأشرف الذي كان يهجو الرسول وصحابته ، وينال من أعراض المسلمين ، ويشبب بنسائهم ، وسماك اليهودي[3] ، وغير أولئك وهؤلاء . .

وهكذا كانت المعركة ضد الإسلام شرسة عنيفة لا ترحم ، ولذلك لم يكن بدٌّ أمام الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ من أن يحارب أعداءه بالسلاح نفسه ، وأن يكون له شعراء يذودون عن الدين الإسلامي ، ويتصدون لأعدائه الكثيرين ، وهكذا وجد الشعر في المدينة فرصته مرة ثانية ، وانفتحت أمام الشعراء سبل القول من جديد بعد أن قضى الإسلام على بواعثه الجاهلية الحمقاء ؛ فقد التفت النبي إلى الأنصار قائلاً : « ما يمنع القومَ الذين نصروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم ؟ فقال حسان بن ثابت : أنا لها ، وأخذ بطرف لسان وقال : والله ، ما يسرُّني به مقْوَل بين بصرى وصنعاء . . »[4] . كما روى أبو الفرج أن النبي ـ عليه السلام ـ قال : « من يحمي أعراض المسلمين ؟ فقال كعب : أنا يا رسول الله ، وقال عبدالله بن رواحة : أنا يا رسول الله ، وقال حسان بن ثابت : أنا يا رسول الله ؛ فقال : نعم ، أهجهم أنت فإنه سيعينك عليهم روح القدس »[5] . كما روي عن النبي أنه قال : « أمرتُ عبدالله بن رواحة

---

(١) انظر أمثلة لهذا الشعر في طبقات فحول الشعراء : ٢٣٥ ـ ٢٥٧ ، وسيرة ابن هشام : ٢/ ١٥ ، ٢/ ١٤١ ، ٢/ ٢٥٧ ، ١٣/٢ ، ٢ / ١٤٥ ، ٢/ ٣٤ ، ٢/ ٤٢٠ ، ٢/ ١٨ ، ٢/ ٣٤ (ط السقا ورفيقيه . ط ٢ ، ١٣٧٥ هـ ـ ١٩٥٥م) وأماكن أخرى كثيرة .

(٢) انظر طبقات فحول الشعراء : ٢٦٢ ـ ٢٧٠ ، وسيرة ابن هشام : ٢ / ٣٠ ، ٢ / ٣٣ ، ٢/ ٤٧٩ (ط السقا ورفيقيه : ط ٢) .

(٣) طبقات فحو ل الشعراء : ٢٧٩ ـ ٢٩٦ ، وسيرة ابن هشام : ٢ / ٥٢ ، ٢ / ٥٤ ، ٢ / ١٩٧ (الطبعة السابقة) .

(٤) الأغاني : ٤/ ١٣٧ .

(٥) الأغاني : ٤ / ١٤٥ .

فقال وأحسن ، وأمرت كعب بن مالك فقال وأحسن ، وأمرت حسان بن ثابت فشفى واشتفى »[1] .

وهكذا تطوّع من الأنصار ثلاثة شعراء خزرجيين هم حسان بن ثابت ، وكعب ابن مالك، وعبدالله بن رواحة لأداء هذه المهمة ، وتولي الدفاع عن الإسلام والمسلمين ، والردّ على شعراء الكفر الكثيرين ، وكان يؤازرهم شعراء آخرون من المهاجرين والأنصار ، أمثال طالب بن أبي طالب[2] ، وعلي بن أبي طالب[3] ، وخَوّات بن جُبير الأنصاري[4] ، وبعض الشواعر المسلمات مثل هند بنت أُثاثة[5] ، وصفية بنت عبد المطلب[6] ، ونُعم امرأة شمّاس بن عثمان[7] ، ولكن أولئك الثلاثة كانوا أشعر القوم ، وأقدرهم على القيام بهذا الدور ، وهم الذين عرفوا بشعراء الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ دون غيرهم ، فقد قال قائل لعلي بن أبي طالب ـ رضوان الله عليه ـ : « اهجُ عنا القوم الذين هَجَوْنا ، فقال علي ـ رضي الله عنه ـ : إن أذن لي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فعلتُ . فقال رجل : يا رسول الله ، ائذن لعلي كي يهجو عنا هؤلاء القوم الذين قد هجونا . قال : ليس هناك ، أوليس عنده ذلك ، ثم قال للأنصار : ما يمنع القوم الذين نصروا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ بسلاحهم أن ينصروه بألسنتهم . . »[8] . وإذن فالنبي ـ عليه السلام ـ يعرف مكانة الأنصار في الشعر ، ويعرف طول باعهم في هذا الفن ، وعلي ـ على جلال قدره ـ ليس عنده من هذا مثل ما عندهم .

ويتولى كل واحد من هؤلاء الثلاثة على ما يبدو جانباً معيناً يأخذ منه في الرد على شعراء قريش وغيرها . روى أبو الفرج قال : « فكان يهجوهم ثلاثة من

(١) الأغاني : ٤ / ١٤٣ .
(٢) سيرة ابن هشام : ٣ / ٢٧ .
(٣) المصدر السابق : ٣ / ١١ ، ١٧٤ ، ٢٠٦ ، ٢٣٦ .
(٤) المصدر السابق : ٣ / ٢١١ .
(٥) المصدر السابق : ٣ / ٤٣ ، ٩٧ .
(٦) المصدر السابق : ٣ / ١٧٦ .
(٧) المصدر السابق : ٣ / ١٧٧ .
(٨) الأغاني : ٤ / ١٣٧ .

الأنصار: حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة ، فكان حسان وكعب يعارضانهم بمثل قولهم بالوقائع والأيام والمآثر ، ويُعَيِّرانهم بالمثالب ، وكان عبدالله بن رواحة يُعَيِّرهم بالكفر ، وينسبهم إليه ، ويعلم أنه ليس فيهم شيء شر من الكفر ، فكانوا في ذلك الزمان أشدُّ القول عليهم قول حسان وكعب ، وأهون القول عليهم قول ابن رواحة ، فلما أسلموا ، وفقهوا الإسلام ، كان أشدّ القول عليهم قول ابن رواحة »[1] .

لقد كان لابن رواحة إذن دور في هذه المعركة الأدبية بين معسكر الإيمان ومعسكر الكفر ، بل كانت له زاويته الخاصة التي ينظر منها إلىالأمور في مهاجاة الكفـار ، والردّ على شعرائهم ، وهو بذلك صاحب منهج متميز عما أخذ فيه صاحباه كعب وحسان .

وسنحاول الآن أن ننظر في شعره الإسلامي الذي استطعنا جمعه من المصادر المختلفة لنرى مصداق هذه المقولة ، ولنتعرف على هذا الشعر ، ونعرف أثره وقيمته الأدبية .

- ١ -

أول ما نلاحظ في هذا الشعر قلته ، وهي قلة لاحظناها من قبلُ في شعره الجاهليّ ، وتوقفنا عندها ، وسقنا الشواهد عليها ، ونحن نلاحظ هذا في شعره الإسلامي كذلك ، فقد عدنا بحصيلة من هذا الشعر بعد بحث واستقصاء طويلين لم تزد عن المائة والخمسين بيتاً إلا بقليل ، وأغلبها ـ كما سنرى بعد قليل ـ مقطّعات وأبيات مفردة ، أو غير مقطوع بنسبتها إلى ابن رواحة ، وهي لا تفي إلا بالنزر اليسير ، ولا تستطيع أن تضع أمامنا صورة واضحة عن حقيقة الدور الذي لعبه عبدالله في هذه المعركة الأدبية ، بل هي لا تتفق مع ما نسب إليه من حجم هذا الدور ومداه .

ومن أجل ذلك لم يكن بدٌّ أن نفترض هنا ـ كما افترضنا من قبلُ في شعره الجاهلي ـ أن يكون قسم من شعره الإسلامي قد ضاع ، ولم يصل إلينا ، وهو

---

(١) الأغاني : ١٦ / ٢٣١ ، و ٤ / ١٣٨ .

على كلٍّ فرض تؤيده أسباب كثيرة ؛ فهو دون غيره من الشعراء المسلمين الآخرين الذي عددنا بعضهم قبل قليل معدود من شعراء النبي عليه السلام الذين كانوا يردون عنه الأذى ، ويذودون عن الإسلام والمسلمين ، هو في صف حسان ابن ثابت، وكعب بن مالك ، ولكل منهما شعر إسلامي كثير ، بل إن « مما يلفت النظر حين نرجع إلى ديوان حسان قلة شعره الجاهلي بالقياس إلى شعره الإسلامي على الرغم من أن الحقبة التي عاشها في الجاهلية توازي على وجه التقريب الحقبة التي عاشها في الإسلام »[1] . كما أن لكعب بن مالك شعراً إسلامياً كثيراً ، بل إن شعر كعب المجموع الذي بين أيدينا كلَّه شعر إسلامي[2] ، مع أنه شاعر مخضرم كذلك عاش في الجاهلية والإسلام ، وهذا يستدعي بطبيعة الحال أن يكون لابن رواحة شعر كافٍ يجعله أهلاً لأن يُعَدَّ في هذه المجموعة أو قريباً منها على أقل تقدير ..

وهو ـ كما تروي الأخبار ـ لم يكن شاعراً عادياً بل كان « أحد الشعراء المحسنين الذين كانوا يردون الأذى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم »[3] . وكان النبي الكريم يعرف مكانته الشعرية ، وكان يقول عنه : «أمرت عبدالله ابن رواحة فقال وأحسن »[4] وقال له : « إنك لحسن الشعر »[5] . ولولا ذلك لم يسمح له بأن يشترك في هذه المعركة الأدبية ، وأن يكون شاعره . لقد مرّ معنا قبل قليل أن النبي ـ عليه السلام ـ لم يأذن لعليٍّ ـ رضي الله عنه ـ بالقول ، وقال : ليس هناك ، أوليس عنده ذلك ، وكأنه وجد علياً غير مهيأ لهذا ، أو غير مُعَدٍّ له ، فلم يرَ له أن يحمل هذه الهمة التي قد يكون غيره أقدر عليها ، وأنهض بها . .

كلّ هذا يحملنا على افتراض أن يكون كثير من شعر ابن رواحة قد ضاع ، وأن العصور القديمة كانت تروي له أكثر مما بين أيدينا ، وإلا فأين شعره الذي قالوا عنه إنه يمثل اتجاهاً خاصاً في هجاء قريش والرد على شعرائها ؟ إن ما بين

---

(١) حسان بن ثابت (لإحسان النص) : ٩٣ .
(٢) انظر ديوان كعب المجموع.
(٣) الاستيعاب : ٣ / ٨٩٨ .
(٤) الأغاني : ٤ / ١٤٣ .
(٥) الأغاني : ١٦ / ٢٣٢ .

أيدينا لا يكاد يدل على ذلك كما سنرى بعد قليل . . وعلى كل حال فإننا نستطيع أن نرجع قلة شعر ابن رواحة الإسلامي إلى جملة عوامل منها :

١ ـ انشغاله بالغزو والأحداث مع رسول الله ، فقد لاحظنا عندما تحدثنا عن سيرة ابن رواحة ، أنه كان عظيم الشأن في الأحداث الإسلامية ، وأنه قام فيها بدور بارز مهم ، فقد حضر مع رسول الله جميع الغزوات لم يفته مشهد واحد من المشاهد ، ولم يكن واحداً عادياً ، كان نقيباً على قومه عندما أسلم ، وبشيراً بالنصر إلى أهل العالية في غزوة بدر ، وقائد بعث لقتل أسير بن رزام اليهودي ، وأميراً على المدينة في غزوة بدر الموعد ، وقائداً من قواد جيش المسلمين في غزوة مؤتة التي استشهد فيها ، وغير ذلك من المهمات الجسام التي كان يؤديها والتي توقفنا عندها فيما تقدّم ، ولا شك أن هذا لم يكن يدع له متسعاً كبيراً من الوقت لقول الشعر ، كما كان شأن حسان بن ثابت مثلاً الذي لم يحمل سيفاً ، أو يشترك في قتال ، أو يخرج مرة في غزوة من هذه الغزوات ، فقد كان ـ كما يحدثنا الرواة ـ أكحل لا يضرب بيده[1] ، فكان هذا يجعله متفرغاً لقول الشعر، وأكثر انصرافاً إليه من ابن رواحة مثلاً ، أضف إلى ذلك أن ابن رواحة لم يُعمّر في الإسلام طويلاً ، فقد توفي ـ كماعرفنا ـ سنة ثمان للهجرة ، بينما عاش صاحباه عمراً أطول من ذلك بكثير ؛ فقد توفي حسان في أيام معاوية حوالي سنة أربع وخمسين[2] وتوفي كعب كذلك في أيام معاوية في نحو سنة خمسين[3] تُرى ألا يكون لهذا دور في قلة شعر ابن رواحة بالقياس إلى شعر صاحبيه ؟

٢ ـ وأمر آخر نحسبه وراء هذه القلة ، وهو ما شاع في أذهان بعض الناس من عدم تشجيع الدين للشعر ، أو نعيه على الشعراء في قوله تعالى : ﴿ والشعراءُ يَتَّبِعُهم الغاوون ، ألم ترَ أنهم في كلِّ وادٍ يهيمون ، وأنهم يقولون ما لا يفعلون ﴾[4] . وقد دفع ذلك بعض الشعراء إلى الانزواء ، والتحرج من قول الشعر ، وكان عبدالله ـ بما عرفنا عنه من تورُّع وخشية وتقوى ـ واحداً من هؤلاء ،

(١) الأغاني : ٤/ ١٦ .
(٢) شذرات الذهب : ١ / ٦٠ .
(٣) المصدر السابق : ١ / ٥٦ .
(٤) الشعراء : ٢٢٤ ـ ٢٢٦ .

فعن عروة قال : لما نزل قوله تعالى : ﴿ والشعراء يتَّبعهم الغاوون ﴾ قال عبدالله : قد علم الله أني منهم[1] . وعلى الرغم من أن القرآن الكريم قد استثنى الشعراء المؤمنين من هذا الحكم كحسان وكعب بن مالك وابن رواحة ومن كان على طريقهم من القول الحق ، أو نسخ ـ على قول ابن عباس[2] رضي الله عنه ـ الآية السابقة بقوله : ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وذكروا الله كثيراً وانتصروا من بعد ما ظلموا وسيعلم الذين ظلموا أيَّ مُنْقَلب ينقلبون ﴾[3] ، وعلى الرغم من أن النبي عليه السلام قد حاول أن يبيِّن الأمر للشعراء المؤمنين ، وأن يوضح لهم أنهم ليسوا مقصودين بذلك الحكم ، فقال لهم : اقرؤوا ما بعدها ﴿ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ﴾ أنتم ﴿ وانتصروا من بعدما ظلموا﴾ أنتم ، وقال : « انتصِرُوا ، ولا تقولوا إلا حقاً ولا تذكروا الآباء والأمهات » وقال لكعب مطمئناً : « إن المؤمن يجاهد بنفسه وسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكأن ما ترمونهم به نضح النبل »[4] . أقول على الرغم من ذلك كله فقد وقَر في نفس بعض الشعراء شيء من الآية ، وظلت تُحْدِث عندهم خشية ، ومن هؤلاء ـ فيما يبدو ـ ابن رواحة الذي لا نستبعد أن يكون قد خفض من قول الشعر ؛ فقد روي عن قيس بن أبي حازم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن رواحة : « انزل فحرِّك الركاب . قال : يا رسول الله ، لقد تركتُ قولي . فقال له عمر : اسمع وأطع ، فنزول وقال :

تالله لولا الله ما اهتدينا . . »[5]

٣ ـ وأمر ثالث يتصل بهذا الشعر الذي ترادّ به أهل مكة والمدينة بصورة عامة ، فقد سقط من هذا الشعر شيء كثير ، وعمل بعض الرواة على تجنب أشياء مما قيل في هذه الفترة ، وتحرَّجوا من روايتها لما يمكن أن تثيره في النفوس من أحقاد وحزازات بعد أن أسلم أعداء الأمس ، ودخلوا في دين الله ، ولقد أصبح

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩٠ ، وسير أعلام النبلاء : ١ / ١٦٨ ، والإصابة : ١ / ٣٠٧ .
(٢) تفسير القرطبي : ١٣ / ١٥٣ .
(٣) الشعراء : ٢٢٧ .
(٤) تفسير القرطبي : ١٣ / ١٥٣ .
(٥) سير أعلام النبلاء : ١ / ١٧٠ .

هذا الشعر الآن سُبة وعاراً على قريش وغيرها ممن هداهم الله ، وأقبلوا على الدين الجديد ، فهم يتوارون منه ، ويعملون على دفعه والتخلص منه ، وقد نهى بعض ولاة المسلمين عن رواية هذا الشعر الذي كان بين مكة والمدينة . جاء في الأغاني : « نهى عمر بن الخطاب الناس أن ينشدوا شيئاً من مناقضة الأنصار ومشركي قريش ، وقال : في ذلك شتم الحيِّ بالميِّت ، وتجديد الضغائن ، وقد هدم الله أمر الجاهلية بما جاء من الإسلام . . »[1] . وقال كذلك : « إني قد كنتُ نهيتكم أن تذكروا مما كان بين المسلمين والمشركين شيئاً دفعاً للتضاغن عنكم ، وبثِّ القبيح فيما بينكم ، فأما إذا أبوا فاكتبوه واحتفظوا به ، فدّونوا ذلك عندهم . قال خلّاد بن محمد : فأدركته والله وإن الأنصار لتجدِّده عندها إذا خافت بِلَاه »[2] .

وإذا كان هذا الحكم ينطبق على شعر هذه الفترة بصورة عامة فقد يكون أشد انطباقاً على شعر ابن رواحة بالذات بسبب طبيعة هذا الشعر ، فقد مرّ بنا أنه كان ـ على خلاف صاحبيه حسان وكعب ـ يعيِّر قريشاً بالكفر ، وينسبها إليه ، وأن هذا الشعر لم يكن يؤثر فيهم أول الأمر لأنهم كانوا ما يزالون على شركهم ووثنيتهم ، فلم يكن يهمهم أن يعيرهم أحد بقيم لا يفهمون مدلولها ، فلما أسلموا غدا قول عبدالله ثقيلاً عليهم ، عنيف الوطأة على نفوسهم ، بل هو أشدّ إيلاماً لهم من شعر صاحبيه ؛ لأن ذينك كانا يعيرانها بالمثالب والوقائع والأيام ، ولم تعد الآن في هذا المجتمع الإسلامي الجديد ، الذي تغيَّرت فيه المفاهيم والقيم ، أهمية للوقائع والأيام ، فغدا قول ابن رواحة موجعاً بعد أنْ لم يكن كذلك . . . ولعله من غير المستبعد عندئذٍ أن تعمل قريش جاهدة على التخلص من هذا الشعر الذي أصبح سبَّة ووصمة عار عليها ، وأن يتحرَّج كثيرون من رواية مثل هذا الشعر دفعاً للتضاغن ، ودفناً للماضي البعيد . .

هذه جملة ملحوظات أحببنا أن نسوقها بين يديْ الحديث عن شعر عبدالله ، فلعل فيها ما يسوِّغ لناقلة هذا الشعر ، وما يحملنا على افتراض أن تكون العصور القديمة قد عرفت له أكثر مما وصل إلينا . .

---

(١) الأغاني : ٤ / ١٤٠ .

(٢) المصدر السابق

ثم إن هذا الشعر ـ إضافة إلى قلته ـ مضطرب النسبة كثيراً ، والعديد منه غير مقطوع بنسبته لابن رواحة، فهو يضاف إليه وإلى غيره من شعراء هذه الفترة، وليس من السهل في كثير من الأحيان القطع بنسبة هذا الشعر لواحد معين ؛ ففي شعر المسلمين عامة وشعر هذه الفترة خاصة ، شبه عام يجمعه، فقد طرق الشعراء موضوعات متشابهة ، هي هجاء المشركين ، والردُّ على شعرائهم ، وذكر الوقائع والغزوات ، وما سقط فيها من شهداء المسلمين أو صرعى الكافرين . . وغير ذلك من موضوعات متقاربة يدور حولها شعر هذه الفترة التي احتدمت فيها المعركة الأدبية بين المسلمين والمشركين ، ومن أجل ذلك لم يكن من الميسور الجزم بصاحب هذا الشعر أو ذاك ، وما قد يتوافر من مرجحات في بعض الأحيان فإنما هي مرجحات عمادها الظن لا أكثر ولا أقل .

وقد اختلط شعر ابن رواحة بشعر كعب بن مالك بصورة خاصة ، فالقطع (٩ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٧) تنسب لكليهما ، ولكن أبا زيد الأنصاري ـ وهو راوية متقدم ثقة ـ صحح نسبة بعض هذه القطع لكعب ، كالمقطوعتين التاسعة ، والثالثة عشرة ، وأما العاشرة فيبدو أنها لكعب كذلك فهي من قصيدة طويلة له كما ذكرنا ذلك عند التخريج ، وأما القطعتان المتبقيتان فلا نستطيع الجزم بنسبتهما إلى أحد الشاعرين .

كما اختلط شعره أحياناً بشعر حسان كما في القطع (١١ ، ٢٧ ، ٣٤) فأما القطعة (٢٧) فهي لحسان كما أجمعت على ذلك المصادر من قصيدة معروفة له ، وأما الأخريان فتتعاورهما النسبتان ، ولا نستطيع الجزم بصحة إحداهما . كما أن القطع (٧ ، ٨ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٣٥ ، ٣٧) تتراوح نسبتها بينه وبين غيره ، فالقطعة السابعة كان يرتجز بها كلٌّ من عليّ وعمار ابن ياسر في بعض المواقف، ولكن ذلك لا يعني أن يكون أحدهما قائلها كما ذكر ذلك ابن إسحاق نفسه ، ويرجح عندئذ أن تكون لابن رواحة كما نسبت في وفاء الوفا ، والقطعة الثامنة يصحح ابن هشام نسبتها لأبي خيثمة ، والقطعة الرابعة عشرة تنسب كذلك لعامر بن الأكوع ، ولكن يرجح أن تكون لابن رواحة كما

وردت في أغلب المصادر ، ولعل عامراً قد ارتجز بها على سبيل الاستشهاد . ونسب ابن هشام القطعة الثامنة عشرة لعمار بن ياسر ، بحجة أن ابن رواحة ينسب للمشركين التأويل ، وهم لم يؤمنوا بالتنزيل أصلاً حتى يُقتلوا على التأويل ، وهو اعتراض واهٍ ، وقد ردّ على ابن هشام قوله هذا كثيرون ، ورجحوا أن القطعة لابن رواحة ، ونسب المبرد القطعة الرابعة والعشرين لعمر بن لجأ ونسبها صاحب المفصل لبعض ولد جرير ، ولم يعرف هذه النسبة أحدٌ غيرهما ، وهي في جميع المصادر لعبدالله . والمقطوعة السادسة والعشرون اختلف حول نسبة البيتين الأولين منها فقط ، فنسبا للوليد بن المغيرة ، وذكر بعضهم أنهما حديث للرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بحجة أن مشطور الرجز ليس بشعر ، ونسبا أحياناً للصدِّيق ، ولكن أغلب المصادر على أنهما لابن رواحة ، وأما بقية أبيات المقطوعة فهي لعبدالله دون خلاف .

والقطعة التاسعة والعشرون يبدو أنها ليست له ، والأرجح أنها لخالد بن الوليد أو غيره كما أجمعت على ذلك معظم كتب الأمثال . وكذا القطعة الثانية والثلاثون ، فالبيت لابن الزبعرى من قصيدة طويلة له . ونسبت القطعة الخامسة والثلاثون لكعب بن زهير كذلك .

وتعاور نسبة القطعة السابعة والثلاثين أكثر من واحد ، ولا نستطيع الجزم بصاحبها .

وخلاصة الأمر أن شعر ابن رواحة الإسلامي اختلط ـ كما أوضحنا ـ كثيراً بشعر غيره ، وهو اختلاط لا يمكن تمييزه ، ونستطيع على وجه الإجمال أن نقول عن القطع (١٥ ، ١٦ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٥ ، ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٠ ، ٣١ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣٦) إنها مما لا ينازع ابنَ رواحة في نسبتها أحد . وأما القطع (٧ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٨ ، ٢٤ ، ٣٥) فيرجح أنها له ، وذلك لأسباب بيّنّاها فيما تقدم ، ويرجح أن يكون من شعر غيره القطع (٩ ، ١٠ ، ٢٧ ، ٢٩ ، ٣٢) وتبقى القطع (٨ ، ١١ ، ١٢ ، ١٧ ، ٣٤ ، ٣٧) مما لا نستطيع أن نقطع برأي في شأنها . .

- ٣ -

وأما هذا الشعر فهو ـ على قلته ـ متعدد الموضوعات والأغراض ، وتوشك أن تغيب فيه الموضوعات القديمة كالفخر والمديح التقليدي اللذين رأينا أصداء منهما في شعره الجاهلي على سبيل المثال ، وقد حلت محلهما ـ فيما يبدو ـ أغراض أخرى من القول ، هي من آثار الدين الجديد ، والتغيير الفكري الذي حدث .

وهو شعر ملتزم بهذه العقيدة الكريمة ، مجنَّد لخدمتها والدفاع عنها من شتى الزوايا والوجوه ، ولا شك عندنا في أن هذا الالتزام هو أشد وضوحاً في شعر ابن رواحة منه في شعر صاحبيه اللذين كانا معه في الساحة نفسها ، فقد غابت ذات عبدالله الفردية في كل ما قال ، وخفت أيُّ صوت شخصي يمكن أن نسمعه عند الآخرين ، وأصبح الشاعر لسان الجماعة الإسلامية وقلبها وضميرها ، ونستطيع أن نلمح ذلك في جميع الموضوعات التي تعرَّض لها شعره .

ونستطيع بصورة عامة أن نميّز في هذا الشعر الأغراض التالية :

١ ـ ما قاله في بعض المناسبات الإسلامية ، وذكر فيه المشركين ، وعرّض بهم .

٢ ـ ما قاله في ذكر الإسلام ، وفضل رسوله الكريم .

٣ ـ ما قاله في تشجيع المسلمين والتخفيف عنهم في أوقات الشدة .

٤ ـ ما قاله في ذكر الموت ، والزهد في الحياة .

٥ ـ ما رثى به بعض شهداء المسلمين .

وأكثر ما بين أيدينا من شعره في الغرضين الأولين .

١ ـ شعره في المناسبات وذكر المشركين :

من ذلك المقطوعة الثامنة في أحد عشر بيتاً ، وقد ذكر فيها قصة زينب بنت رسول الله مع زوجها أبي العاص ، وهو من رجال مكة المعدودين ، وقد تزوج زينب قبل الوحي ، ولما بُعث النبي ـ عليه السلام ـ ظلّ على كفره ، بينما آمنت زينب بأبيها ، وطلبت قريش من أبي العاص أن يطلقها فرفض ، وأقامت زينب

المسلمة معه على كفره ، لأن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ لضعفه يومئذ لم يكن يستطيع أن يفرِّق بينهما ، ولكن أبا العاص يُؤسر في بدر ، ولما بعث أهل مكة في فداء أسراهم بعثت زينب تفتدي أبا العاص ، فرق قلب رسول الله لها رقة شديدة ، فأطلقه المسلمون بعد أن أخذوا منه العهد أن يخلي سبيل زينب ، فلما قدم مكة أرسلها في هودج ، معارضاً رأي قريش ، وكان بانتظارها زيد بن حارثة وصاحب له ، فقدما بها المدينة على رسول الله[1]) فقال ابن رواحة يذكر ذلك في قصيدته :

أتاني الذي لا يَقْدِرُ الناسُ قَدْرَه ‏ ‏ ‏ لِزينبَ فيهم مِنْ عُقُوقٍ ومَأْثَمِ

وهو يشير فيها إلى ما كان من أمر زينب هذا ، وكيف استطاع النبي أن يخرجها من قريش دون أن يُخزَى في أمرها ، وانما استطاع أن يخرجها بالقوة والحرب رغماً عن أنف أبي سفيان ، ثم يشير إلى ما كان من انتصار المسلمين في بدر ، وإلى بعض رؤ وس قريش الذين أسروهم ، ووضعوهم في الأصفاد ، ثم يقسم أن تظل جيوش المسلمين تدفع قريش الكفر ، وتسوقها كما تساق الإبل ، تسقيها كأس الذل ، وتطاردها حتى تنزلها أكناف نجد ونخلة ، وتلحقها حيثما اتجهت ، وستظل تنتصر عليها أبد الدهر حتى تفنيها وتلحقها بعاد وجرهم ، وسنيدمون إذ يحيق بهم الذل والهزيمة ، ولكن سيكون الأوان قد فات ، ولن ينفعهم الندم يومذاك ، يقول :

وإخراجُها لم يُخْزَ فيها محمدٌ ‏ ‏ ‏ على مأقِطٍ وبيننا عِطرُ مَنْشَمِ
وأمسَىٰ أبو سفيانَ من حِلْف ضَمضَمٍ ‏ ‏ ‏ ومن حربنا في رغمِ أنْفٍ ومَنْدَمِ
قَرَنَّا ابنَه عَمْراً ومَولَى يمينِهِ ‏ ‏ ‏ بذي حَلَقٍ جِلْدِ الصلاصلِ مُحْكَمِ
فأقسمتُ لا تنفَكُّ منا كتائبٌ ‏ ‏ ‏ سراةُ خميسٍ في لُهامٍ مُسَوَّمِ
نَزُوعُ قريشَ الكفرِ حتى نَعُلَّها ‏ ‏ ‏ بمخاطِمةٍ فوقَ الأنوفِ بِمِيْسَمِ
نُنزِّلُهم أكنافَ نَجْدٍ ونخلةٍ ‏ ‏ ‏ وإن يُتْهِموا بالخيلِ والرَّجْلِ نُتْهِمِ
يدَ الدَهرِ حتى لا يُعَوَّجَ سِرْبُنا ‏ ‏ ‏ ونُلْحِقهم آثارَ عادٍ وجُرْهُمِ
ويندمَ قومٌ لم يُطيعوا محمداً ‏ ‏ ‏ على أمرِهِمْ وأيّ حينَ تَنَدُّمِ

---

(١) السيرة : ٢ / ٢٠٩ .

ثم يتوجه بالخطاب إلى أبي سفيان مباشرة ، فيحذره ، بأنه إذا لم يسلم ، ويسجد لله مخلصاً ، فإن الخزي سيصيبه في الدارين معاً : في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة سيخلد في جهنم :

فَأَبْلِغْ أبـا سفيـانَ إمَّـا لقِيْتَـه ... لئِنْ أنتَ لم تُخْلِصْ سُجوداً وتُسْلِمِ

فأبْشِرْ بخِـزْيٍ في الحياةِ مُعَجَّـلٍ ... وسِـربالِ قَـارٍ خـالـداً في جَهَنَّمِ

فالقصيدة ـ كما يلاحظ ـ تتضمن بعض المعاني الدينية ، فالشاعر يعير قريشاً بالكفر ، وينبسها إليه ، فيسميها (قريش الكفر) وهو يعيرها بأنها أقامت على كفرها ، وعصت محمداً ، وهو يدعو أبا سفيان للإسلام ، وإلى أن يسجد لله مخلصاً ، ويعين له مصيره إن لم يفعل ، وهو المصير نفسه الذي يشير إليه القرآن الكريم من أن الكافرين لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم . فالأبيات ـ إذا ثبتت نسبتها لابن رواحة ـ تتفق مع ما يحدثنا به الرواة من أن عبدالله كان يعير قريشاً بالكفر ، وينسبها إليه .

ومن ذلك مقطوعة له في ستة أبيات قالها في غزوة بدر الآخرة في شعبان سنة أربع ، يعيِّر أبا سفيان الذي أخلف موعده ، ولم يأتِ إليٍ بدر كما وعد عقب انصرافه من بدر الكبرى ، فذكر ابن رواحة خلفه هذا ، وذكره بما كان من هزيمة لقريش في يوم بدر الكبرى ، ومقتل رؤ وس القوم عتبة بن الوليد ، وابنه الوليد ، ومصرع أبي جهل ، ثم يعيِّرهم بعصيانهم لرسول الله ، وعدم الإقبال على دينه ، ويَنْعَى عليهم دينهم السيء ، إنه دين غواية وضلال ، ثم يشير إلى نصرتهم للنبي ـ عليه السلام ـ وفدائهم له بالأنفس والأموال ، وطاعته لا يؤثرون عليه أحداً ؛ فقد جاءهم شهاباً هادياً من الظلمات إلى النور :

وعَـدْنا أبـا سفيانَ بدراً فلم نجِدْ ... لميعـادِه صـدقاً ومـا كـانَ وافِيـا

فـأقسمُ لـو وافَيْتَـنـا فلقِيْتَـنـا ... لأُبْتَ ذليـلاً وافْتَقَـدْتَ المـواليـا

تـركْنَا بــه أوصـالَ عُتْبَـةَ وابنَـه ... وعَمْـراً أبـا جَهْـلٍ تـركْنَاه ثَـاوِيـا

عَصَيْتُمْ رسُـولَ اللهِ أُفٍ لـدِيْنِكم ... وأمْـرِكُمُ السَّيْءِ الذي كـانَ غاوِيـا

فـإني ـ وإنْ عنَّفْتُمـوني ـ لقـائـلٌ ... فِـدَىً لـرسـولِ اللهِ أهْلِي ومـالِيَـا

أطعْنَـاه لم نَعْـدِلْـه فينـا بغيـرِهِ ... شِهاباً لنا في ظلمةِ الليـلِ هادِيـا

فمن الواضح أن ابن رواحة يقارن بين موقف قريش وموقف الأنصار من النبي عليه السلام ، فعلى حين عصته ولم تقبل على دين الحق ؛ أطاعه الآخرون وصدَّقوه وآمنوا به ، وهو ـ على عادته ـ يعيِّر قريشاً بدينها ، وينعى عليها ضلالها وفساد أمرها على نحو ما عرف عنه ، وتتخلل الأبيات ظلال خافتة لبعض المعاني الدينية متمثلة في البيت الأخير خاصة .

ومن شعره في المناسبات الإسلامية ما كان يرتجز به عندما دخل الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ مكة في عمرة القضاء في ذي القعدة سنة سبع ، كان يوماً عظيماً للإسلام والمسلمين ، فها هم يدخلون مكة التي صُدُّوا عنها ، وخرجوا منها فارّين بدينهم من أذى قريش واضطهادها ، وعبدالله آخذ بزمام ناقة النبي يسوقها ، وهو يرتجز طالباً إلى بني الكفار من قريش أن يبتعدوا عن طريق النبي ، ويخلّوا السبيل أمامه حتى يؤدي عمرته ، ويذكر في هذا الموقف ما كان من أمر قريش وضلالها وعصيانها لأمر الرسول، وعدم إقرارها بما أُنزل إليه من ربِّ العالمين ، وقد ضربهم المسلمون على هذا العصيان ضرباً شديداً مذهلاً ، وحاربوا من أجل الدين حرباً ضروساً تذهل الصاحب عن صاحبه ، وكان المسلمون يقاتلون عن عقيدة راسخة ، مؤمنين بما أنزله الله في كتابه من أن خير الموت موت في سبيل الله والرسول :

خلُّوا بني الكفارِ عن سبيْلِهْ	خَلُّوا فكلُّ الخَيْرِ في رسُولِهْ
قد أنْزَلَ الرحمنُ في تنزِيْلِه	في صُحُفٍ تُتْلَى على رسُوله
بأنَّ خيرَ القَتْلِ في سبيْله	يا ربِّ إنِّي مُؤمِنٌ بِقيْلِهْ
أعرِفُ حقَّ اللهِ في قَبُوْله	نحنُ ضرَبْناكم على تأوِيْله
كما ضَرَبْناكم على تنْزِيْله	ضرباً يزيلُ الهَامَ عن مَقِيْلِه
ويذهلُ الخليلَ عن خلِيْلِه	أو يَرْجِعَ الحقُّ إلى سبيله

فالأبيات تظهر فيها المعاني الإسلامية بشكل متميز ، سواء في روحها العامة ، أو في ألفاظها وعباراتها ، وفيها مقارنة بين موقفين : المسلمين الذين أخلصوا الطاعة لرسول الله ، وعرفوا أن الخير في اتباعه ، وقبول ما جاء به ، والموت في سبيله ؛ والكافرين الذين جحدوا وأنكروا ، حتى حاقت بهم الذلة ،

وكتب الله لعباده النصر والتأييد ، وما يزال ابن رواحة - كالعادة - ينسبهم إلى الكفر ، فيسميهم ها هنا (بني الكفار) .

هذه نماذج من شعر عبدالله في بعض المناسبات الإسلامية ، وفي ذكر المشركين أو الرد عليهم ، ويمكن أن يدخل في هذا الغرض كذلك مما بين أيدينا من شعره القطع (١٠ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٩ ، ٢٨) وهي تعكس روحاً إسلامية قد تكون أكثر وضوحاً منها في شعر صاحبيه ، وهي ميَّالة إلى تعيير قريش بالكفر والضلال، وبموروثات الجهل والشرك ، فهو تارة يسميهم (قريش الكفر) وتارة (بني الكفار) وأخرى يسخر منهم (أفٍّ لدينكم . . وأمركم السيء الذي كان غاوياً !) ولكنه في الوقت نفسه يشير إلى فضل الله على المسلمين ، حيث هداهم إلى الحق ، ودلهم عليه ، فهم مستمسكون به أشد استمساك ، وهو يعدد انتصارات المسلمين ووقائعهم ، ومن صُرع على أيديهم من رؤوس الكفر ، وأئمة الضلال .

٢ - شعره في ذكر الإسلام ورسوله الكريم :

ومن أغراض هذا الشعر الذي بين أيدينا ما قاله ابن رواحة في ذكر الإسلام ، أو ذكر الرسول ، صلى الله عليه وسلم ، ومن الطبيعي أن يظهر في هذا اللون من القول أثر المعاني الدينية ، وتأثر الشاعر بأفكار الإسلام وألفاظه وعباراته بشكل واضح ، كقوله مثلاً في جارية له كان يستسرها عن أهله ، فبصرت به امرأته يوماً فغضبت ، وقالت : قد اخترت أمتك على حرتك ، فجاحدها ذلك ، فقالت : فإن كنت صادقاً ، فاقرأ آية من القرآن فإن الجنب لا يقرأ القرآن :

شهدتُ بأنَّ وعدَ اللهِ حَقٌّ ... وأنَّ النارَ مثْوى الكافرينا
وأنَّ العرشَ فوقَ الماءِ طافٍ ... وفوقَ العرشِ ربُّ العالمينا
وتحمِلُهُ ملائكةٌ كِرَامٌ ... ملائكةُ الإلَهِ مُقَرَّبِيْنَا

فمن الواضح تأثر ابن رواحة في هذا الشعر بآيات من القرآن الكريم وألفاظ وعبارات ، حتى وهِمَتْ زوجته أنه إنما قرأ عليها قرآناً ، فقالت له : آمنت بالله

وكذبت البصر[1] ، وعلى الرغم مما يعكسه هذا من بساطة الزوجة وسذاجتها ، ولكنه لا يخلو من دلالة على ما نشير إليه ، كانت المرأة لا تقرأ القرآن ، ولكن لا شك أنها قد سمعت به ، ولعلها بفطرتها الساذجة البسيطة قد أحست ما يداخل هذا القول من معانٍ قرآنية وأفكار دينية ، فاختلط في ذهنها الأمر .

ويبدو أن هذه الحادثة قد وقعت له مع زوجته تلك ، أو مع غيرها أكثر من مرة ، فكان شعره بما تشيع فيه من ألفاظ وأفكار قرآنية يسعفه على التخلص من هذا الموقف الحرج ، واتقاء غضبة الزوجة ، فها هو في إحدى المرات ينشد :

شهـِـدتُ بـإذنِ اللهِ أنَّ محـمـداً ... رسولُ الذي فوقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عَلُ
وأنَّ أبَـا يحيى ويحيى كـلَيْهِمـا ... لـهُ عـمـلٌ في دِينِـهِ مُتَقَـبَّـلُ
وأنَّ التي بالجِزْعِ مِنْ بـطنِ نَخْلَةٍ ... ومَنْ دَانَهـا فِلٌّ من الخيرِ مَعْـزِلُ
وأنَّ الـذي عادَ اليهـودَ ابنَ مَرْيَمٍ ... رَسولٌ أتَى مِنْ عندِ ذي العرشِ مُرْسَلِ
وأنّ أخَـا الأَحْقَـافِ إذْ يَعْـدِلُـونَـهُ ... يجـاهِـدُ في ذاتِ الإلـهِ ويَعْـدِلُ

فيشهد بالله أن محمداً رسول حق أرسله الله المتربع على عرش السموات ، ويذكر أبا يحيى زكريا عليه السلام ، ويشير إلى العُزَّى - إحدى آلهة الجاهلية - وإلى اليهود وابن مريم ، وإلى هود - عليه السلام - أخي الأحقاف مقتبساً من قوله تعالى : ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف ﴾ فكان أنْ لَبَّست هذه المعاني الدينية الأمر على زوجته ، فقالت ببساطة لا تخلو من مقارنة ساذجة بين ما قد تكون سمعت من القرآن وبين هذا الشعر : صدق الله ، وكذبت عيني[2] ويقول في مرة ثالثة ذاكراً رسول الله وفضله ، وتقاه وعبادته وورعه ، ومتحدثاً عن فضل هذا الدين الجديد عليهم حيث أراهم الهدى بعد العمى والضلال ، وأخرجهم إلى النور والحق ، ويذكر الحشر بعد الموت ويشير إلى إيمانه بهذا إيماناً لا يخالجه الشك ، يقول :

وفينـا رسـولُ اللهِ يتلُـو كـتـابَـهُ ... إذَا انشقَّ معْرُوفٌ من الصبحِ ساطعُ

---

(١) انظر الاستيعاب : ٣ / ٩٠١ ، وسير أعلام النبلاء : ١ / ١٧١ .
(٢) انظر المصدر السابق .

أرانـا الهُـدَى بعـدَ العَمَىٰ فقُلُوبُنـا ... بـه مُـوقِنَـاتٌ أنَّ مـا قـالَ واقِـعُ
يَبِيْتُ يُجَـافِي جَنْبَـهُ عن فِـرَاشِـهِ ... إذَا اسْتُثْقِلَتْ بالكافرين المَضَاجِعُ
وأَعْلَمُ علمـاً ليسَ بـالـظنِّ أنَّني ... إلى اللهِ مَحْشُـورٌ إليـهِ ورَاجِـعُ

ولابن رواحة مقطوعة من بضعة أبيات اختلط فيها مديحه لرسول الله ـ عليه السلام ـ بهجاء بعض أبناء قريش من عمر بن مخزوم وغيرهم ، ويبدو أنه قد ارتجلها بين يدي رسول الله ؛ فقد روى هشام بن عروة عن أبيه ، قال : سمعت أبي يقول : ما سمعت أحداً أجرأ ولا أسرع شعراً من عبدالله بن رواحة ، سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول له يوماً : قل شعراً تقتضيه الساعة ، وأنا أنظر إليك ، فانبعث مكانه يقول :

إني تفَرَّسْتُ فيك الخيـرَ أعـرِفُـهُ ... واللهُ يعْلَمُ أنْ مـا خَـانَنِي البَصَـرُ
أنتَ النَّبِيُّ ومَنْ يُحْـرَمْ شفـاعَتَـه ... يومَ الحسابِ لَقدْ أزْرَى بِهِ القَـدَرُ
فَثَبَّـتَ اللهُ مـا آتَـاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثْبِيْتَ مُوسَى ونصراً كالذي نُصِرُوا[1]

وخصَّ آل هاشم ـ قوم النبي ـ بالمديح ، فذكر أن الله فضَّلهم على غيرهم إذ اختار رسولاً منهم ، ولكنه غمز أبناء عمر بن مخزوم ، وسخر منهم :

يـا آلَ هـاشِـمَ إنَّ اللهَ فضَّـلكم ... على البـريـةِ فضـلاً مـا لَـهُ غِيَـرُ
فخبِّـروني أثمـان الـعبـاء متـى ... كنتم بطاريـق أو دانت لكم مضر

ولكن النبي ـ عليه السلام ـ كره أن يسمي بعضاً من قومه (أثمان العباء) وفطن إلى ذلك ابن رواحة ، فأسرع يصلح ما قال :

نُجَالِدُ النَّاسَ عن عُرْضٍ فَنَأْسِرُهم ... فينـا النَّبِيُّ وفينـا تَنْـزِلُ السُّـوَرُ
وقَـدْ عَلِمْتُمْ بـأنَّـا ليسَ يَغْلِبُنـا ... حيٌّ من النَّاسِ إنْ عَزُّوا وإنْ كَثُرُوا[2]

ومن شعر ابن رواحة أيضاً في رسول الله يمدحه ويدعو له :

لـو لم تكُنْ فيـه آيـاتٌ مُبَيَّنَـةٌ ... كـانت بدِيهَتـهُ تُنْبِيْـكَ بـالخَبَـرِ

---

(١) انظر الاستيعاب : ٣ / ٨٩٨ .
(٢) طبقات ابن سعد : ٣ / ٥٢٨ .

فثبَّتَ اللهُ ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ   قَفَوْتَ عيسَى بإذْنِ اللهِ والقَدَرِ

وقوله عندما ودَّعه وخرج إلى مؤتة :

خَلَفَ السَّلامُ على امرِئٍ ودَّعْتُه   في النَّخْلِ خَيْرَ مُشَيِّعٍ وخَلِيْلِ

فيستيعر من القرآن لفظة (السلام) التي هي أحد أسماء الله أو صفاته العلى .

وهكذا يظهر أثر المعاني الإسلامية في هذاالغرض من شعر ابن رواحة بشكل واضح ، ولا شك أن طبيعة الموضوع تستدعي وجود هذا الأثر ، كما تعكس إخلاص الشاعر لهذا الدين ، وولاءه لرسوله الكريم ، وإقراره بفضله وجهاده ، فقد أخرجهم من ظلام الجهل والوثنية إلى نور الإيمان والهداية .

٣ ـ شعره في تشجيع المسلمين:

ولابن رواحة شعر كان يقوله في بعض المناسبات لتشجيع المسلمين في أوقات الشدة ، والتخفيف عنهم ، وقد كان لهذا الشعر أثر كبير في نفوس المسلمين ، وكان يبعث فيهم الهمة والنشاط ، ويبث الصبر والجلد ، ويلهب عزائمهم المؤمنة ، وحماستهم المتيقظة ، وأغلب شعر هذا الغرض رجز كان يرتجله ابن رواحة ارتجالاً بلا سابق إعداد أو تهيئة ، فكان يأتي سهلاً سلساً ، يشيع فيه الصدق والحرارة ، وكان يلقى في نفوس المسلمين صدى واستجابة، ثم يتحول إلى نشيد جماعي يردده القوم كلهم ، فيروّح عنهم ،ويشعل هممهم، ويملؤهم إيماناً وهمة وحماسة . كان المسلمون منهمكين في بناء مسجد قباء وهم ينشدون رجز ابن رواحة :

أفلَحَ مَنْ يُعَالِجُ المَسَاجِدَا
ويقرأ القرآن قائماً وقاعدا
ولا يبيت الليلَ عنه راقدا
ومن يرُى عن الغبار حائدا

وكان الرسول نفسه ـ عليه السلام ـ يردد وراءهم قافية كل بيت : مساجدا ، وقاعدا . . الخ[1] .

وكذلك كان شأنهم يوم الخندق ، كانوا يحفرون في غداة باردة ، لا خدم ولا عبيد يفعلون لهم ذلك ، وقد نال التعب منهم ، وأخذ من أجسادهم كلّ مأخذ ، ولكن شعر ابن رواحة ـ بما كان يشيع فيه من صدق وحماسة ، وذكر لله ورسوله ، وتذكير بالأجر والثواب اللذين أعدَّهما الله للصابرين العاملين ، وبما فيه من دعاء وتوسل واستغفار ـ كان يشيع في نفوس القوم الرضى والأمن والسكينة ، فينطلقون في نشيد جماعي بهذا الشعر الصادق المؤثر :

تَـالَّلهِ لـوْلاَ اللهُ مـا اهْتَـدَيْنـا ... ولا تَـصَـدَّقْـنـا ولا صَـلَّيْـنَـا
الـكـافـرونَ قَـدْ بَغَـوْا عَـلَيْنـا ... إذا أرادُوا فِتْنَـةً أبَـيْـنـا
إنَّـا إذا صِـيْـحَ بنـا أَتَـيْـنـا ... وبـالـصِّـيـاحِ عَوَّلُوْا عَـلَيْـنـا
فـاغْفِرْ فِـدَاءٌ لـكَ مـا اقْتَضَيْنَا ... وثَـبِّـتِ الأَقْـدَامَ إنْ لاقَـيْـنَـا
وأنْـزِلَـنْ سَـكِـيْـنَـةً علينا ... ونحنُ عنْ فضلِكَ مـا اسْتَغْنَيْنـا

وفي يوم مؤتة كان الموقف عصيباً شديداً ، تجمع على جيش المسلمين القليل الذي لم يكن يجاوز ثلاثة آلاف أكثر من مائتي ألف جندي مدجج من روم وعرب ، فلما سمع المسلمون بكثرة عددهم ، تحيَّروا في أمرهم ، وداخل نفوسهم روع ، فراح ابن رواحة ينشد الناس :

جَلَبْنَـا الخيـلَ من أجـأٍ وفَـرْعٍ ... تُغَـرُّ من الحشيشِ لهـا العُكُـومُ
حَـذَوْنَـاهَـا من الصَّـوَّانِ سِبْتـاً ... أزلَّ كـأنَّ صـفـحـتَـه أدِيْـمُ
أقـامَـتْ لـيلتيْـنِ عـلى مَـعَـانٍ ... فـأُعْقِبَ بعـد فَتْـرَتِـهـا جُمُـومُ
فَـرُحْـنـا والجِـيـادُ مُسَـوَّمَـاتٌ ... تَنَفَّسُ في منـاخِـرِهـا السَّمُـومُ

وهو يتحدث عن خيل المسلمين ، وإعدادها للقتال ، فقد أُطعمت الحشيش ، وحُذِيت الصَّوَّان ، وقد أقامت ليلتين في (معان) من أجل الراحة والاستعداد بعد رحلة طويلة من الجزيرة ، ثم مضى المسلمون بخيلهم المسوّمة

(١) وفاء الوفا : ١ / ٢٥٣ .

وقد استعادت نشاطها وقوتها ، ثم يقسم بثقة وإيمان أن يأتي المسلمون (مآب) مهما كان فيها من عرب أو روم ، فقد عبؤ وا أعنة الخيل ، وأعدوها للقتال ، ثم يعطي في البيت الأخير صورة للمسلم الصادق ، والمجاهد المؤمن الذي نذر نفسه للموت في سبيل الله ، فلم يعد يعتدُّ بشيء من متاع الدنيا أو زخارفها ، وإذا ما استشهد في ساحة القتال فلا عليه بعد ذلك أن تتزوج امرأته من بعده أو تبقى بلا زوج ، لأن هذه الأسنة التي سيقتل بها ستتولى تطليق الزوجة وإعطاءها حريتها ، كي تفعل بعد ذلك ما تشاء ، يقول :

فـلا وأبِـيْ مـآبَ لَنـأْتِيَنْـهـا	وإنْ كـانـتْ بـهـا عَـرَبٌ ورُوْمُ
فَعَبَّـأْنـا أَعِـنَّتَـهـا فـجـاءَتْ	عـوابِسَ والـغُبـارُ لـهـا بَـرِيْـمُ
بـذِي لَجَبٍ كـأنَّ البَيْضَ فيـهِ	إذا بَـرَزَتْ قَـوَانِسُهـا الـنُّجُـومُ
فـراضيـةُ المعيشـةِ طـلَّقَتْـهـا	أسـنَّتُـهـا فـتُـنْـكِـحُ أو تَئِـيْـمُ

وهي أبيات صادقة العاطفة ، تفيض حماسة وعزيمة ، وقد أثرت في نفوس القوم ، فتشجعوا ، ومضوا إلى مؤتة لمقاتلة جيش الروم غير عابئين بعدده ولا عدته .

هذه نماذج من شعر ابن رواحة في تشجيع المسلمين ، أو التخفيف عنهم ، وهو ـ كما لاحظنا ـ شعر مؤثر ، كان يحرك همم المسلمين ، ويستثير عزائمهم ، وكان لوناً آخر من الجهاد ، جهاد القلم والكلمة الصادقة الكريمة .

٤ ـ شعره في ذكر الموت :

وهو الشعر الذي قاله منذ بدأ يتجهز للخروج إلى مؤتة ، وكأنما كان على إحساس بأنه لن يرجع ، وكان فرحاً بهذه النهاية ، إنها نهاية ينتظرها ويتشوق إليها تشوقاً ما عليه من مزيد ، بل هو يأمل فيها ، ويدعو الله أن تتوَّج بها أيامه . فالناس يودعونه قبل خروجه إلى مؤتة ، ويدعون له بالسلامة ، وأن يرجع إليهم ، ولكن في نفسه غير هذه الأمنية ، إنه يسأل الله غفراناً وشهادة ، شهادة تحققها ضربة عميقة بالسيف ، أو طعنة واسعة بالرمح تخرج الأحشاء والكبد ، فما أرخص ذلك كله في سبيل الله ، وما أروع أن يسقط بين سنابك الخيل ، وتدوسه الأقدام ، ويذكره الناس بخير ودعاء صالح :

لكنَّني أسـأل الـرحـمنَ مغفرةً وضـربةً ذاتَ فَـرْغٍ تَقْذِفُ الـزَّبَدَا
أو طعنـةً بيـدَيْ حَـرَّانَ مُجْهِـزَةً بحـربـةٍ تُنْـفِذُ الأحشـاءَ والكَبِـدَا
حتى يُقَـالَ إذَا مَرُّوا على جَـدَثِي أَرْشَـدَهُ اللهُ مِنْ غـازٍ وقَـدْ رَشَـدَا

ويقترن هذا الشوق إلى الموت بزهد في الحياة وزخارفها ونعيمها ، ونلمح ابن رواحة وقد أرخص كل شيء ، فقد وقر في نفسه الإحساس بقرب النهاية ، وما عاد له من أمل إلا أن توصله ناقته إلى حيث يشاء ، ولها منه خير الجزاء ، وأن يرجع المسلمون ، ويخلفوه وراءهم في أرض الشام ، فكم يشتهي أن يثوي هناك ، وأن تكون هذه هي الخاتمة ، فقد ترك الدنيا وراءه قبل أن يخرج إلى الغزو ، ولم يبال بما خلَّف هناك من نخل أو بعل أو مال ، ولن يشغله شيء عما هو عازم عليه :

إذا أدَّيْـتِنِـي وحـمـلتِ رحـلِي مـسيـرةَ أربـعٍ بـعـدَ الحِسَـاءِ
فـشـأنُـكِ أنْـعُـمٌ وخَـلاكِ ذَمٌّ ولا أرْجَـعْ إلـى أهْلِـي ورائِـي
وجـاءَ الـمسلمـون وغـادَرُونـي بـأرضِ الشـامِ مُشْتَهِـيَ الثَّـوَاءِ
وردَّكِ كـلُّ ذي نَسَـبٍ قـريـبٍ إلى الـرحمـنِ مُنْقَـطِعَ الإخَـاءِ
هنـالـكَ لا أُبـالي طَلْعَ بَعْـلٍ ولا نَـخْـلٍ أسـافِـلُهـا رِوَاءِ

إن الأبيات همس هادىء ، وحديث نفس مؤمنة زهدت في الدنيا واشتاقت إلى الموت ، وهي تتدفق عاطفة ، وتفيض شعوراً ، حتى لقد سمعها زيد بن أرقم الذي كان في صحبة عبدالله ، فبكى من شدة التأثر ، فخفقه ابن رواحة وقال له : ما عليك يا لُكَع أن يرزقني الله الشهادة ، وترجعَ في شعبتيْ الرحل ؟ »[1] .

ويقترب ابن رواحة من تحقيق أمله بعد أن يستشهد صاحباه ويأخذ الراية ، فيوشك أن يتسلل الى نفسه شيء من روع يفرضه هول الموقف ، ولكن الشاعر المجاهد ما يلبث أن يعاتب نفسه هذا العتاب العنيف ، فيزجرها بشدة كي ترضى بما اختار لها ، لقد اختار الشهادة ولن يثنيه عنها شيء ، ولسوف يسعى إلى ذلك شاءت نفسه أم أبت ، يكفي ما ناله من نعيم الدنيا الزائل ، وآن أن يدع ذلك إلى خير

---

(١) تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٨٧ .

عميم لا يزول :

أقسمْتُ يا نفسُ لَتَنْزِلِنَّهْ طائعةً أو لا لَتُكْرَهِنَّهْ
إنْ أجْلَبَ النَّاسُ وشَدُّوا الرَّنَّةْ مالي أراكِ تكرهِيْنَ الجَنَّةْ
قَدْ طالما قَدْ كُنْتِ مُطْمَئِنَّةْ هل أنتِ إلا نُطْفَةٌ في شَنَّةْ
جعفرُ ما أطيبَ ريحَ الجَنَّةْ

وتُذهب الأبيات الروع عن نفسه وعمن يحيط به من المسلمين ، فيأخذ الراية ويقاتل ، فتجرح إصبعه ، وينفر منها دم غزير ، ولكنه لا يعبأ ويرتجز مصوراً النهاية التي لا رجوع عنها :

هل أنتِ إلا إصْبَعٌ دَمِيْتِ وفي سبيلِ اللهِ ما لَقِيْتِ؟
يا نفسُ إلاَّ تُقْتَلِي تَمُوتي هذا حِياضُ الموتِ قد صَلِيْتِ
إن تَسْلَمِي اليومَ فلن تَفُوتي أو تُبْتَلِي فَطَالما عُوفِيْتِ
وما تَمَنَّيْتِ فَقَدْ أُعْطِيْتِ إن تَفْعَلي فِعْلَهُما هُدِيْتِ
وإنْ تأخَّرْتِ فقدْ شَقِيْتِ

إنها إصبع تافهة دميت ، وفي سبنيل الله يهون كل شيء ، وكلُّ نفس ذائقة الموت ، إنه الحق الذي لا مفر منه ، إن لم تقتل قتلاً ماتت موتاً ، المصير واحد ، وقد اختار أرفعَ الدرجتين صاحباه من قبله ، وستكون له فيهما أسوة ، فقد نالت هذه النفس حظها من الحياة ومن العافية واليسر ، وهذا زمان الامتحان ، ولا خير في النكوص ، ولم ينكص عبدالله ، وأقدم فكُتب له ما كُتب لصاحبيه .

هذا لون من شعر ابن رواحة في ذكر الموت والتشوق إليه ، وفي الزهد في الحياة ، والعزوف عنها ، وهو شعر يفيض صدقاً ، ويتدفق إيماناً ، وهو أشبه ما يكون بحديث ذاتي ، أو همس داخلي ، يسوقه الشاعر بعبارة سهلة ولفظ سلس ، وهو شعر ارتجالي لم يسبقه إعداد ولا تخمير بل كان يتدفق على لسان الشاعر في لحظة صدق وانفعال .

٥ ـ شعره في الرثاء:

ولابن رواحة شعر إسلامي في رثاء بعض شهداء المسلمين ، وصلنا منه

قصيدة من ستة عشر بيتاً في رثاء حمزة بن عبدالمطلب عم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي استشهد يوم أحد ، وهو يبدؤها بالبكاء عليه ، ويذكر فجيعة المسلمين بفقده ، وخاصة رسول الله ، فلم يكن حمزة رجلاً عادياً ، كان من أُسد الله ، ماجداً براً شريفاً ، وهو يدعو له بجنة نعيمها لا يزول ، ويصبِّر آل هاشم ، ويدعوهم الى الاقتداء برسول الله في صبره وتسليمه :

بكتْ عيني وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغْنِي البُكَاءُ ولا العَوِيْلُ
على أَسَدِ الإلهِ غداةَ قالُوا: ... أحمزةُ ذاكُمُ الرجلُ القتيلُ؟
أُصِيْبَ المسلمون به جميعاً ... هناكَ وقد أُصِيْبَ به الرَّسُولُ
أبا يَعْلَى لكَ الأركانُ هُدَّتْ ... وأنتَ الماجِدُ البَرُّ الوَصُولُ
عليكَ سلامُ ربِّكَ في جِنَانٍ ... مُخَالِطُها نعيمٌ لا يَزُولُ
ألَا يا هاشمَ الأخيارِ صبراً ... فكلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيْلُ
رسولُ اللهِ مُصْطَبِرٌ كريمٌ ... بأمرِ اللهِ يَنْطِقُ إذْ يَقُولُ

ثم يتوجه بالخطاب إلى قريش ليقول لهم : إن الأمور دول ، والحرب سجال ، ويذكِّرهم بما كان يوم بدر ، إنه يوم قريب العهد لا يُنسى ، صرع فيه أكابر قريش ورؤوسها : عتبة ، والوليد ، وشيبة ، ورأس الكفر أبو جهل ، ثم يخاطب هند بنت عتبة زوج أبي سفيان التي اشتفت بمقتل حمزة ، ومثَّلت بجثته أبشع تمثيل ليذكرها بمن صُرع من قومها ، فلتبكِ عليهم ، وليصدعها البكاء بدلاً من أن تبدي شماتة بحمزة :

ألَا مَنْ مُبْلِغٌ عني لُؤَيّاً ... فبعدَ اليومِ دائِلَةٌ تَدُولُ
وقَبْلَ اليومِ ما عَرفُوا وذاقُوا ... وقائِعَنا بها يُشْفَى الغليلُ
نسيتُم ضربَنا بقَلِيْبِ بَدْرٍ ... غداةَ أتاكُمُ الموتُ العَجيلُ
غداةَ ثَوَى أبو جهلٍ صريعاً ... عليه الطيرُ حائمةً تجُولُ
وعُتبةُ وابنُهُ خَرَّا جميعاً ... وَشَيبَةُ عضَّهُ السيفُ الصَّقِيْلُ
وَمتْرَكَنا أميَّةَ مُجْلَعِبّاً ... وفي حيزومِهِ لَدْنٌ نبيلُ
وهامَ بني أميَّةَ سائِلُوها ... ففي أسيافِنا منها فُلُولُ
ألَا يا هندُ فابكي لا تَمَلِّي ... فأنتِ الوَالِهُ العَبْرِىَ الهَبُولُ

ألا يــا هنــدُ لا تُبْــدِي شِمَــاتــاً   بــحــمــزة إن عــزَّكُــمُ ذَلِــيْــلُ

فالقصيدة تمزج بين رثاء حمزة ، والرد على قريش التي فرحت بما كان يوم أحد ، وتقوم على المقارنة بين اليوم والأمس القريب ، وحظ الرثاء فيها قليل ، وتظهر فيها بعض المعاني الدينية في حديثه عن مصير الشهيد عند رب العالمين ، ودعوته إلى الصبر ، وحديثه عن عزيمة رسول الله ، وأنه ينطق بأمر الله فهو « لا ينطق عن الهوى » . والقصيدة ـ على العموم ـ تنسب كذلك لكعب بن مالك ، وقد ذكر ابن هشام أن أبا زيد الانصاري كان ينشدها لكعب ، وليس بين أيدينا ما يرجح إحدى النسبتين ، إلا إذا أخذنا بقول أبي زيد وهو راوية ثقة . ومما بين أيدينا من شعر ابن رواحة في الرثاء بيتان قالهما في رثاء نافع بن بُديل بن ورقاء الخزاعي أحد رجال بعث رسول الله إلى بئر معونة ، وهما :

رَحِــمَ اللهُ نــافــعَ بــنَ بُــدَيْــلٍ   رحمــةَ المُبْتَغِي ثــوابَ الـجِهَــادِ
صــابـرٌ ، صــادقٌ، وفيٌّ إذَا مَــا   اكْثَــرَ القــومُ قــالَ قَــوْلَ السَّــدَادِ

وهما ينسبان كذلك لحسان بن ثابت ، وهما في ديوانه مع بيت ثالث هو :

كُنْتُ قَبــلَ اللقــاءِ منــهُ بجَهْــلٍ   فَقَــدْ أمسَيْتُ قَــدْ أصــابَ فُؤَادِي

الملامح الفنية لشعره الإسلامي

هذه هي الأغراض التي تعرض شعر ابن رواحة الإسلامي الذي بين أيدينا ، وهي أغراض جليلة تعكس التزام الشاعر بالدين الجديد ، ووقفه شعره عليه في كل ما أخذ أو ترك من ألوان القول ، فلا نجد لعبد الله فخراً بحسب أو نسب ، ولا نجد له غرضاً شخصياً كغزل أو نسيب أو ما شاكل هذا ، وإنما نحن أمام شعر موجه هادف ملتزم بغرض نبيل ، هو خدمة العقيدة الجديدة ، وما يتصل بها من قضايا وأمور ، وقد عكس هذا الشعر صفاء روحياً وهّاجاً ، وإيماناً صادقاً .

وعلى العموم فإننا نستطيع أن نلخص أبرز الطوابع الفنية لهذا الشعر في الملحوظات التالية :

يخلو هذا الشعر في أغلبه من الصنعة الشعرية الواضحة ، أو الجهد الفني المركز ، بل هو شعر سهل مطبوع ، يتدفق بيسر وانسياب ، حتى يوشك أن يكون في بعض الأحيان كالكلام العادي في خفته ، وقرب مأخذه ، وسهولة تناوله ، فهو شعر لم يُتَحْ له الوقت للإعداد والتهيئة ، أو للمراجعة وتدقيق النظر ، ولم يكن ابن رواحة شاعراً منقِّحاً أو محككاً مثلاً كما وُصف بعض الشعراء ، بل كان شاعراً متدفقاً سريعاً ، يأخذ بعنان أول ما يلوح له من الخواطر والأفكار . روى هشام ابن عروة عن أبيه ، قال : سمعت أبي يقول : ما سمعت أحداً أجرأ ولا أسرع شعراً من عبدالله بن رواحة ؛ سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يقول له يوماً : قل شعراً تقتضيه الساعة وأنا أنظر إليك ، فانبعث مكانه يقول . . »[1] ويسأله

---

(١) الاستيعاب : ٣ / ٨٩٨ .

رسول الله يوماً : « كيف تقول الشعر إذا أردت أن تقول ؟ » فيجيبه : «أنظر في ذاك ثم أقول » فيقول له : « فعليك بالمشركين » ولم يكن قد أعدّ شيئاً ، فانطلق يقول . . . »[1] وهو يفهم الشعر على أنه اختلاجة نفسية ، أو هزة شعورية تحمل على القول ، وتسعف عليه إسعافاًدون جهد . رُوي أن النبي ـ عليه السلام ـ قال لابن رواحة : « ما الشعر ؟ قال : شيء يختلج في صدر الرجل فيخرجه على لسانه شعراً . قال : فهل تستطيع أن تقول شيئاً الآن ؟ فنظر في وجه رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : نعم : إني تفرست . . »[2] ولقد ذكرنا من قبل أن انشغال ابن رواحة بالغزوات والمعارك ، وبالمهمات الجليلة التي كان يسندها له رسول الله لم تكن تدع له متسعاً كبيراً من الوقت كي يقول شعراً أكثر من هذا المقدار الذي وصلنا ، ونضيف هنا أن هذا نفسه لم يكن يدع له الوقت الكافي لكي يتفرغ لما يقول ، وينصرف له بشيء من الإعداد والروية ومراجعة النظر ، فجاء شعراً يتسم بسهولة الأسلوب ، وبساطة التراكيب ، ووضوح المعاني وانكشافها .

ويؤكد الفكرة السابقة أن كثيراً من هذا الشعر قد ارتجله ابن رواحة ارتجالاً في بعض المواقف والمشاهد ، وقد مرّ بنا أكثر من نص يشير إلى ذلك ، ويتحدث عن مقدرة عبدالله على القول ، وسرعة تأتيه له ، وأخذه بأسبابه ، فلم يكن ممن يستعصي عليهم الشعر ، أو يلقون عناء في الوقوع عليه ، بل كان ذا قدرة على القول الفوري ، والارتجال المباشر ، ولا شك أن الارتجال ليس ابن الروية والأناة .

وبسبب من هذا كان ما بين أيدينا من هذا الشعر الإسلامي مقطّعات قصيرة لا تجاوز ستة أبيات أو سبعة إلا فيما ندر ، ونحن أحياناً كثيرة أمام البيت أو البيتين أو الثلاثة فقط ، وقصيدة الرثاء التي بلغت ستة عشر بيتاً ليس مقطوعاً بصحة نسبتها إليه ، بل يرجح أن تكون لكعب بن مالك ، وكـذا الحال في قصيدة الأحد عشر بيتاً التي تتحدث عن قصة زينب ، فهي تنسب لأبي خيثمة كذلك ، بل إن ابن

---

(١) سير أعلام النبلاء: ١/١٦٨.
(٢) المصدر السابق.

هشام يقول : إنها لأبي خيثمة . وإذن فشعر ابن رواحة الإسلامي تسوده المقطوعة القصيرة ، وهو يتفق مع فكرة الارتجال ، ومع فكرة السرعة في إعداد هذا الشعر ، وعدم تهيئته وإعداده .

وهي مقطوعات أقرب ما تكون إلى الروح الشعبية ، وإلى لغة الخطاب العادي ، لما تتسم به من سهولة وخفة ويسر ، ولذلك رأينا هذا الشعر يشيع على ألسنة المسلمين ، وينشدونه أو يستشهدون به في أكثر من موقف ، ويكاد يتحول في بعض المشاهد إلى شبه أغنية شعبية ، أو أنشودة جماعية ، كما كان الحال عند بناء مسجد قباء ، أو يوم الخندق ، أو يوم عمرة القضاء على سبيل المثال .

ومما يؤكد هذه الطوابع الشعبية كلها غلبة الرجز على هذا الشعر ، والرجز وزن شعبي ، يقترب بالشعر كثيراً من الكلام العادي ، بل إن قوماً يذهبون إلى عدِّ الرجز – المشطور منه بشكل خاص ـ كلاماً عادياً ، وينفون عنه صفة الشعر[1] ولا شك أن في هذا القول تعسفاً ، ولكنه يدل على أية حال على صفة الشعبية التي يطويها هذا الوزن ، مما يقرب الشعر خطوة من النثر أو الكلام العادي .

وتتجلى الروح الإسلامية في هذا الشعر ، في المعاني التي طرقها ، وفي بعض الصيغ والألفاظ والتعابير ، وقد أشرنا إلى ذلك في أثناء دراسة هذا الشعر ، وتوقفنا عنده ، وعبدالله من هذه الناحية أكثر من صاحبيه : حسان ، وكعب بن مالك تأثراً بروح الإسلام في شعره ، ونحن نجد هذا الأثر في شعره أوضح منه عندهما فلا نجد عنده فخراً قبلياً ، ولا نسيباً أو غزلاً ، وحتى هجاؤه للمشركين اتخذ طوابع مختلفة ، تمثل فيها أثر الإسلام ، فعلى حين مضى صاحباه يعيران قريشاً بالمثالب والوقائع والأيام على النهج الجاهلي القديم ، مضى ابن رواحة يعيِّرهم بالكفر ، وينسبهم إلى الضلالة والغواية ، وينعىَ عليهم دينهم ، ويسفِّه معتقداتهم ، فكأنما كان ابن رواحة راغباً في الانصراف عن الماضي المقيت كله ، وعن كل ما يمت إليه بسبب من قول أو فعل أو عمل .

وصحيح أن هذا الأثر لم يكن عميقاً متشعباً ، ولا يمكن أن يُقارن تناول ابن رواحة ، أو غيره من الشعراء المخضرمين ، لبعض المواقف والأحداث الإسلامية

---

(١) انظر العمدة لابن رشيق : ١ / ١٨٥ .

بتناول القرآن الكريم لها مثلاً ، أو بتناول الرسول الكريم لها في بعض الأحيان ؛ إلا أن في شعر ابن رواحة على كل حال من المعالم والأصداء الجديدة ما يُشعر بما لحق هذا الشعر من تطور ، وما داخله من خيوط هي ـ بلا شك ـ من أثر الإسلام وتعاليمه .

وبعدُ . .

فذلك هو ابن رواحة الشاعر الفارس البطل . جاهد في الله حق جهاده ، في معركتيْ السيف والقلم ، فأجاد في الميدانين ، وأحسن في الجهادين ، ولم يتوقف عن واحد منهما حتى اللحظة الأخيرة .

القسم الثاني

ديوان عبدالله بن رواحة

بين يــديْ الديوان

١ ـ مصادر شعر ابن رواحة

ليس لابن رواحة ديوان مخطوط ، ولم نجد أحداً تحدث عن شيء من ذلك ، أو أشار إليه من قريب أو بعيد ، ولذلك أخذنا أنفسنا بجمع شعره من المصادر والمظانّ المختلفة ، وهو عمل يلقى المرء في سبيله عنتاً شديداً ، ثم يبقى في مظنة أن يكون قد فاته شيء من هذا الشعر ، فتراثنا العربي الإسلامي من الكثرة والغزارة بحيث لا يستطيع أحد على الإطلاق أن يدّعي الإحاطة به . وإذا كان هذا ينطبق على المطبوع مثلاً ؛ فما بالك بالكثرة الكاثرة التي لا تزال مخطوطة لم ترَ النور ؟

وقد استعرضنا المصادر العديدة التي يمكن أن يكون فيها ذكر لابن رواحة أو شعره ، وهي مصادر تمتد عبر ساحة زمنية طويلة من القرن الثاني الهجري وحتى القرن الثاني عشر ، وعدنا بحصيلة من الشعر بلغت مائتين وسبعة عشر بيتاً . ولست أخفي أن هذه الجولة قد خيَّبت أملي ؛ فلقد كنت أتوقع أن أعود بحصيلة أوفر ، فلابن رواحة شهرة أوسع من هذا الذي وجدته ، وطبيعة الدور الذي كان يؤديه في الجاهلية وفي الإسلام ـ كما أشرنا إلى ذلك خلال الدراسة ـ تفترض أن يكون له شعر أغزر بكثير من هذا الذي وصل إلينا ، ولكن هذا ما استطاع أن يصل إلينا جهدنا الذي بذلنا منه ما أقدرنا الله عليه ، ولعل الأيام تكشف فيما بعد ما كان مخبوءاً .

من هذا الشعر اثنان وخمسون بيتاً جاهلياً ، ومئة وخمسة وستون بيتاً إسلامياً . فأما شعره الجاهلي فلم ينازعه أحد فيه ، ولم يُختلف في نسبته إليه

أبداً ، وأما شعره الإسلامي فقد اختلط ـ كما أوضحنا في مكانه ـ بشعر أكثر من واحد : بشعر كعب بن مالك تارة ، وشعر حسان بن ثابت تارة ثانية ، وغير هذين مرة ثالثة . وكان من الصعب توثيق النسبة في كثير من الأحيان لتشابه شعر هذه الفترة ، وتوحد الأغراض التي كان يقول فيها الشعراء ، ولعدم وجود دليل واضح قاطع .

وأما مصادر شعر ابن رواحة فقد كان معظمه من كتب المغازي والسير والتاريخ ، فقد اهتمت هذه الكتب بحياة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبكل ما رافقها من أحداث ومواقف وشخصيات . وقد وصل إلينا القسط الأعظم من شعر عبدالله في سيرة (محمد بن إسحاق بن يسار المتوفى سنة مئة وخمسين للهجرة) ولكن الذي روى هذه السيرة هو ابن هشام (محمد بن عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري المتوفى بالفسطاط سنة : ٢١٨ هـ)[١] .

وقد اتهم ابن إسحاق بأنه لم يكن عالماً بالشعر ولا بروايته ، وأنه لم يكن يوثق ما يُحمل إليه منه ، فأورد في سيرته كثيراً من الغثاء الذي لا يُعرف . قال ابن سلام : « وكان ممن أفسد الشعر وهجنه ، وحمل كل غثاء منه محمد بن إسحاق ابن يسار مولى آل مخرمة بن المطلب بن عبد مناف ، وكان من علماء الناس بالسير . قال الزهري : لا يزال في الناس علم ما بقي مولى آل مخرمة . وكان أكثر علمه بالمغازي والسير وغير ذلك ، فقبل الناس عنه الأشعار ، وكان يعتذر منها ويقول : لا علم لي بالشعر ، أتينا به فأحمله ، ولم يكن ذلك له عذراً ، فكتب في السير أشعار الرجال الذين لم يقولوا شعراً قط . . »[٢] ولكن ابن هشام ـ وهو إمام في اللغة والنحو ـ بذل جهداً ضخماً في توثيق ما جاء في السيرة ، فراجع كثيراً منها على أبي زيد الأنصاري الراوية الثقة ، فردّ بعضها ، وصحح نسبة بعضها الآخر ، وقد مرّت بنا أمثلة عديدة لذلك ونحن نخرِّج شعر ابن رواحة وننسبه .

---

(١) ميزان الاعتدال : ١ / ٣٥٦ .

(٢) طبقات فحول الشعراء : ٨ .

وقد وجدت في السيرة وحدها حوالي مائة وثلاثة عشر بيتاً من شعر عبد الله الإسلامي الذي تجمع لديّ ، وهو مقدار كبير لم يورد أيٌّ من المصادر الأخرى مثله ، وقد تكرر ورود هذا الشعر في جميع كتب المغازي والسير والتاريخ التي تحدثت عن ابن رواحة ، أو أوردت شيئاً من شعره : كمغازي الواقدي ، وطبقات ابن سعد ، وتاريخ الطبري ، وحلية الأولياء ، والاستيعاب ، وتاريخ ابن عساكر ، والروض الأنف ، وصفة الصفوة ، والاكتفاء في مغازي الرسول ، والكامل في التاريخ ، وأسد الغابة ، وسيرة ابن سيد الناس ، وسير أعلام النبلاء ، والبداية والنهاية ، والإصابة ، ووفاء الوفا ، وشرح شواهد المغني ، وخزانة الأدب ، وسمط النجوم العوالي ، وقد اعتمدت هذه المصادر جميعها على سيرة ابن إسحاق فيما أوردت من شعر ابن رواحة ، وانفرد ابن سعد بثلاثة أبيات لم ترد في السيرة ، وانفرد صاحب الاستيعاب ببيت ، وابن عساكر ببيتين، وابن الأثير بأربعة ، ووفاء الوفا ببيت ، وسمط النجوم ببيتين .

ومن مصادر شعره الأخرى بعض كتب الحديث والتفسير ، كصحاح البخاري ومسلم وأحمد ، والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ، وتفسير القرطبي ؛ فقد وجدت في هذه المصادر بعضاً من شعر ابن رواحة ، ولكن أغلبه منقول عن السيرة كذلك ، بينما انفرد البخاري بثلاثة أبيات من القطعة (١٤) لم ترد في سيرة ابن إسحاق ، وبيت من المقطوعة (١٦) وانفرد القرطبي بثمانية أبيات .

كما وجدت شيئاً من الشعر في بعض المعاجم وكتب اللغة مثل : لسان العرب ، وتاج العروس ، ومقاييس اللغة ، وجمهرة اللغة ، والخصائص ، والأضداد ، وشرح شواهد المغني . وفي بعض كتب الأدب والأخبار ، كطبقات فحول الشعراء ، وعيون الأخبار ، والعقد الفريد ، وجمهرة أشعار العرب ، وديوان قيس بن الخطيم ، وديوان حسان بن ثابت ، والعمدة ، والبديع في نقد الشعر ، والموشح، ومعجم الشعراء ، وجمع الجواهر وغيرها . .

٢ ـ منهج الجمع والتحقيق

وقد رتبت الشعر الذي تجمع لديّ حسب التسلسل الزمني ما استطعت إلى ذلك من سبيل ، وألحقت الشعر الذي لم يُعرف زمنه في آخر الديوان مرتباً ترتيباً أبجدياً على حروف الروي ، وقد ضبطت هذا الشعر ضبطاً تاماً ، وسميت أوزانه ، وذكرت مع كل شعر أورده المناسبة التي قيل فيها ، وشرحت في الحواشي ما غمض من الألفاظ ، أو انبهم من العبارات والحوادث والأيام والأعلام ، ونظراً لكثرة المصادر التي كان يُروى فيها الشعر في كثير من الأحيان ، وللروايات العديدة التي كان يرد عليها في أحيان أخرى ؛ فقد رأيت أن ألحق التخريج ، واختلاف الرواية ، وما قد يعتور نسبة هذا الشعر إلى صاحبه في آخر الديوان ، في قسم مستقل ، حتى لا أثقل الحواشي . وقد استغرق ذلك ـ كما هو واضح ـ صفحات عديدات كان من الممكن أن تنوء بها الحواشي ، وترهق بالتعليقات إرهاقاً شديداً ، ثم إن هذا قسم لا يهم إلا المحققين والدارسين .

وكنت أحاول في التخريج ـ وأنا أثبت المصادر التي ورد فيها هذا الشعر أو ذاك ـ أن أرتب هذه المصادر ترتيباً زمنياً ما أمكن ، فأذكر الأقدم فالأقدم ، وقد يكون من السهل عندئذ في أية قصيدة أو مقطوعة أن نعرف أقدم المصادر التي روتها ، والرواية التي وردت عليها .

وقد تصرفت أحياناً في ترتيب أبيات بعض المقطوعات ، عندما كنت أجد أبياتها متفرقة في عدد من المصادر ، فأحاول أن ألمّ شملها ، وأجمع شتاتها ، ولكني كنت أتوخى في هذا الترتيب أن يكون متفقاً ما أمكن مع الصورة التي ورد عليها في هذه المصادر .

الشعر الجاهلي

(١)

التقت الأوس والخزرج في الجاهلية في (يوم الفضاء)[١] فاقتتلوا قتالاً شديداً حتى حجز الليل بينهم ، فأفضلت الأوس يومئذٍ على الخزرج ، فقال قيس ابن الخطيم الأوسيّ قصيدته التي مطلعها :

صَـرَمْتَ اليـومَ حَبْلَكَ من كَنُـودَا   لِتُبْدِلَ وصْلَهـا وصْـلاً جـدِيـدا[٢]

فقال عبدالله بن رواحة يردّ عليه :

من الوافر

١ـ تَـذَكَّـرَ بعـدَمـا شـطَّتْ نَجُـودَا   وكـانـتْ تَيَّـمَـتْ قـلبِي وَلِـيْـدَا

٢ـ كَذِي دَاءٍ يُرى في النَّاس يَمْشِي   وَيَـكْـتُـمُ داءَهُ زَمَـنـاً عَـمِـيْـدَا[٤]

٣ـ تَصَيَّـدُ عَوْرَةَ الفِتْيَـانِ حَتَّى   تَصِيْـدَهُمُ،وتَشْنَـأُ أنْ تَصِـيْـدَا[٥]

٤ـ فقَدْ صَادَتْ فُؤَادَكَ يومَ أَبْدَتْ   أسِيْـلاً خَـدُّهـا صَلْتـاً وَجِيْـدا[٦]

---

(١) الفضاء : موضع بالمدينة ، وهو لبني خطمة ، ويفضي إليه سيل بطحان ، وبه يلتقي سيل مهزور ومذينب ، وهو ممدود ، وقد يقصر .

(٢) انظرالقصيدة في ديوانه : ٨٩ ، وهي من ثمانية عشر بيتاً .

(٣) شطت : بعدت . نجود : اسم امرأة يذكرها في شعره .

(٤) كذي داء : يعني أنه كذي الداء .

(٥) تصيد : تتصيد . العورة : موطن الضعف ، وما اختفى . تشنأ : تكره وتأبى ، والمعنى أنها تصيدهم عن غير عمد منها لذلك .

(٦) الخد الأسيل : الطويل الأملس ، والصلت : الجبين الأبيض الواضح ، والجيد : العنق .

٥- تُـزَيِّنُ مَعْقِـدَ اللَّبَّـاتِ منهـا ... شُنُـوفُ في القَـلائِـدِ والفَـرِيْـدَا(١)
٦- فـإنْ تَضْنُنْ عَلَيْكَ بِمَـا لَدَيْهـا ... وتَقْلِبْ وَصْـلَ نَـائِلِهـا جَـدِيْـدَا(٢)
٧- لَعَمْـرُكَ مـا يُـوافِقُنِي خَلِيـلٌ ... إذَا مـا كَـانَ ذَا خُلْفٍ كَنُـودَا(٣)
٨- وقَـدْ عَلِمَ القَبائِـلُ غيـرَ فَخْـرٍ ... إذَا لَـمْ تُـلْفِ مَـاثِـلَةً رَكُـودَا(٤)
٩- [إذَا ما واجبُ الأضْيَافِ أَمْسَى ... وكـان قِـرَاهُمُ غَثّـاً فصِيْـدَا](٥)
١٠- بـأنَّـا تخْـرُجُ الشَّتَـوَاتُ مِنَّـا ... إذَا ما استَحْكَمَتْ حَسَباً وَجُودَا(٦)
١١- قُـدُورٌ تَغْـرَقُ الأوْصـالُ فيهـا ... خَضِيْبٌ لـونُهـا: بِيْضَـاً وسُـودَا(٧)
١٢- [وإنْ رَسَـلٌ تَرفَّـعَ بعد طُعْم ... فَعَـادَ لِكَـي يُعَـادَ لـه أُعِيْـدَا]
١٣- متَى ما تأْتِ يَثْرِبَ أو تَزُرْها ... تَجِـدْنـا نحـنُ أكرَمَهَا وَجُـودَا
١٤- وأغْلَظهـا على الأعداءِ رُكْنـاً ... وألْيَنَهـا لبـاغِي الخَيْـرِ عُـودَا(٨)
١٥- وأخْـطَبَها إذا اجتَمَعُـوا لأمـرٍ ... وأقْصَـدَهـا وأوْفَـاهـا عُهُـودَا(٩)
١٦- إذا نُـدْعَى لثَـأْرٍ أو لجـارٍ ... فنحنُ الأكْثَـرُون بـهـا عَـدِيْـدَا
١٧ - متى ما تَدْعُ في جُشَمِ بنِ عَوْفٍ ... تَجِـدْني لا أغَـمَّ ولا وَحِيْـدَا(١٠)
١٨ - وحوليْ جَمْعُ ساعِدَةَ بن عَمْرٍو ... وتَيْمُ اللاّتِ قد لَبِسُوا الحَدِيْدَا(١١)

(١) معقد اللبات : العنق ، واللبة : وسط الصدر والمنحر ، والشنوف : جمع شنف ، وهو القرط . والقلائد : جمع قلادة ، وهي ما جعل في العنق من الحلي ، والفريد : جمع فريدة ، وهي الشذرة من الفضة ، أو الجوهرة النفيسة .

(٢) تضنن : تبخل ، والمعنى أنها تتجاهله ، وتزعم أنها لم تصله قبل اليوم .

(٣) الكنود : الجحود .

(٤) الماثلة الركود : أراد بها الجفنة الملأى بالطعام .

(٥) الفصيد : دم كان يوضع في الجاهلية في مِعَىً ، من فَصْد عرق البعير ، وكان أهل الجاهلية يأكلونه ، وتطعمه الضيف عند الأزمة .

(٦) الشتوات : طعام الشتاء . استحكمت : ضاقت .

(٧) الخضيب : المتعدد الألوان .

(٨) لباغي : لطالب الخير والساعي إليه .

(٩) أقصدها : أعدلها ، من القصد : وهو العدل .

(١٠) جشم بن مالك بن سالم بن عوف بن عمرو بن عوف بن الخزرج . الأغم : المجهول النسب ، المغمور الأصل .

(١١) جاء في جمهرة أنساب العرب لابن حزم (٣٦٥) : ولدُ كعب بن الخزرج : ساعدة ، فولد ساعدة : الخزرج ، فولدُ الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج : طريف ، وعمرو . وتيم اللات ، هو ابن ثعلبة بن عمرو من الخزرج .

١٩- زَعْمتُم أنَّما نِلْتُمْ مُلُوكاً ونَزْعُمُ أنَّما نِلْنَا عَبِيْدَا
٢٠- وما نبغِيْ مِنَ الأحلافِ وِتْراً وقَدْ نِلْنَا المُسَوَّدَ والمَسُودَا[1]
٢١- وكانَ نِسَاؤُكُمْ في كُلِّ دارٍ يُهَرِّشْنَ المعاصِمَ والخُدُودا[2]
٢٢- تركْنَا جَحْجَبَى كبناتِ فَقْعٍ وعَوْفَاً في مجالِسِها قُعُودا[3]
٢٣- ورهْطَ أبِي أُمَيَّةَ قدْ أبَحْنَا وأوسَ الله أتْبَعْنَا ثَمُودَا[4]
٢٤- وكنتُم تَدَّعُون يهودَ مالاً ألانَ وجَدْتُمُ فيها يَهُودَا
٢٥- وقَدْ رَدُّوا الغَنَائِمَ في طَرِيفٍ ونَحَّام ورهْطِ أبي يَزِيدا[5]
٢٦- [تركْنَ مُجَمعًا وبنِي أبيهِ إماءً يَحْتَلِبْن الضَّانَ سُودَا]

---

(١) الوتر : الثأر .

(٢) يقال : تهارشت الكلاب واهترشت : هارش بعضها بعضاً ، وهارشت بينها مهارشة وهراشا ، وهما كلبا هراش . وقيل : هرش الزمان : اشتد ، والهرش كذلك الذل والمحنة ، أي كن سبايا ، يذقن الذل فيهرشن معاصمهن وخدودهن .

(٣) جحجبى ، هو ابن كلفْة بن عوف بن عمرو بن عوف بن مالك بن الأوس . بنات فقع : مثل يضرب في الذلة ، والفقع ضرب من الكمأة وهو أردؤها.

(٤) في ديوان حسان (٢١٢) : أوس الله : خطمة ووائل وواقف وأمية بن زيد بن قيس من بني مالك بن الأوس .

(٥) طريف : هم بنو طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج (انظر جمهرة أنساب العرب : ٣٤٦) .

(٢)

التقت الأوس والخزرج في الجاهلية ببقيع الغرقد ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، فكان الظفر يومئذ للأوس ، فقال شاعرهم عبيد بن ناقد[١] :

لمَّـــا رأَيْتُ بني عَـــوْفٍ وجَمْعَـهُمُ   جاؤُوا وجَمْعَ بني النَّجَّارِ قَدْ حَفِلُوا[٢]

وهي قصيدة من تسعة أبيات[٣] ، فرد عليه عبدالله بن رواحة :

من البسيط

١ـ لمَّا رَأَيْتُ بَنِي عَوْفٍ وإخْوَتَهُمْ   كَعْباً وجَمْعَ بَنِي النَّجَّارِ قدْ حَفِلُوا[٤]

٢ـ قِدْماً أَباحُوا حِمَاكُمْ بالسُّيُوفِ ولَمْ   يَفْعَلْ بكُمْ أَحَدٌ مِثْـلَ الَّذي فَعَلُوا

---

(١) في ديوان قيس : ١١٩ ، ١٢١ ، ١٢٣ ، ٢١٣ ، ٢١٤ : عبيد بن نافذ ، وفي ديوان حسان : ٣٠٩ ، عبيد بن نافد ، وهو ابن صهبة ، أحد بني جحجبى بن عمرو بن عوف ، وهو أبو فضالة بن عبيد الأنصاري ، قاضي معاوية بن أبي سفيان (انظر ديوان قيس : ٧٥) .

(٢) بنو عوف بن الخزرج بن حارثة أبناء عم بني مالك بن النجار .

(٣) انظرها في الكامل لابن الأثير : ١/ ٤١٣ .

(٤) حفلوا : جاؤوا مجتمعين في هيئة السيل الآتي . يقال : حفل الوادي السيل ، واحتفل به : إذا امتلأ به، وجاء بملء جنبيه .

(٣)

التقى الأوس والخزرج في مكان يسمى (الحدائق)[١] ، فاقتتلوا قتالاً شديداً ، وسمي ذلك اليوم (الفِجَار الأول) وقد أبلى قيس بن الخطيم في ذلك اليوم بلاء محموداً ، وجرح جراحة شديدة ، فمكث حيناً يتداوى منها ، وأمر أن يحتمي عن الماء ، وقد افتخر قيس ببلائه في يوم الحديقة ، فقال :

أُجَالِدُهُمْ يومَ الحدِيقةِ حَاسِراً   كأنَّ يَدِيْ بالسَّيفِ مِخْرَاقُ لاعِبِ[٢]

فرد عليه ابن رواحة قائلاً :

من الطويل

١ ـ رَمَيْنَاكَ أيَّامَ الفِجَارِ فَلَمْ تَزَلْ   حَمِيًّاً، فَمَنْ يشْرَبْ فَلَسْتَ بشَارِبِ

---

(١) قال ياقوت : الحديقة ، واحدة الحدائق . . قرية من أعراض المدينة في طريق مكة ، كانت بها وقعة بين الأوس والخزرج قبل الإسلام ، وهي للخزرج ، ولبني سالم بن عوف منهم خاصة ، وكانوا يفخرون بها وبغيرها من منازلهم وأيامهم .

(٢) من قصيدته :

أتعرف رسماً كاطراد المذاهب   لعمرة وحشاً غير موقف راكب

انظر ديوانه : ٣٣ ، والمخراق : منديل أو نحوه يلوى فيضرب به ، أو يلف فيفزع به ، وهو لعبة يلعب بها الصبيان .

(٤)

التقى الأوس والخزرج في يوم (مُعَبِّس ومضرِّس)[١] فأقاموا أياماً يقتتلون قتالاً شديداً ، ثم انهزمت الأوس حتى دخلت البيوت والآطام ، وكانت هزيمة قبيحة لم ينهزموا مثلها . وفي هذا اليوم يقول قيس بن الخطيم قصيدته التي أولها :

أَلَـمَّ خيـالُ لـيلى أمِّ عمرو ولـم يُـلْمِـمْ بـنـا إلاَّ لأِمْـرِ[٢]

وفيها يقول :

أَلْا أَبْـلِغْ أَبَـا ظَـفَـرٍ[٣] رَسُـولاً فَلَمْ نَـذْلِـلْ بيَثْرِبَ غيـرَ شَهْـرِ[٤]

فردّ عليه عبدالله بن رواحة قائلاً :

من الوافر

١ـ كَـذَبْتَ لَقَدْ أَقَمْتَ بهـا ذَلِيـلاً تُقِيْمُ على الهَـوَانِ بهـا وَتَسْـرِي

(١) وهما حائطان كانا لذُحَيْنَة إلى آطام بني عدي بن النجار ، فكانت الخزرج وراء مضرِّس ، وكانت الأوس وراء معبِّس ، وقد سمي في الأغاني (١٥ / ١٥٧ ط ساسي) : يوم مغلِّس ومضرس، وهذا اليوم من وقائع يوم حاطب كما في كامل ابن الأثير .

(٢) ديوان قيس : ١٢٠ ، وهي من عشرين بيتاً .

(٣) بنو ظفر : هم قوم قيس ، وظفر هو : كعب بن الخزرج بن عمرو بن مالك بن الأوس .

(٤) لعله يشير إلى هزيمة الأوس في هذا اليوم .

(٥)

قال قيس بن الخطيم الأوسي يذكر يوم حاطب ويوم بُعَاث وهما من أيام الأوس والخزرج في الجاهلية :

أتعْـرِفُ رسماً كـاطِّـرادِ المَـذاهِبِ   لعَمْرَةَ وحْشاً غيـرَ مَوْقِفِ راكِبِ[١]

فأجابه عبدالله :

من الطويل

١ـ أشَاقَتْكَ ليلى في الخليطِ المُجَانِبِ   نعَمْ فَرشَاشُ الدمعِ في الصدرِ غالبي[٢]

٢ـ بَكَى إثْرَ مَنْ شطَّتْ نَوَاهُ ولم يَقِفْ   لحاجةِ محزونٍ، شكا الحُبَّ، ناصِبِ[٣]

٣ـ لَدُنْ غُدْوَةٍ حتى إذا الشَّمسُ عارَضَتْ   وراحَ لَـهُ مِنْ هَمِّهِ كُـلُّ عازِبِ[٤]

٤ـ تَبَيَّنْ فـإنَّ الحبَّ يَعْلَقُ مُدْبِـراً   قـديماً إذا مـا خُلَّةٌ لم تُصَاقِبِ[٥]

---

(١) انظر ديوان قيس : ٣٣ ، وهي قصيدة طويلة في ثمانية وثلاثين بيتاً . وعمرة التي يتغزل بها قيس هي عمرة بنت رواحة ، أخت عبدالله .

(٢) ليلى التي يذكرها عبدالله هي أخت قيس بن الخطيم ، وهو يرد على صاحبه الذي ذكر أخته عمرة ، وشبب بها . والخليط : المخالط والصديق ، والقوم الذين أمرهم واحد . والمجانب : المبتعد .

(٣) شط : بعد . النوى : الدار ، والتحول من موضع لآخر .

(٤) لدن : ظرف زمان ، بمعنى حين . وعارضت ، من عارضه في السير ، إذا سار حياله . وراح : من الرواح ، وهو العشي . والعازب : البعيد .

(٥) تصاقب : تقارب وتواجه .

٥ـ كسوتُ قُتُودِي عِرْمِساً فَنَصأْتُها تَخُبُّ على مُسْتَهلِكاتٍ لَوَاحِبِ[١]
٦ـ تُبارِي مَطَايا تتَّقِي بعُيُونِها مخافةَ وقعِ السَّوْطِ ، خُوصَ الحواجِبِ[٢]
٧ـ إذا غُيِّرتْ أحسابُ قومٍ وجَدْتَنا ذَوِي نائِلٍ فيها كرامَ المَضَارِبِ[٣]
٨ـ نُحامِي على أحسابِنا بِتِلادِنا لِمُفْتَقِرٍ أو سائلِ الحقِّ راغِبِ
٩ـ وأعْمَى هدتْهُ للسبيلِ حُلُومُنا وخَصمٍ أقمنا،بعدَمَا لَجَّ، شاغِبِ[٤]
١٠ـ ومُعْتَرَكٍ ضَنْكٍ تَرَى الموتَ وسْطَهُ مَشَيْنا له مَشْيَ الجِمَالِ المَصَاعِبِ[٥]
١١ـ بخُرْسٍ تَرَى الماذِيَّ فوقَ جلودِهِمْ وبَيْضاً نِقَاءً مثلَ لونِ الكواكِبِ[٦]
١٢ـ فهمْ جُسُرٌ تحتَ الدُّروعِ كأنَّهُمْ أُسُودٌ متى تُنْضَ السّيوفُ تُضَارِبِ[٧]
١٣ـ مَعَاقِلُهُمْ في كلِّ يومِ كريهةٍ معَ الصَّبرِ منسوبُ السّيوفِ القواضِبِ
١٤ـ فَخَرْتُم بجمْعٍ زارَكُمْ في ديارِكم تَغَلْغَلَ حتى دُوفِعُوا بالرَّواجِبِ[٨]
١٥ـ أَباحَ حُصُوناً ثمَّ صعَّدَ يبتَغِي مَظِنَّةَ حَيٍّ في قُرَيْظَةَ هارِبِ[٩]

---

(١) القتود: الخشب أو رحله ، والعرمس : الناقة الشديدة الصلبة . نصأتها : من نصأ الدابة ، أي زجرها أو رفعها ، ويريد هنا أنه دفعها في الطريق الذي يصفه . تخب : تسرع . المستهلك : الطريق الذي يجهد من سلكه . واللاحب : الطريق الواسع المنقاد الذي لا ينقطع .

(٢) تباري : تعارض . الخُوص : من الخَوَص (بفتحتين) وهو غؤور العين .

(٣) في الأشباه والنظائر : ١ / ٢٨ ، أن قوله : إذا غيرت . . البيت ، أي أن يشحوا بعد الجود لما صاروا إليه من الشدة والجهد .

(٤) الشاغب ، من الشغب : وهو تهييج الشر .

(٥) المصاعب، مفردها مصعب، والجمل المصعب: الذي لم يمسَّه حبل، ولم يذلَّل.

(٦) الخرس : جمع خرساء ، وكتيبة خرساء ، إذا صمتت من كثرة الدروع ، أي لم يكن لها قعاقع ، أو التي لا يُسمع لها صوت من وقارهم في الحرب . والماذيّ : الحديد كله ، الدرع والمغفر والسلاح أجمع ، ما كان من حديد فهو ماذيّ . ونقاء (بكسر النون) مفردها نقي .

(٧) جسر (بضمتين) جمع جسور . تنضى السيوف : تسل .

(٨) الرواجب : مفاصل أصول الأصابع التي تلي الأنامل ، وقيل : هي بواطن مفاصل أصول الأصابع . واحدتها : راجبة .

(٩) مظنة : أي ظناً وحسباناً ، أي صعد يبتغي المنازل التي يظن أن فيها أحداً من قريظة لا يزال حياً ، وهرب إليها .

(٦)

تحالفت قبائل اليهود « قُرَيْظَةَ والنَّضِير » مع الأوس على الخزرج في يوم بُعَاث ، فانهزمت الخزرج ، ويقال : إن الأوس قد امتنعت عن انتهاب بيوت الخزرج ، وإنما سلبهم قُريظة والنَّضير ، فذكر قيس بن الخطيم ترفُّع قومه عن نهب خصومهم وقد قدروا على ذلك ، في قصيدته التي أولها :

رَدَّ الخَلِيْطُ الجِمَالَ فانْقَضَبَا وقَطَّعُوا مِنْ وِصَالِكَ السَّبَبَا[1]

فأجابه عبدالله بن رواحة :

من المنسرح

١ ـ يا قَيْسُ أَنْتُمْ شِرَارُ قَوْمِكُمُ قِدْماً ، وأَنْتُمْ أَغَثُّهُمْ نَسَبَا[2]

٢ـ حَالَفْتُهُم الفُحْشَ والخِيَانَةَ والـ . . . بُخْلَ جميعاً واللُّؤْم والكَذِبَا[3]

٣ـ يَا قَيْسُ إنَّ الأَسْلاَبَ أَحْرَزَها مَنْ كانَ يُغْشي الذَّوَائِبَ القُضُبَا[4]

---

(١) انظر ديوان قيس : ١١١ ـ ١١٨ ، وهي من خمسة وعشرين بيتاً .

(٢) الغثّ : الهزيل الفاسد .

(٣) يشير إلى محالفة الأوس لقريظة والنضير من اليهود .

(٤) الأسلاب : جمع سلب ، وهو ما يسلب ، الذوائب : جمع ذؤابة ، وهي مقدم شعر الرأس . والقضب : السيوف القواطع ، أراد أنه يجعل السيوف لأعالي الرؤوس بمنزلة الأغطية لها .

٤ـ وأنتَ في الدَّارِ غَيْرُ مُحْتَضِرٍ[1] حَــرْبَــاً وتدعو قِتَــالَنَــا لَـعِـبَــا

٥ ـ لَوْ كُنْتَ فِيْهِمْ والحربُ لاقِحَةٌ لـكُنْـتَ فيـهِـم مُغَلَّـباً ذَنَـبَــا[2]

٦ـ نحنُ اسْتَبَحْنَــا ما في دِيــارِكُمُ يَــوْمَ صَبَحْنَــاكُمُ بِهَــا حُصَبَــا[3]

٧ـ نَحْنُ حُمَاةُ الأَطَامِ في سالِفِ الدْ دَهْــرِ، وَقِـدْمَــاً سُقْنَــاكُمُ حَنَبَــا[4]

---

(١) محتضر ، أي حاضر ، وهو يشير إلى غيبة قيس الذي لم يكن قد حضر يوم بُعَاث .

(٢) لاقحة : مشتعلة ، متأججة . المُغَلَّب : المغلوب كثيراً .

(٣) الحَصَب والحصبة : الحجارة والحصا ، واحدته حصبة ؛ والحصب كذلك كل ما ألقي في النار من حطب وغيره ، وقال الأزهري : الحصب ، الحطب الذي يلقى في النار .

(٤) الأطام والآطام : الحصون والقصور ، وقيل إنها الدور المسطَّحة السقوف ، وكانت الأوس والخزرج تتمنع بها . والحنب ، والتحنيب : احديداب واعوجاج في الأضلاع . ويقال : حنبَّه الكبر وحناه ، إذا نكّسه .

الشعر الإسلامي

(٧)

كان المسلمون منهمكين في بناء مسجد قُبَاء[١] فور وصول الرسول عليه السلام إلى المدينة وعبدالله بن رواحة ينشد[٢] :

من مشطور الرجز

١ ـ أَفْلَحَ مَنْ يُعَالِجُ المَسَاجِدَا
٢ ـ ويَقْرَأُ القرآنَ قائماً وقاعِداً
٣ ـ ولا يَبِيْتُ الليلَ عنهُ رَاقِدَا
٤ ـ ومَنْ يُرَى عنِ الغُبَارِ حائِدَا

(١) أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بقباء في بني عمرو بن عوف ، في يوم الاثنين ، والثلاثاء ، والأربعاء ، والخميس ، أسس خلالها مسجده .

(٢) وكان رسول الله عليه السلام يردد وراء الشاعر قافية كل بيت : مساجدا ، قاعدا . .

(٨)

كانت زينب بنت رسول الله زوجة لأبي العاص بن الربيع ، تزوجها في الجاهلية ، وقد أسر أبو العاص في بدر ، فافتدته زينب من أبيها ، فأطلقه المسلمون على أن يردّ زينب على أبيها من مكة ، وخرج أبو العاص فأرسلها في هودج إلى المدينة ، فقال عبدالله بن رواحة يذكر ما كان من أمر ذلك :

من الطويل

١ ـ أَتَـانـي الَّـذي لا يَقْـدِرُ النَّـاسُ قَـدْرَهُ
لِـزَيْـنَـبَ فـيـهِـمْ مِـنْ عـقُـوقٍ ومَـأْثَمِ

٢ ـ وإخـراجُهـا لم يُخْـزَ فيهـا مُحَـمَّـدُ
عـلىَ مـأْقِطٍ وبَيْـنَـنَـا عِـطْـرُ مَـنشِـمِ (١)

٣ ـ وأَمْـسَى أبو سَفْيَـانَ مِنْ حِلْفِ ضَمْضَـمٍ
ومن حـربِنـا فـي رَغْـمِ أَنْـفٍ وَمَنْـدَمِ (٢)

---

(١) المأقط : معترك الحرب . عطر منشم : كناية عن شدة الحرب ، وهو مثل ، وأصله أن منشم كانت امرأة من خزاعة تبيع العطر والطيب ، فيشترى منها للموتى ، حتى تشاءموا بها لذلك ، وقيل : إن قوماً تحالفوا على الموت ، فغمسوا أيديهم في طيب منشم المذكورة تأكيداً للحلف ،فضرب طيبها مثلاً في شدة الحرب .

(٢) ضمضم ، هو ابن عمرو الغفاري ، استأجره أبو سفيان ، وبعثه إلى مكة ، ليخبر قريشاً أن محمداً عليه السلام قد عرض لعيرهم ، ففعل ذلك ، وتجهز القرشيون وكانت وقعة بدر الكبرى .

٤ ـ قَـرَنَّـا ابْـنَـهُ عَمْـراً وَمَـوْلَـى يَمِـيْنِـه
بِـذِيْ حَلَقٍ جَلْدِ الصَّـلاصِـلِ مُحْكَـمِ (١)

٥ ـ فـأقسمْـتُ لا تَـنْفَـكُّ منّـا كَـتَـائِبٌ
سُـرَاةُ خَـمِـيْـسٍ فـي لُـهَـامٍ مُـسَـوَّمِ (٢)

٦ ـ نَـزُوعُ قُـريشَ الكُفْـرِ حتَّى نَـعُلَّهـا
بِخَـاطِـمةٍ فـوقَ الأُنُـوفِ بِـمِـيْـسَـمِ (٣)

٧ ـ نُنَـزِّلُهـمْ أَكْـنَـافَ نَـجْـدٍ وَنَـخْـلَـةٍ
وإنْ يُتْهِمُـوا بـالخَيْـلِ والرَّجْـلِ نُتْهِـمِ (٤)

٨ ـ يَـدَ الـدَّهْـرِ حتَّى لا يُعَـوَّجَ سِرْبُنَـا
ونُـلْحِـقَـهـمْ آثَـارَ عَـادٍ وجُـرْهُـمِ (٥)

٩ ـ ويَنْـدَمَ قَـوْمٌ لم يُـطِيْعُـوا مُحَمَّـداً
عـلى أمـرِهِـمْ ، وأيّ حِـيْـنِ تَـنَـدُّمِ

١٠ ـ فَـأَبْـلِغْ أَبَـا سُفْـيـانَ إمَّـا لقِيْتَـهُ
لَئِنْ أنتَ لـم تُخْـلِصْ سُجُـودَاً وتُـسْلِـمِ

١١ ـ فَـأَبْشِـرْ بِخِـزْيٍ في الحيـاةِ مُعَجَّلٍ
وسِـرْبَـالِ قَـارٍ خـالِـداً فـي جَـهَـنَّـمِ

---

(١) ذو حلق : يعني الغُل . والصلاصل : جمع صلصلة ، وهي صلصلة الحديد ، ومحكم : شديد متين .

(٢) السراة : السادة ، والخميس : الجيش . واللهام : الكثير ، والمسوَّم : المعلَّم .

(٣) نزوع قريش : ندفعهم ، ونسوقهم كما تساق الإبل ، نعلها : من العل ، وهو الشرب مرة بعد مرة ، أي : نسقيهم الذل . والخاطمة ، من خطمه بالخطام ، وهو حبل الناقة ، أي جعله على أنفه ، يريد القهر والغلبة . والميسم : الحديدة التي توسم بها الإبل .

(٤) نخلة : موضع على ليلة من مكة .

(٥) يد الدهر : أبد الدهر ، ويقال : لا أفعله يد الدهر ، أي أبداً . والسرب : الطريق .

(٩)

وقال يرثي حمزة بن عبدالمطلب عمَّ النبيّ صلى الله عليه وسلّم الذي استشهد في أحد سنة ثلاث للهجرة :

١ـ بكَتْ عَيْنِي وحُقَّ لها بُكاها ... وما يُغْنِي البُكاءُ ولا العَويلُ[١]

٢ـ على أسدِ الإلَهِ غَداةَ قالُوا ... أَحَمْزَةُ ذاكُمُ الرَّجلُ القَتِيلُ؟

٣ـ أُصِيبَ المسلمون، بهِ جميعاً ... هناك، وقَدْ أُصِيْبَ به الرَّسُولُ

٤ـ أبَا يَعْلَى لَك الأركانُ هُدَّتْ ... وأنتَ المَاجِدُ البَرُّ الوَصُولُ[٢]

٥ـ عليكَ سَلاَمُ ربِّكَ في جِنَانٍ ... مُخَالِطُها نعيمٌ لا يَزُوْلُ

٦ ـ ألا يا هاشمَ الأخيارِ صَبْراً ... فكلُّ فِعَالِكُمْ حَسَنٌ جَمِيْلُ

٧ـ رسولُ اللهِ مُصْطَبِرٌ كرِيْمٌ ... بأمرِ اللهِ يَنْطِقُ إذْ يَقُولُ

٨ـ ألا مَنْ مُبْلِغٌ عنّي لُؤَيّاً ... فبعدَ اليومِ دَائِلَةٌ تَدُولُ[٣]

٩ ـ وقبلَ اليومِ ما عَرَفُوا وَذَاقُوا ... وَقائِعَنا بها يُشْفَى الغَلِيْلُ[٤]

---

(١) بكاها : البكاء ، يمد ويقصر ، وقد ورد البيت في المعاجم شاهداً على ذلك .

(٢) أبو يعلى : كنية حمزة رضي الله عنه ، يكنى بابنه يعلى ، ولم يعش لحمزة ولد غيره ، وأعقب يعلى خمسة من البنين ثم انقرض عقبهم (انظر الروض : ٦ / ١٦٢) .

والماجد : الشريف .

(٣) الدائلة : الحرب .

(٤) الغليل : حرارة العطش والحزن .

١٠ـ نسِيْتُم ضَـرْبَنا بقَلِيْبِ بَـدْرٍ غَـدَاةَ أتَـاكُمُ المـوتُ العَجِيْلُ[١]
١١ـ غَدَاةَ ثَوَى أبُو جَهْلٍ صريعاً عليـهِ الـطَّيْـرُ حـائمـةً تَجُـولُ[٢]
١٢ـ وعُتْبَـةُ وابنُـهُ خَـرًّا جميعـاً وشيبـةُ عضَّـهُ السَّيفُ الصَّقِيْـلُ[٣]
١٣ـ وَمَتْـرَكَنـا أمـيَّـةَ مُجْـلَعِبَّـاً وفـي حَيْـزُومِـهِ لَـدْنٌ نَـبِيْـلُ[٤]
١٤ـ وهـامَ بني ربيعـةَ سـائِلُوهـا فـفـي أسيـافِـنـا مـنـهـا فُـلُولُ
١٥ـ ألا يـا هندُ فـابكِي لا تَمَلّي فـأنْتِ الـوالِـهُ العَبْـرَىٰ الهَبُـولُ[٥]
١٦ـ ألا يا هِنْدُ لا تُبْـدِي شِمَاتـاً بِـحَـمْـزَةَ إنَّ عِـزَّكُـمُ ذَلِـيْـلُ[٦]

---

(١) القليب : البئر القديمة التي لا يعلم لهاربٌ ولا حافر تكون في البراري ، يذكر ويؤنث .
(٢) حائمة : مستديرة ، يقال : حام الطائر حول الماء إذا استدار حوله . وتجول : تجيء وتذهب .
(٣) عتبة بن ربيعة ، وابنه الوليد بن عتبة ، وأخوه شيبة ، قتلوا جميعاً في بدر في المبارزة ، قتلهم حمزة وعليٌّ وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم .
(٤) هو رأس الكفر أمية بن خلف ، قتله بلال في جماعة من المسلمين يوم بدر . المجلعب : المصروع الممتد في الأرض . الحيزوم : أسفل الصدر . واللدن : الرمح اللين ، والنبيل : العظيم .
(٥) الواله : الشديدة الحزن ، العبرى : الكثيرة الدمع . والهبول : الفاقدة . .
(٦) لا تبدي شماتاً ، أي لا تظهري شماتة .

(١٠)

وقال يرد على هبيرة بن أبي وهب في يوم أحد :

من الطويل :

١ـ فسِرْنا إلَيْهِم كافَةً في رحـالِهِمْ جميعاً علينا البْيِضُ لا نَتَخَشَّـعُ[(١)]
٢ـ وجِئْنا إلى موجٍ منَ البَحْرِ زَاخِرٍ أحـابيشَ منهمْ حـاسِـرٌ ومُقَنَّـعُ[(٢)]

---

(١) كافة (بالتخفيف) : بمعنى كافّة (بالتشديد) وقد ورد البيت في معاجم اللغة شاهداً على هذا التخفيف . والبيض (بكسر الباء) السيوف ، وبفتحها جمع بيضة السلاح .
(٢) الأحابيش : جماعات يتجمّعون من قبائل شتى .

(١١)

وقال يبكي نافع بن بُدَيل بن ورقاء الخزاعيّ أحد رجال بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بئر معُونة[١] في صفر سنة أربع ، وقد غدر بهم عامر بن الطفيل في قبائل من بني سُليم فقتل رجال البعث جميعاً :

من الخفيف

١ـ رَحِمَ اللهُ نـافِعَ بنَ بُـدَيْـلٍ رحمـةَ المُبْتَغِي ثـوابَ الـجِهـادِ
٢ـ صـابِرٌ، صـادقٌ، وفِيٌّ إذا مَـا أَكْثَـر القَـوْمُ قـالَ قَـوْلَ السَّـدَادِ

(١) بئر معونة أرض بين بني عامر وحَرَّة بني سُليم ، كلا البلدين منها قريب ؛ وهي إلى حرة بني سُليم أقرب ، وكان رسول الله عليه السلام قد بعث الوفد إلى بئر معونة من أجل أن يدعوا أهل نجد الى الإسلام بعد أن زاره أبو براء عامر بن مالك بن جعفر ملاعب الأسنة ، وسأله إرسال وفد إلى أهل نجد .

وكان نافع وأبوه ـ رضي الله عنهما ـ وإخوته من فضلاء الصحابة وجلتهم ، وهو قديم الإسلام ، استشهد ببئر معونة مع المنذر بن عمرو ، وعامر بن فهيرة ، وغيرهما .

(١٢)

قال عباس بن مرداس السلمي يمتدح رجال بني النَّضير عقب إخراجهم من المدينة سنة أربع ، ويردّ على قصيدة لخوَّات بنِ جُبَيْر هجا فيها يهود المدينة :

هجوْتَ صريحَ الكَاهِنَيْنِ وفيكُمُ
لهمْ نِعَمٌ كانَتْ مِنَ الدَّهرِ تُرْتُباً[١]

فأجابه عبدُ الله بن رَوَاحة :

١ ـ لعَمْرِي لقَدْ حَكَّتْ رحىٰ الحربِ بعدَما
أطارتْ لُؤَيَّاً قبلُ شرقاً وَمَغْرِبا[٢]

٢ ـ بقيةَ آلِ الكاهِنَيْنِ وعِزَّها
فعادَ ذليلاً بعدَما كانَ أَغْلَبَا[٣]

---

(١) انظر أبيات ابن مرداس في السيرة : ٣ / ٢١٢ .

(٢) لؤي : من آباء قريش .

(٣) الكاهنان : قبيلتان من يهود المدينة ، يزعمون أنهم من ولد هارون عليه السلام . والأغلب : الشديد القوي .

٣ ـ فـطَاحَ سَــلاَمٌ وابنُ سَعْيَةَ عَـنْــوةً
وقِيْــدَ ذَليــلاً للمنَــايَــا ابـنُ أَخْــطَبَــا[1]

٤ ـ وأَجْلَبَ يبغِي العِــزَّ ، والــذُّلَّ يبتغِــي
خِـلافُ يَـدَيْـهِ مــا جَنَـى حينَ أَجْلَبَــا[2]

٥ ـ كتارِكِ سهلِ الأرضِ والحـزْنُ هَمُّـهُ
وقَدْ كانَ ذَا في النَّاسِ أكْدَى وأَصْعَبَــا[3]

٦ ـ وشَــأْسٌ وعَــزَّالٌ وقــد صَلِيَــا بهــا
ومــا غُـيِّبَــا عَـنْ ذَاكَ فِيْـمَـنْ تَـغَـيَّـبَــا[4]

٧ ـ وعوفُ بنُ سَلْمَى وابنُ عَوْفٍ كلاهُمــا
وكـعبٌ رئـيسُ القَــوْمِ حَــانَ وخُـيِّـبَــا[5]

٨ ـ فَـبُعْـداً وسُـحْقــاً لـلنَّضِـيْـرِ ومـثـلُهــا
إنْ اعْـقِـبَ فَـتْـحٌ أَوْ إنِ اللهُ أَعْـقَــبَــا[6]

---

(١) طاح : ذهب وهلك . وسلام : هو أبو رافع بن أبي الحقيق ، من يهود بني النضير ، كان يؤذي النبي ، ويحزب الأحزاب عليه ، قتله عبدالله بن عتيك الأنصاري الخزرجي وسط بيته في فراشه .
وابن سعية : لعله أبو ياسر بن أحطب بن سعية ، أخو حيي ، فإنه قتل صبراً في أسراء بني قريظة .
وابن أحطب ، هو حيي ، من يهود بني النضير ، وهو من أشد من عادى النبي عليه السلام ، وهو الذي حزب الأحزاب عليه يوم الخندق ، وقد أتي به عندما فتحت حصون قريظة يداه إلى عنقه فقتل .

(٢) أجلب : جمع وصاح . الذل : مفعول مقدم ليبتغي ، وخلاف مبتدأ ، خبره ما بعده .

(٣) الحزن : ما علا من الأرض وغلظ ، وأكدى : أخفق في سعيه ، والمعنى أن حال حيي تشبه حال من كان له طريقان ، أحدهما سهل ، والآخر وعر ، فترك السهل ، وأخذ في الوعر .

(٤) شأس : هو ابن قيس اليهودي من يهود بني قينُقاع الذي هيّج الأنصار بتذكيرهم بأيامهم في الجاهلية . وعزال ، هو ابن سموأل اليهودي ، من بني قينقاع كذلك صليا بها ، أي الحرب ، قاسيا شدتها .

(٥) وابن عوف : لعله يريد مالك بن عوف من بني قينقاع ، أو الحارث بن عوف من يهود قريظة .
وكعب : هو كعب بن أسد القرظي رئيس قريظة ، وصاحب عقدها .

(٦) بعداً وسحقاً : دعاءان بالهلكة ، نصبا على المصدرية بفعلين محذوفين .

(١٣)

وقال في غزوة بدر الآخرة ، في شعبان سنة أربع ، يعيِّر أبا سفيان الذي أخلف موعده ، ولم يأت إلى بدر :

من الطويل

١ـ وعَدْنا أبا سُفيانَ بَدْراً فلَمْ نَجِدْ ... لميعـادِهِ صِـدْقـاً ومـا كـانَ وافِيـاً

٢ـ فـأُقْسِمُ لـو وافَيْتَنـا فَلَقِيتَنَـا ... لأُبْتَ ذَميمـاً وافْتَقَدْتَ المَـوَالِيـا[١]

٣ـ تـركْنا بـه أوصالَ عُتْبَـةَ وابنَـهُ ... وعَمْـراً أبا جهـلٍ تركْنـاه ثَاوِيـاً[٢]

٤ـ عصيتُمْ رسولَ اللهِ أُفٍّ لدينِكُمْ ... وأَمْرِكُمُ السَّيْءِ الذي كانَ غاوِيا[٣]

٥ـ فـإنّي وإنْ عَنَّفْتُمـوني لقـائـلٌ ... فِـدَىً لـرسـولِ اللهِ أهلي ومـالِيـا

٦ـ أطَعْنَـاهُ لـم نَعْدِلْـهُ فينـا بغيـرِهِ ... شِهاباً لنا في ظُلْمَةِ الليـلِ هادِيـا

---

(١) الموالي : جمع مولى ، وهو النصير .

(٢) عتبة : هو عتبة بن ربيعة ، وابنه : الوليد . وثاوياً: مقيماً .

(٣) السيء (بالتخفيف) بمعنى : السيء (بالتشديد) .

(١٤)

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون يحفرون الخندق ، وينقلون التراب في شوال سنة خمس ، وهم يرتجزون بشعر ابن رواحة :

من مشطور الرجز

١ـ تـــالله لَــوْلاَ اللهُ مـــا اهْتَدَيْنـــا
٢ـ ولاَ تَـــصَـــدَّقْنـــا ولاَ صَـــلَّيْـــنـــا
٣ ـ الكـــافـــرونَ قَـــدْ بَغَـــوْا عَـلَيْنا
٤ـ إذَا أَرادُوا فِـــتْـــنَـــةً أَبَـــيْـــنـــا
٥ ـ إنَّـــا إذَا صِـيْـــحَ بِنـــا أَتَـيْنـــا[١]
٦ ـ وبـــالصِّيَـاحِ عَـــوَّلُـــوا علَيْنـــا[٢]
٧ ـ فـــاغْفِرْ فِـدَاءٌ لكَ مـــا اقْتَفَيْنَا[٣]

---

(١) صيح بنا ، أي : للقتال ونحوه من المكاره .

(٢) عولوا علينا ، أي : استغيثوا بنا ، واستفزعونا للقتال ، وقيل : هو من التعويل على الشيء ، وهو الاعتماد عليه ، وقيل هو من العويل ، وهو الصوت (انظر سمط النجوم العوالي : ٢/ ١٥٧) .

(٣) ما اقتفينا : أي ، ما تتبعنا من الخطايا، من قفوْت الأثر واقتفيته . قوله : فداء ، بالرفع ، ورواها السهيلي (الروض الأنف : ٦ / ٥٤٧) بالنصب ، وقال : فداء لك ، قيل : إن الخطاب للنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أي : أغفر لنا تقصيرنا في حقك وطاعتك ، إذ لا يُتصور أن يُقال لله تباركـ

٨ - وثَـبِّـتِ الأَقْـدَامَ إنْ لاقَـيْـنَـا
٩ - وأَنْـزِلَـنْ سَـكِـيْـنَـةً عَـلَيْـنـا[1]
١٠- ونَحنُ عنْ فضْلِكَ مـا استَغْنَيْنـا

وتعالى مثل هذا الكلام ، وذلك أن معنى قولهم ، فداءً لك (بالنصب) أي : فداءً لك أنفسنا وأهلونا ، وحذف الاسم المبتدأ لكثرة دَوْره في الكلام مع العلم به ، وإنما يفدي الإنسان بنفسه من يجوز عليه الفناء .

(١) السكينة : التثبيت والوقار .

(١٥)

كما كان المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق ينقلون التراب وهم ينشدون قول عبدالله :

من مشطور الرجز

١ـ لا هُمَّ إنَّ العَيْشَ عَيْشُ الآخِرَةْ[١]
٢ـ فـارْحَم الأَنْصَـارَ والمُهَـاجِـرَةْ
٣ـ والْعَنْ إلَهي عَـضَـلاً والقَـارَةْ[٢]
٤ ـ هُمْ كلَّفُـونـا ثِقَـلَ الحِـجَـارَةْ

---

(١) أراد النبي عليه السلام تسلية أصحابه وتهوين الأمر عليهم ، فإن العيش الدائم المعتبر عيش الآخرة لا عيش الدنيا لكدورته ، وكونه مع المنغصات التي لا تتناهى ، ثم هو فانٍ وإن طال .

(٢) عضل والقارة : هم بنو الهون بن خزَيمة بن مدركة الذين قالوا لرسول الله : إن فينا إسلاماً فابعث معنا نفراً يفقهوننا في الدين ، فبعث معهم رسول الله ستة من أصحابه ، فخرجوا حتى إذا كانوا على الرجيع غدروا بهم . .

(١٦)

ومن شعر ابن رواحة الذي كان يتمثل به المسلمون في يوم الخندق ، وهم يحفرون وينقلون التراب :

من مشطور الرجز

١ ـ بـاسمِ الإلَـهِ وبِـهِ بَـدِيْنَـا[١]
٢ ـ ولَـوْ عَبَـدْنـا غَيْـرَهُ شَـقِيْنَا
٣ ـ فَـحَـبَّـذَا رَبَّـاً وحَبَّ دِيْـنـا

---

(١) بدا الرجل يبدو ، إذا نزل البادية . وقيل إنه من بدِيت بالشيء (بكسر الدال) أي ابتدأت به ، فلما خفف الهمزة كسر الدال ، فانقلبت الهمزة ياء .

(١٧)

وقال ابن رواحة يذكر ما كان من حديث الإفك في غزوة بني المصطلق سنة: ست ، ويشير إلى ضرب حسان وأصحابه في فِرْيتهم علي السيدة عائشة رضي الله عنها :

من الطويل

١ـ لقَدْ ذَاقَ حسَّانُ الذي هُوْ أَهْلُهُ — وحَمْنَةُ إذ قالوا هَجِيْراً ومِسْطَحُ[1]

٢ـ تَعَاطَوْا برجْمِ الغَيبِ زوجَ نبيِّهِمْ — وسَخْطة ذِيْ العَرْشِ الكريمِ فأُتْرِحُوا[2]

٣ـ وآذَوْا رسولَ اللهِ فيها فَجُلِّلُوا — مخازِيَ تَبْقَى عُمِّمُوها وفُضِّحُوا

٤ـ وصُبَّت عليهِمْ مُحْصَدَاتٌ كأنَّها — شآبِيْبُ قَطْرٍ من ذُرَا المُزْنِ تَسْفَحُ[3]

---

(١) : الهجير : الهجر ، وهو القول الفاحش ، وحمنة بنت جحش ومسطح بن أثاثة ممن أفصح بالفاحشة مع حسان بن ثابت ، وقد ضربوا حدهم .

(٢) الرجم : الظن ، وأترحوا : أحزنوا من الترح ، وهو الحزن .

(٣) محصدات : أي سياط محكمة شديدة الفتل ، والشآبيب : جمع شؤوب ، وهو الدفعة من المطر . المزن : السحاب . تسفح : تسيل .

«١٨»

دخل رسول الله صلى الله عليه وسلّم مكة في عمرة القضاء ، في ذي القعدة سنة سبع وعبدالله بن رواحة آخذ بخِطام[١] ناقته يقول :

من مشطور الرجز

١ ـ خَلُّوا بنِي الكُفَّـارِ عِنْ سبِيْلِهِ[٢]
٢ ـ خَلُّوا فكُلُّ الخيرِ في رَسُولِهِ
٣ ـ قَدْ أنزلَ الرَّحمنُ في تَنْزِيلِهِ
٤ ـ في صُحُفٍ تُتْلَىٰ على رَسُولِهِ
٥ ـ بأنَّ خيرَ القَتْلِ في سَبِيْلِهِ
٦ ـ يا ربِّ إني مؤْمِنٌ بِقِيْلِهِ[٣]
٧ ـ أعْرِفُ حقَّ اللهِ في قَبُولِهِ
٨ ـ نحنُ ضَرَبْنَاكُمْ على تَأْوِيْلِهِ
٩ ـ كما ضربناكم على تنزيلِهِ

---

(١) خطام الناقة : الحبل الذي تقاد به .
(٢) خلّوا : أي ، تنحوا .
(٣) قيلة : قوله .

١٠ - ضَرْباً يُزِيلُ الهَامَ عن مَقِيْلِهِ[1]
١١ - ويُـذْهِـلُ الخَليْـلَ عن خَلِيْلِــهِ
١٢ - أو يَــرْجِـعَ الحقُّ إلى سَبِيْلِــهِ

---

(١) الهام ، جمع هامة : وهي الرأس . ومقبل الرأس : ذكر الزرقاني أنه محل نومه نصف النهار ، مستعار من موضع القائلة ، فهو كناية عن محل الراحة ؛ إذ النوم أعظم راحة ، أو شبه به العنق بجامع أنه محل الاستراحة ، أي يزيل الرأس عن العنق .

(١٩)

وفي عمرة القضاء دخل الرسول صلى الله عليه وسلم مكة ، فطاف بالبيت على ناقته ،واستلم الركن بمحجنه، والمسلمون يشتدون حوله وعبدالله بن رواحة يقول :

من مشطور الرجز

١ ـ بِسْمِ الـذَّي لا دِيْـنَ إلَّا دِيْنُـه
٢ ـ بِسْمِ الـذَّي مُحَمَّـدٌ رَسُـوْلُـه
٣ ـ أَنـا الشَّـهِـيْـدُ أنَّـه رسُـولُـه

(٢٠)

وقال عندما خرج الى مؤتة في جمادى
الأولى ستة ثمانٍ ، وقد خرج الناس
لتوديعهم : ودَعَوْا لهم بالسلامة : من البسيط

١ـ لكنَّني أسألُ الرحمنَ مغفرةً وضربةً ذاتَ فَرْغٍ تَقْذِفُ الزَّبَدَا[١]
٢ـ أو طعنةً بيديْ حَرَّانَ مُجْهِزَةً بحربةٍ تُنْفِذُ الأحشاءَ والكَبِدَا[٢]
٣ـ حتى يُقَالَ إذا مَرُّوا على جَدَثي : أرشَدَهُ اللهُ مِنْ غازٍ وَقدْ رَشَدَا[٣]

---

(١) ذات فرغ ، الفرغ : مخرج الماء من الدلو ، يريد ضربة يكون أثرها كالفرغ في السعة ، ففيه استعارة الفرغ للجرح . الزبد : الرغوة .
(٢) الحرّان : العطشان ، والمؤنث : حرّى . وتنفذ : أي تخرق يريد عدواً حريصاً على دمه حرص العطشان على الماء . والمجهزة : المسرعة المتمّمة . يقال : أجهز على الجريح ، إذا أماته .
(٣) الجدث : القبر .

(٢١)

وقال عندما ودّع الرسولَ صلى الله عليه وسلم ، وخرج غازياً إلى مؤتة :

من الكامل

خَلَفَ السَّـلامُ على امْرِىءٍ وَدَّعْتُـهُ   في النَّخْلِ خيرَ مُشَيَّع وخَلِيْلِ [١]

(١) السلام : من أسماء الله تعالى . وخلف السلام على امرىء : أي كان عليه خليفة .

(٢٢)

وقال في معركة مؤتة سنة ثمان عندما نزل الناس في مَعَانٍ من أرض الشام ، ورأوا كثرة جيش العدو :

من الوافر

١ـ جَلَبْنا الخَيْلَ مِنْ أَجَأٍ وَفَرْعٍ	تُغَرُّ مِنَ الحَشِيْشِ لها العُكُومُ[1]
٢ـ حَذَوْنَاها مِنَ الصَّوَّانِ سِبْتاً	أَزَلَّ كَأَنَّ صَفْحَتَهُ أَدِيْمُ[2]
٣ـ أَقَامَتْ لَيْلَتَيْنِ على مُعَانٍ	فَأُعْقِبَ بعْدَ فَتْرَتِها جُمُوْمُ[3]
٤ـ فَرُحْنَا والجِيَادُ مُسَوَّمَاتٌ	تَنَفَّسُ في مَنَاخِرِها السَّمُومُ[4]
٥ـ فلا وأَبِيْ مَآبُ لنَأْتِيَنْها	وإنْ كانتْ بِها عَرَبٌ ورُوْمُ[5]

---

(١) أجأ : أحد جبليْ طيء ، والآخر سلمى . الفرع : اسم موضع . قال ياقوت : الفرع أطول جبل بأجأ وأوسطه . تغر : تطعم شيئاً بعد شيء ، يقال : غرَّ الفرخ غراً وغراراً : زقَّه . والعكوم ، جمع عِكم ، وهو الجنب .

(٢) حذوناها : جعلنا لها حذاء . والسبت : النعال التي تصنع من الجلود المدبوغة . والصوان : ضرب من الحجارة ، واحدتها صوانة . أزل : أملس ، والأديم : الجلد .

(٣) معان (بفتح الميم وضمها) موضع بالشام . الفترة : الضعف والسكون ، والجموم : النشاط والراحة .

(٤) مسوّمات : معلّمات ، والسَّموم : الريح الحارة .

(٥) مآب : اسم مدينة في طرف الشام من نواحي البلقاء ، يجوز نصبها بفعل مقدر ، ورفعها على الابتداء .

٦ـ فَعَبَّأْنا أَعِنَّتَها فجاءَتْ عَوَابِسَ والغُبَارُ لها بَرِيْمُ[1]

٧ـ بذِي لَجَبٍ كأنَّ البَيْضَ فيهِ إذَا بَرَزَتْ قَوَانِسُها النُّجُومُ[2]

٨ـ فَرَاضِيَةُ المَعِيْشَةِ طلَّقْتها أَسِنَّتُها، فَتَنْكِحُ أَوْ تَئِيْمُ[3]

---

(١) قال السهيلي : البريم ، خيط تختزم به المرأة ، والبريم أيضاً : لفيف الناس وأخلاطهم ، ويقال : هم بريمان ، أي لونان مختلطان . وعبأ الأعنة : جهزها . والعنان : سير اللجام الذي تمسك به الدابة .

(٢) اللجب : اختلاط الأصوات وكثرتها . والبيْض : ما يوضع على الرأس من الحديد . والقوانس : جمع قونس ، وهو أعلى البيضة .

(٣) راضية : أي مرضية . قال السهيلي : وبناها على فاعلة ؛ لأن أهلها راضون . تئيم : تبقى من غير زوج . يقال : آمت المرأة ، إذا لم تتزوج .

(٢٣)

كان زيد بن أرْقم يتيماً لعبدالله بن رواحة في حِجْره ، فخرج في سفره إلى مؤتة وقد أردفه على حقيبة رحله ، وإنه ليسير ذات ليلة إذ سمعه زيدٌ ينشد هذه الأبيات :

من الوافر

١ـ إذَا أَدَّيْتِنِي وحَمَلْتِ رَحْلِي ... مَسِيْرَةَ أَرْبَعٍ بعدَ الحِسَاءِ[١]

٢ـ فَشَأْنُكِ أنْعُمٌ وخَلاَكِ ذَمٌّ ... ولاَ أَرْجِعْ إلى أَهْلِيْ ورائي[٢]

٣ـ وجاءَ المُسلمونَ وغَادَرُوني ... بأرضِ الشَامِ مُشْتَهِيَ الثَّواءِ[٣]

٤ـ وَرَدَّكِ كُلُّ ذِي نَسَبٍ قَرِيْبٍ ... إلى الرَّحمنِ مُنْقَطِعَ الإخَاءِ

٥ـ هُنَالِكَ لا أُبَالِيْ طَلْعَ بَعْلٍ ... ولاَ نَخْلٍ أَسَافِلُها رِوَاءِ[٤]

---

(١) أديتني : أوصلتني ، والخطاب للناقة . والحساء : جمع حِسْيٍ ، ويجمع على أحساء أيضاً ، وهو ماء يغور في الرمل حتى يجد صخراً ، فإذا بُحث عنه وجد ، لأن الصلابة منعته أن ضى.

(٢) خلاك ذم ، أي : فارقك الذم ، فلست بأهل له . ولا أرجع : مجزوم على الدعاء ، أي : اللهم لا أرجعْ .

(٣) مشتهي الثواء : أي لا أريد الرجوع ، والثواء : الإقامة ، من ثوى يثوي (كضرب يضرب) .

(٤) البعل : النخل الذي يشرب بعروقه من الأرض فيستغني عن السقي ، ويقال : استبعل النخل : أي شرب بعروقه . ورواء (بكسر الهمزة) صفة النخل .

(٢٤)

كما قال ابن رواحة يخاطب زيد بن أرقم في أثناء سفره إلى مؤتة غازياً :

من مشطور الرجز

١ـ يا زَيْدُ زيدَ اليَعْمَلاتِ الـذُّبَّلِ [١]
٢ـ [وزَيْـدَ داريّ الفَلَاة المَجْهَـلِ]
٣ـ تَطَاوَلَ اللَّيْلُ ـ هُدِيْتَ ـ فَانْـزِلِ [٢]
٤ ـ[فَانْقَضَّ زَيْدٌ كَانقِضَاضِ الأَجْدَلِ [٣]

---

(١) اليعملات ، مفردها يعملة : وهي الناقة السريعة . والذبل : النوق الضامرة ، التي أضعفها السير ، فقل لحمها ،مفردها : ذابل . وقد أضيف زيد إلى اليعملات ، لأنه يحدو بها ، وهو قوي على ضبطها .

(٢) انزل : أي انزل ، فسق بالقوم ، واحدُ الإبل حتى تنشط ، فقد أصابها الكلال .

(٣) الأجدل : الصقر .

(٢٥)

عندما استشهد زيدُ بن حارثةَ وجعفر بن أبي طالب في غزوة مُؤتة تقدّم ابن رواحة ليأخذ الراية ، ويقود الجيش ، فدخله شيء من روع ، فقال يستنزل نفسه ويشجعها :

من مشطور الرجز

١ـ أَقْسَمْتُ يـا نـفسُ لَـتَـنْـزِلِنَّـهْ
٢ ـ طَـائِعَـةً أَوْ لاَ لَـتُـكْـرَهِـنَّـهْ
٣ـ إنْ أَجْلَبَ النَّاسُ وشَدُّوا الـرَّنَّةْ[1]
٤ ـ مَـالِيْ أَراكِ تكْـرَهِـيْنَ الـجَنَّـةْ
٥ ـ قَـدْ طَـالَمـا قَـدْ كُنْتِ مُـطمئِنَّـةْ
٦ ـ هـلْ أَنتِ إلاّ نُـطْفَـةٌ في شَنَّـةْ[2]
٧ ـ جَعْفَـرُ مـا أَطْيَبَ رِيـحَ الجَنَّـةْ

(١) الجلبة : الصياح واختلاط الأصوات . والرنة : صوت فيه ترجيع يشبه البكاء .
(٢) النطفة : الماء القليل الصافي . والشنة : القربة البالية ، أي ويوشك أن تهراق النطفة ، أو تنخرق القربة البالية ، وقد ضربه مثلاً لنفسه في جسده .

(٢٦)

وقال أيضاً يستَنْزِلُ نفسه ويستحثُّها بعد مقتل صاحبيه في مؤتة :

من مشطور الرجز

١ - هــلْ أَنْـتِ إلَّا إصْبَــعٌ دَمِيْـتِ
٢ - وفـي سبيــلِ اللهِ مَــا لَقِيْـتِ
٣ - يَــا نَـفْسُ إلاَّ تُقْـتَلِي تَـمُــوتـي
٤ - هذا حِمَامُ الموتِ قَدْ صَلِيْتِ(١)
٥ - إنْ تَسْلَمِي اليومَ فلَنْ تَفُوتِــي(٢)
٦ - أو تُـبْتَـلِي فــطَالَمــا عُــوْفِـيْـتِ
٧ - ومَــا تَـمَنَّيْتِ فَـقَـدْ أُعْــطِيْـتِ
٨ - إنْ تَفْعَلِي فِعْلَهُمــا هُــدِيْــتِ(٣)
٩ - وإنْ تــأَخَّــرْتِ فَـقَـدْ شَقِـيْــتِ

---

(١) صليت : قاسيت النار والحر .
(٢) لن تفوتي : لن تذهبي بعيداً ، أو تكتب لك النجاة .
(٣) فعلهما : يقصد صاحبيه زيداً وجعفر بن أبي طالب ، اللذين استشهدا قبله .

(٢٧)

وقال :

١ـ عَـدِمْتُ بُنَيَّتِي إنْ لم تَـرَوْهـا   تُثِيـرُ النَّقْـعَ مِنْ كَنَفيْ كُـدَاءِ[١]

(١) النقع: الغبار. وكداء بالفتح والضم: موضع بمكة، وهو الثنية التي في أصلها المقبرة، ومنها دخل الزبير بن العوام، ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم من شعب أذاخر عند فتح مكة.

(٢٨)

نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحباه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما ذات ليلة عند أبي الهيثم بن التيِّهان، وكان قد أخرجهم جميعاً الجوع، فأكرمهم، وقدّم لهم رطباً وطعاماً، فقال رسول الله: « هذا - والذي نفسي بيده - من النعيم الذي تُسألون عنه يوم القيامة ».

وفي هذه القصة يقول عبدالله بن رواحة، يمدح أبا الهيثم :[١]

من الطويل

١- فلَمْ أَرَ كـالإِسْـلامِ عِـزًّاً لأُمَّـةٍ ... ولا مثلَ أضيافِ الأَرَاشِيِّ مَعْشَرَاً[٢]

٢- نَبِيٌّ وصِـدِّيقٌ وفـاروقُ أُمَّـةٍ ... وخيرُ بني حَـوَّاءَ فَـرْعَـاً وعُنْصُـرَا

---

(١) هو مالك بن عتيك بن عمرو بن عبدالأعلم بن زعوراء الأنصاري الأوسي، صحابي شهد العقبة وبدراً الأولى والثانية والمشاهد كلها، وشهد صفين مع عليّ - على أكثر الأقوال - ويقال: قتل بها سنة سبع وثلاثين، ويقال: سنة عشرين، ويقال سنة إحدى وعشرين، قال أبو أحمد الحاكم: ولعلها أصوب، وقال مات في حياة النبي، وهو أول من بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة العقبة فيما زعم بنو الأسهل.

(٢) جعله أراشياً، نسبة إلى أراشة في خزاعة، وإلى أراش بن لحيان بن الغوث، وقيل: إنه بلوي من بني أراشة بن فاران بن بلى، والهيثم لغة: العقاب، وضرب من العشب، وبـه أو بالأول سمي الرجل.

٣- فَوَافَوْا لميقاتٍ وقَدْرِ قَضِيَّةٍ   وكان قضاءُ اللهِ قَدْراً مُقَدَّرَا
٤- إلى رَجُلٍ نَجْدٍ يُبَارِي بجُودِهِ   شُمُوسَ الضُّحَى جُوداً ومَجْداً ومَفْخَرَا
٥- وفارِسِ خَلْقِ اللهِ في كلِّ غَارَةٍ   إذا لبِسَ القومُ الحَدِيدَ المُسَمَّرَا
٦- فَفَدَّى وحَيَّا ثُمَّ أَدْنى قِرَاهُمُ   فلم يَقْرِهِمْ إلاَّ سَمِيْناً مُتَمَّراً[1]

(١) المتمر : المقطع ، وكان أبو الهيثم قد ذبح لهم شاة سمينة . والقرى ، ما يقدم للضيف من الطعام .

(٢٩)[١]

وقال :

١ـ عِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ القَوْمُ السُّرَى[١]
٢ـ وتَنْجَلِي عَنْهُمْ غَيَابَاتُ الكَرَى[٢]

من مشطور الرجز

---

(١) السُّرى (كالهدى) : سير عامة الليل ، وقيل يذكر ويؤنث (التاج) والبيت مثل من أمثال العرب المعروفة ، يضرب في الصبر على مقاساة الأمور لما في عواقبها من المحامد ، أو للجد في طلب الحاجة وترك التفريط فيها .

(٢) غيابات : جمع غيابة ، وهو كلُّ شيء أظلَّ الإنسان .

(٣٠)

وقال يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم ويهجو بعض أبناء قريش من عمر ابن مخزوم وغيرهم :

من البسيط

١- إنّي تَفَرَّسْتُ فيكَ الخيرَ أعرِفُه ... واللهُ يعلَمُ أَنْ ما خـانَني البَصَـرُ

٢- أنتَ النَّبيُّ وَمَنْ يُحْرَمْ شَفَاعَتَه ... يومَ الحسابِ، فقد أَزْرَى به القَدَرُ[1]

٣- فَثَبَّتَ الله ما آتاكَ مِنْ حَسَنٍ ... تَثْبِيْتَ مُوسى ونصراً كالذي نُصِرُوا

٤- يـا آلَ هـاشِمَ إنَّ الله فضَّلَكُمْ ... على البـرِيَّةِ فضـلاً ما لَـهُ غِيَرُ[2]

٥- ولو سأَلْتَ أوِ استَنْصَرْتَ بعضَهُمُ ... في جُلِّ أمرِكَ ما آوَوْا ولا نَصَرُوا

٦- فُخَبِّـرُونيَ أثمـانَ العَبَـاءِ مَتَى ... كُنْتُمْ بطارِيقَ أو دانَتْ لكُمْ مُضَرُ[3]

٧- نجالِدُ النَّاسَ عَنْ عُرْضٍ فَنَأْسِرُهُمْ ... فينـا النبيُّ، وفينا تَنْـزِلُ السُّـوَرُ[4]

٨- وقَـدْ عَلِمْتُمْ بـأَنَّـا ليس يَغْلِبُنـا ... حَيٌّ من النَّاسِ، إنْ عَزُّوا وإنْ كَثُرُوا

---

(١) أزرى به القدر : أي قصرَّ به .

(٢) الغير : التغير والتبدل .

(٣) العباء : كساء خشن غليظ . والبطاريق : جمع بطريق ، وهو القائد الحاذق بأمور الحرب . ودانت : خضعت وأطاعت ، وقد جعلهم أثمان العباء في الخسة .

(٤) جالد بالسيف : ضارب به . ويقال : خرجوا يضربون الناس عن عرض ، أي عن شق وناحية لا يبالون من ضربوا .

(٣١)

وقال أيضاً يمدح النبي عليه السلام :

من البسيط

١ـ لَـوْ لَمْ تَكُنْ فيـه آيَـاتٌ مُبَيِّنَـةٌ كـانَتْ بَـدِيْهَتُـهُ تُنْبِيْـكَ بـالخَبَـرِ
٢ـ فَثَبَّتَ اللهُ مَـا آتَـاكَ مِنْ حَسَنٍ تَقَفُّوْتَ عِيْسَىٰ بإذْنِ اللهِ والقَـدَرِ[1]

(١) قفا الأثر ، واقتفاه : أي تبعه .

(٣٢)

وقال :

من الخفيف

١ـ يـا رَسُولَ المَليـكِ إنَّ لِسَـاني راتِقٌ مـا فَتَـقْتُ إذْ أنـا بُـوْرُ[١]

(١) البور : الرجل الفاسد والهالك ، تطلق على الواحد والمثنى والجمع ، فيقال : رجل بور ، ورجلان بور ، وقوم بور .

(٣٣)

وفي رواية أن ابن رواحة قال في أمر الجارية التي بَصُرت به امرأته إلى جانبها :

من الطويل

١ـ وفِيْنَـا رَسُـولُ اللهِ يَتْلُو كتـابَـهُ   إذا انشَقَّ معروفٌ من الصُّبْحِ ساطِعُ
٢ـ أَرَانَا الهُدَى بعْدَ العَمَى فقُلُوبُنا   بـهِ مُـوْقِنَـاتٌ أنَّ مـا قـالَ واقِـعُ
٣ـ يَبِيْتُ يُجَافِي جَنْبَهُ عَنْ فِـرَاشِهِ   إذَا استُثْقِلَتْ بالكافِرِيْنَ المَضَاجِـعُ
٤ـ وَأَعْلَمُ عِلْماً ليسَ بالـظنِّ أَنَّني   إلى اللهِ مَحْشُـورٌ هنـاكَ وَرَاجِـعُ

(٣٤)

وفي رواية أخرى أن ابن رواحة قد قال في شأن الجارية التي تقدَّم الحديث عنها الأبيات التالية يصف فيها العُزَّى ، وهي شجرة كانت تُعبد في الجاهلية :

من الطويل

١ـ شَهِدْتُ ـ بإذنِ اللهِ ـ أَنَّ مُحمَّدَاً	رَسُولُ الذي فَوْقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عَلُ
٢ـ وأنَّ أبـا يحيى ويَحْيَى كِلَيْهما	لَـهُ عمـلٌ في دِيْـنِـهِ مُتَـقَبَّـلُ[١]
٣ـ وأَنَّ الَّتي بالجِزْعِ مِن بَطْنِ نَخْلَةٍ	ومَنْ دَانَها فِلٌّ ـنَ الخَيْرِ مَعْزِلُ[٢]
٤ـ وأنَّ الذي عادى اليهودَ ابن مَريمٍ	رسولٌ أتى مِنْ عندِ ذي العرشِ مُرْسَلُ
٥ـ وأنَّ أخَا الأحْقَافِ إذْ يَعْذِلُوْنَـهُ	يُجـاهِدُ في ذاتِ الإلـهِ ويَعْدِلُ[٣]

---

(١) يعني بأبي يحيى زكريا عليه السلام .

(٢) الجزع : قرية عن يمين الطائف وأخرى عن شماله . وأراد ببطن نخلة المكان الذي كان بين مكة والطائف ، وفيه كانت تعبد العزى . دانها : عبدها ، أو اتخذها له ديناً . والفل : الخالي من الخير ، كالأرض الفل ، وهي التي لا نبت فيها ولا خير ، ومعزل : منقطع .

(٣) أخو الأحقاف : هود عليه السلام ، المشار إليه في قوله تعالى : ﴿ واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالاحقاف ﴾ والأحقاف : وادٍ بين عُمان وأرض مهرة ، أو رمل بين عمان وحضرموت .

(٣٥)

وقال يمدح النبي صلى الله عليه وسلم :

من البسيط

١ـ تحملُهُ النَّـاقَةُ الأَدْمَـاءُ مُعْتَجِـراً بالبُردِ كالبَدْرِ جَلَّى لَيْلَةَ الـظُّلَمِ[١]

٢ـ وفي عِـطَافَيْـهِ أو أَثْنَـاءِ بُـرْدَتِـهِ مـا يَعْلَمُ الله مِنْ دِيْنٍ ومِنْ كَـرَمِ

(١) الأدمة في الإبل : لون مشرب سواداً أو بياضاً ، فهو آدم ، وهي أدماء ، والمعتجر : الملتف ، من اعتجر الرجل ، إذا لف عمامته على رأسه . جلَّى : كشف .

(٣٦)

كانت لعبدالله بن رواحة جارية يستسرّها عن أهله ، فبصُرت به امرأته يوماً قد خلا بها ، فقالت : لقد اخترت أمَتَك على حُرَّتك . فجاحدها ذلك ، فقالت : فإن كنت صادقاً ، فاقرأ آية من القرآن ، فإن الجُنُبَ لا يقرأ القرآن . فقال :[1]

من الوافر

شَـــهِـــدْتُ بـــأَنَّ وَعْـــدَ اللهِ حَـــقٌّ	وأَنَّ النَّـــارَ مَثْـــوَى الـكَـــافِـــرِيْنَـــا
وأَنَّ العَـــرْشَ فَـــوْقَ المـــاءِ طَـــافٍ	وفـــوقَ العَـــرْشِ رَبُّ العَـــالَمِيْنَـــا
وتَـــحْـــمِـــلُهُ مـــلائـــكـــةٌ كِـــرَامٌ	مـــلائـــكـــةُ الإلَـــهِ مُـــقَـــرَّبِـــيْـــنَـــا

---

(١) فظنت زوجته أنه يقرأ القرآن ، فقالت : آمنتُ بالله وكذَّبتُ البصر ؛ فقد كانت لا تحفظ القرآن ، ولا تقرؤه .

(٣٧)

وقال :

من الطويل

١ـ بَدَا ليَ أنّي لستُ مُدْرِكَ ما مضَى ‏ ‏ ولا سـابقٍ شيئاً إذا كـانَ جائِيَـا[1]

(١) سابق (بالجر) معطوف على مدرك بعد توهم الباء الزائدة في خبرها . والبيت شاهد في كتب النحو على هذه المسألة .

التخريج والنسبة والرواية

- ١ -

- القصيدة في جمهرة أشعار العرب : ٦٢٦ ، عدا الأبيات : ٩ ، ١٢ ، ٢٦ ، فإنها من ديوان حسان ، وفي ديوان حسان : ٣١١ ، ٣١٢ ، جميع الأبيات ، عدا البيتين : ٢٢ ، ٢٣ .

ورواية الأول في ديوان حسان : شحطت نجودا . ورواية الثاني في الجمهرة (طبعة دار صادر ، وطبعة المكتبة التجارية) : كذي داء غدا . والثالث في ديوان حسان :

تـرَّقَّـبُ عـودةَ الفـتيـان حـتى تـصيـدَهُـمُ وتنـوي أن تـصيـدا

والثالث في حسان : يزينُ معاقدُ اللبات منها . شنوفاً . . .

ورواية الثامن : مالئة رفُوداً . والعاشر : بأنا نخرج الشتواتِ .

والحادي عشر : قدوراً . . . خصيفاً لونها (بالصاد) قال العدوي : كل لونين خصيف ، ومنه خصفه الشيب ، إذا شاب بعض شعره وبقي بعض . والثالث عشر : أكرمها جدوداً . والخامس عشر : وأصدقها وأوفاها . والسادس عشر : إذا دعوى ببلدتنا استَتَشَتَّتْ . . . والسابع عشر : متى ما أدعُ في جشم وعوف . . . والثامن عشر: وحولي جمع ساعدة بن كعب . والتاسع عشر : زعمتـم أن ما نلتم ملوك الحجاز . . . ، ورواية العشرين : فما نبغي بقتلانا سواكم . والحادي والعشرين : يخدشن المعاصم . . والثاني والعشرين :

تـركنـا حَجَّنـا بغـديـر فـقـع   ظَـرَابَى في مجـالسـهـا قعـودا

- ٢ -

- البيتان في الكامل لابن الأثير : ١ / ٤١٣ .

- ٣ -

- البيت في الكامل لابن الأثير : ١ / ٤١٥

- ٤ -

- ديوان قيس بن الخطيم : ١٢٤ ، والكامل لابن الأثير : ١/ ٣٠٧ .

- ٥ -

- ديوان قيس : ١٣٥ - ١٣٨ ، وفي الأشباه والنظائر للخالديين: ١/ ٢٨ الأبيات : ٧ - ٨ - ٩ - ١٠ ، وفي الكامل لابن الأثير : ١/ ٤١٩ - ٤٢٠ الأبيات : ١ - ٢ - ٣ - ٨ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢ - ١٣ .

- رواية البيت الثاني في الكامل : ولم يقم . ورواية الثالث : أراحت له من لبه كل غارب ، وربما كانت تصحيفاً لعازب كما ذكر في حاشية الطبعة . ورواية السابع في الأشباه والنظائر : إلى مشعر فيها كرام الضرائب . ورواية الثامن في الأشباه : ندافع عن أحسابنا . . الحق واجب . وفي الكامل : الحق واجب . والتاسع في الأشباه : بعد تلجيج شاغب . وفي الكامل : بعدما نجَّ ثاعب. والعاشر في الأشباه : ترى القوم وسطه. وفي الكامل : يرى الموت .

والحادي عشر في الكامل :

برجل ترى الماذي فـوق جلودهم   وبيضـاً نقيـاً مثـل لـون الكـواكب

والثاني عشر في الكامل :

وهم حسر لا في الدروع تخالهم   أسـوداً متى تنشا الـرماح تضـارب

والثالث عشر في الكامل : مع الصدق منسوب .

- ٦ -

- الأبيات في ديوان حسان : ٣١٩ ، وأورد محقق ديوان قيس : ١١١ ،

الأبيات الستة الأولى في الحاشية نقلاً عن ديوان حسان (نسخة العدوي : ورقة ١٥٥) وربما كانت نسخة أخرى غير التي اعتمد عليها محقق النسخة التي بين أيدينا ؛ ففي هذه الأخيرة سبعة أبيات ، ورواية البيت الأخير في حاشية ديوان قيس : صبحناكم بها عصبا .

- ٧ -

- الأبيات : ١ - ٢ - ٤ ، في سيرة ابن هشام : ٢ / ١٤٢ ، وقد ذكر ابن إسحاق أن علي بن أبي طالب كان يرتجز بهذه الأبيات عند بناء مسجد قباء ، وعلّق ابن هشام على ذلك قائلاً : سألت غير واحد من أهل العلم بالشعر عن هذا الرجز فقالوا : بلغنا أن علي بن أبي طالب ارتجز به ، فلا يُدرى : أهو قائله أم غيره . وقال إبن اسحاق : فأخذها عمار بن ياسر ، فجعل يرتجز بها .

والأبيات : ١ - ٢ - ٣ ، في وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى : ١ / ٢٥٣ - ٢٥٤ وقد نسبت لعبدالله بن رواحة .

رواية السيرة :

لا يستوي من يَعْمُرُ المساجد
يـدأبُ فيه قائمـاً وقاعـدا

- ٨ -

الأبيات في السيرة : ٢ / ٢١٠ ، وقد نسبها ابن إسحاق لعبدالله بن رواحة ، أو لأبي خيثمة أخي بني سالم بن عوف ، ولكن ابن هشام قال : هي لأبي خيثمة ، وهي كذلك في البداية والنهاية : ٣/ ٣٣١ ، منسوبة لابن رواحة ، أو لأبي خيثمة ، وقد نقل ابن كثير في النسبة كلام السيرة . والرواية في البداية والنهاية : نروع قريش . . ، يدي الدَّهر . .

- ٩ -

الأبيات في السيرة : ٣/ ١٧١ ، والبداية والنهاية : ٥٩/٤ ، وتفسير القرطبي : ٤/ ١٨٩ ، والروض الأنف : ٦ / ١٢٥ ، وسمط النجوم العوالي : ٢/ ١١١ ، وفي الاستيعاب : ١/ ٢٧٥ ، عدا البيتين الثالث عشر والرابع عشر ،

وفي الإصابة : ١/ ٣٥٤ منها البيتان الأول والثاني ، وفي الاكتفاء في مغازي الرسول : ٢/ ١٣١ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، وفي اللسان (بكى) الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ وفي التاج (بكى) البيت الأول ، وفي أضداد أبي الطيب اللغوي النحوي البيت الثالث عشر ، وفي المحاسن والأضداد للجاحظ : ٧٨ ، والمحاسن والمساوىء للبيهقي : ٩٢ ، البيت الرابع فقط ، وفي الحماسةالبصرية: ١/ ٢٠١ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ . . وقد نسبها ابن إسحاق في السيرةلعبد الله بن رواحة ،ولكن ابن هشام ذكر أن أبا زيد الأنصاري أنشده إياها لكعب بن مالك ، وكذا في البداية والنهاية ، وسمط النجوم العوالي ، والاستيعاب ، فالكلام هناك منقول من السيرة ، ونسب البيتان في الإصابة لكعب ابن مالك، وفي اللسان نسب الأبيات ـ كما في السيرة ـ لابن رواحة ، أولكعب ، ولكنه ذكر أن ابن بري قد قال : هذه من قصيدة ذكرها النحاس في طبقات الشعراء ، وقال : والصحيح أنها لكعب بن مالك ، ونسبت في تفسير القرطبي لابن رواحة ، ونسب البيت في التاج لابن رواحة ، وفي الأضداد لحسان بن ثابت ولكنه غير موجود في ديوانـه ، ولم يُعْزَ البيت في المحاسن والأضداد ، والمحاسن والمساوىء لأحد ، ونسبت في الحماسة البصرية لحسان .

والرواية في الاستيعاب والإصابة :لحمزةذاكم الرجل . . وفي الاستيعاب : يخالطها نعيم لا يزول ، الواله العبرى الثكول . وورد البيت السادس عشر في القرطبي قبل البيت الخامس عشر .

ـ ١٠ ـ

البيت الأول في اللسان ، والتاج ، والصحاح مادة (كفف) منسوب لابن رواحة ، والبيت الثاني في معجم مقاييس اللغة ، والمجمل مادة (حبش) منسوب إليه كذلك .

ولكن البيتين معاً من قصيدة طويلة تنسب لكعب بن مالك ، وأولها :

ألا هـل أتى غسـانَ عنـا ودونَهُمْ   منَ الأرضِ خَـرْقٌ سيْـرُهُ مُتَنَعْنِـعُ

وهي في السيرة : ١٣٢/٢ ، والبداية والنهاية : ٤ / ٥٤ ، والاكتفاء في مغازي الرسول : ١٢٣/٢ ، وفي الروض الأنف : ٦ / ١٠١ ، وسمط النجوم

العوالي : ٢/ ٩٣ ، وديوان كعب المجموع : ٢٢٢ .

والرواية في هذه المصادر :

فسرنا إليهم جهرة في رحالهم ضُحَيًّا علينا البيضُ لا نَتَخَشَّعُ

وضحيّاً : تصغير ضحى . ورواية الثاني :

فجئنا إلى موج من البحر وسطه . . .

- ١١ -

- البيتان في السيرة : ٣/ ١٩٨ ، ومغازي الواقدي : ٢٧٥ ، والاستيعاب : ٣/ ٥١٢ ، والروض الأنف : ٦ / ١٨٢ ، وقد نسبت في هذه المصادر جميعها إلى عبدالله بن رواحة . ولكن البيتين في ديوان حسان : ١٧٢ ، ومعهما في طبعة ليدن : ٣١ ، بيت آخر هو :

كنت قبل اللقاء منه بجهل فقد أمسيت قد أصاب فؤادي

ورواية الأول في ديوان حسان : رحمة المشتهي . . . ، والثاني في الديوان والاستيعاب : صابراً صادق الحديث . . ، وفي المغازي : صارم صادق اللقاء . . ،

- ١٢ -

الأبيات في السيرة : ٣ / ٢١٢ ، والروض الأنف : ٦ / ٢٢١ . وقد نسبت لكعب بن مالك ، أو لعبدالله بن رواحة . وهي في ديوان كعب المجموع : ١٧٦ .

- ١٣ -

- الأبيات في السيرة : ٣/ ٢٢١ ، وفي الاكتفاء في مغازي الرسول : ٢/ ١٥٦ ، والروض الأنف : ٦/ ٢٢٩ ، والبداية والنهاية : ٤/ ٨٨ ، وفي ديوان حسان : ٣٩٧ السادس فقط ، وكذا في المزهر : ١/ ٥٨٢ ، وجمهرة اللغة : ١٧٨ ، وشرح شواهد المغني : ٦٤١ وقد نسبها ابن إسحاق لابن رواحة ، ولكن ابن هشام قال : أنشدنيها أبو زيد الأنصاري لكعب بن مالك ، وهي في ديوانه

المجموع : ٢٩١ ، ونسب البيت الأخير لحسان كما في ديوانه ، والجمهرة ، والمزهر ، وشرح الشواهد . . ورواية الأخير في الديوان والمزهر :

أتـانـا فلم نعـدل سـواه بغيـره   نبيٌّ أتى في ظلمة الليـل هـاديـا

وفي شرح الشواهد :

أتـانا فلم نعـدل سواه بغيـره   نبي بدا في . . .

وفي الجمهرة :

أتـاهم فلم نعـدل سـواه بغيـره   نبيّ أتى من عند ذي العرش هاديا

- ١٤ -

- في السيرة : ٣/ ٣٤٢ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، وكذا في طبقات ابن سعد : ٣/ ٥٢٧ ، وفي صحيح البخاري (بشرح الكرماني) ٢٢/ ٢٧ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، وفي المحاسن والمساوىء : ١٦٨ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، وفي الأوائل : ١ / ١٢١ البيتان : ١ ، ٢ ، وفي تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩١ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، وفي تفسير القرطبي : ١٤ / ١٣٠ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٨ ، ٩ وفي سير أعلام النبلاء : ١/ ١٧٠ البيتان الأولان ، وفي البداية والنهاية : ٤ / ١٨٧ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، وفي الروض الأنف : ٦ / ٥٠٠ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، وكذا في سيرة دحلان : ٢/ ٣ ، وفي شرح شواهد المغني : ٢٨٧ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، وفي سمط النجوم العوالي : ٢/ ١٢٨ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٩ ، وفي : ٢/ ١٥٦ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، وفي إمتاع الأسماع : ١/ ٢٢٢ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٨ ، ٩ .

وقد نسبت الأبيات لابن رواحة في كلّ من الطبقات ، والتهذيب ، والقرطبي وسير أعلام النبلاء ، وفي سيرة دحلان ، وشرح شواهد المغني ، وفي السمط في رواية للبخاري من حديث البراء .

ونسبت لعامر بن الأكوع ـ وهو عم سلمة بن عمرو بن الأكوع ـ في السيرة ، والبخاري ، والبداية والنهاية ، والروض ، وفي السمط في رواية للبخاري من حديث سلمة بن الأكوع ، وفي هذه المصادر أن عامر بن الأكوع كان يرتجز برسول الله صلى الله عليه وسلم في أثناء مسيره إلى خيبر سنة سبع .

وانفرد أبو هلال العسكري بنسبتها لعلي بن الأكوع . ووردت بلا نسبة في المحاسن والمساوىء ، وإمتاع الأسماع .

ورواية البيت الأول في السيرة : والله لولا الله ، وفي الطبقات : يا رب لولا أنت ، وفي البداية والنهاية ، وسيرة دحلان : والله لولا أنت ، وفي البخاري ، والقرطبي ، والسمط ، وإمتاع الأسماع : اللهم لولا أنت،ولا يستقيم به الوزن ، وفي الأوائل : تالله لولا أنت . .

والثاني في شرح الشواهد : وما تصدقنا وما صلّينا

والثالث في السيرة : إنا إذا قوم بغوا،علينا ، وفي الطبقات : إن الكفار قد . . وفي التهذيب : إن الألى لقد بغوا علينا . وفي سيرة دحلان ، والسمط ، والإمتاع : إن الألى قد بغوا،وهو غير موزون . وفي المحاسن والمساوىء : والمشركون قد بغوا . . والرابع في السيرة ، والتهذيب ، والإمتاع : وإن أرادوا فتنة ، وفي الإمتاع رواية أخرى : إن الذين قد بغوا . . والسابع في السمط : فاغفر فداء لك ما أبقينا ، وشرحه السهيلي (٦ / ٥٤٧) بقوله : أي ، ما خلّفنا مما اكتسبنا ، أو : ما أبقينا من الذنوب ، فلم نحقق التوبة منه كما ينبغي .

والتاسع في السيرة ، والمحاسن والمساوىء ، والإمتاع ، وسيرة دحلان : فأنزلن سكينة . . وفي البخاري ، وسمط النجوم : وألقين سكينة . .

ـ ١٥ ـ

البيتان الأولان في السيرة : ٢/ ١٤٢ ، وطبقات ابن سعد : ٣/ ٢٥٢ ، وفتح الباري : بشرح البخاري : ٧ / ٣٠٣ ، وصحيح مسلم : ٣ / ١٤٣١ ، وفي صفة الصفوة : ١ / ٥١ ، والبداية والنهاية : ٣/ ١٨٧ ، ووفاء الوفا بأخبار دار المصطفى : ٢٥٣ ، وسيرة دحلان : ٢ / ٣ وانفرد صاحب سمط النجوم :

٢ / ١٢٨ بإيراد الأبيات الأربعة ، وقال عن البيتين الأخيرين : إنهما زيادة عند الحارث بن أبي اسامة من مرسل طاوس .

وقد نسب هذا الرجز لابن رواحة في البخاري ومسلم ووفاء الوفا ، وسيرة دحلان ، وسمط النجوم . ولم ينسب لأحد في بقية المصادر ، وفي البداية والنهاية : أن رسول الله تمثل بهذا الشعر عند بناء مسجد قباء ، ولكن الجميع على أن الرسول عليه السلام كان يتمثل به في الخندق .

وقد ذكر أن النبي ـ عليه السلام ـ كان ينشد :

اللهم لا عيش إلا عيش الآخـرة***فـاغفـر لـلأنصـار والمهـاجـرةْ

فينطق به على غيره وجهه ، لأنه يعسر عليه النطق بالشعر ، وإن كان من قول غيره (انظر دحلان) وقال الداودي : إنه قاله : لا هم ، فأورده بعض الرواة على المعنى ، وقيل : ليس كذلك ، بل دخله الخزم ، ومن صوره زيادة شيء من حروف المعاني في أول الجزء (انظر فتح الباري) .

وفي طبقات ابن سعد :

اللهم لا خير إلا خير الآخرةْ
فانصر الأنصار والمهاجـرةْ

وفي البداية والنهاية : لا هم إن الأجر أجر الآخرة

ـ ١٦ ـ

في مجاز القرآن : ١/ ٢٠ ، البيتان : ١ ، ٢ ، والثلاثة في فتح الباري بشرح البخاري : ٧ / ٣٠٤ ، وجمهرة اللغة : ٣ / ٢٠٢ ، والروض الأنف : ٦ / ٣١٠ ، وفي النهاية في غريب الحديث والأثر : ١ / ١٠٩ البيتان الأولان ، والثلاثة كذلك في البداية والنهاية : ٤/ ٩٧ ، واللسان ، والتاج ، والصحاح (بدي) وسيرة دحلان : ٢ / ٤ ، وسمط النجوم العوالي : ٢ / ١٢٩ ، وإمتاع الأسماع : ١/ ٢٢ .

وقد وردت هذه الأبيات بلا نسبة في كل من الروض ، والنهاية ، والبداية ، ودحلان ، وسمط النجوم ، وإمتاع الأسماع ، وجاء في سيرة دحلان أنه كلام من

بعض أصحاب الرسول يتمثل به ، أو من كلامه بناء على أن الرجز ليس بشعر ، أو أن شرطه أن يكون مقصوداً كونه موزوناً ، أما إذا حرج موزوناً بلا قصد ، فلا يسمى شعراً . ونسبت الأبيات لابن رواحة في بقية المصادر .

والأول في الروض ، وإمتاع الأسماع : باسم الله وبه بدينا . وفي البداية والنهاية : باسم الله وبه هدينا .

والثالث في الروض والإمتاع : حبذا رباً وحبذا دينا ، وفي البداية : يا حبذا رباً وحب دينا، وفي اللسان والتاج والصحاح ٠ وحبذا ربا وحب دينا . والرواية التي أثبتناها أقوم الروايات بالوزن .

- ١٧ -

الأبيات في السيرة : ٣ / ٣٢١ ، والروض الأنف : ٦ / ٤٢٠ ، والبداية والنهاية : ٤ / ١٦٣ ، وسمط النجوم : ٢ / ١٢٦ ، وفي التنبيه والأشراف : ٢١٥ البيتان الأولان فقط ، وهي كذلك في الاكتفاء في مغازي الرسول : ٢ / ٢٣٢ .

وقد وردت الأبيات في جميع المصادر السابقة بلا نسبة ، إلا صاحب التنبيه فقد عزاها لابن رواحة ، أو كعب بن مالك ، وهي غير موجودة في ديوان كعب المجموع .

والرواية في التنبيه : العرش الكريم فأبرحوا ، وهو من البرح ، أي : المشقة والشدة . وفي الاكتفاء : الذي كان أهله .

- ١٨ -

في السيرة : ٤ / ١٣ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، وفي وقعة صفين : ٣٨٦ / ٣٨٧ ، الأبيات : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، وفي مغازي الواقدي : ٧٣٦ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، وفي طبقات ابن سعد : ٣ / ٥٢٦ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، وفي طبقات فحول الشعراء: ٢٢٣ ، الأبيات : ١ ، ٢ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ . وفي تاريخ الطبري : ٣ / ٢٤ ، الأبيات : ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ . وفي

معجم الشعراء : ١٢٧ ، الأبيات : ١ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، وفي الاستيعاب (على هامش الإصابة) ٢ / ٤٧٩ ، الأبيات : ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، وفي أساس البلاغة (أول) ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، وفي تهذيب ابن عساكر: ٧ / ٣٩١ ، الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، وفي الروض الأنف : ٧ / ٨ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، وفي الكامل لابن الأثير : ٢ / ١٥٤ الأبيات ١ ، ٢ ، ٦ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، وفي النهاية في غريب الحديث والأثر : ٤ / ١٣٤ الأبيات : ٨ ، ١٠ ، وفي سيرة ابن سيد الناس : ٢ / ١٤٩ الأبيات : ١ ، ٣ ، ٥ ، وفي تفسير القرطبي : ١٣ / ١٥١ ، الأبيات : ١ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، وفي سير أعلام النبلاء : ١ /١٦٩، الأبيات : ١ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، وفي البداية والنهاية : ٤ / ٢٢٧ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ وفي الإصابة : ٢ / ٣٠٧ الأبيات : ١ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، وفي شرح المواهب اللدنية : ٢ / ٣٠٦ الأبيات : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، وفي شرح نهج البلاغة : ٢ / ٨٢٣ الأبيات : ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، وفي شرح شواهد المغني : ٢٩٠ ، الأبيات : ١ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ ، وفي سمط النجوم العوالي : ٢ / ١٦٧ الأبيات : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨ ، ١٠ ، ١١ .

وقد نسبت الأبيات في جميع المصادر السابقة لبعدالله بن رواحة ، ولكن ابن هشام قال : « إنها لعمار بن ياسر في غير هذا اليوم - يقصد يوم صفين - والدليل على ذلك أن ابن رواحة إنما أراد المشركين ، والمشركون لم يُقِرُّوا بالتنزيل، وإنما يُقتل على التأويل من أقر بالتنزيل » . ولكن جاء في شرح المواهب في الرد على ابن هشام : « لا مانع من إطلاق ذلك ، فإن التقدير : نحن ضربناكم على تأويله ، أي : حتى تذعنوا إلى ذلك التأويل ، ويجوز أن التقدير : نحن ضربناكم على تأويل ما فهمنا منه حتى تدخلوا فيما دخلنا فيه ، وإذا كان ذلك محتملاً ، وثبتت الرواية سقط الاعتراض » .

كما نسبت لعمار بن ياسر في وقعة صفين ، والاستيعاب ، وذكر صاحب السيرة الحلبية : ٧٥ ، القولين معاً ، ثم قال : لا يمنع أن يكون ذلك من كلام ابن رواحة وتمثل به عمار يوم صفين .

الأول في معجم الشعراء : خلوا بني الله . . والثاني في ابن سعد : خلوا فإن الخير . . . وفي ابن عساكر : خلوا فكل الخير مع رسوله .

والثامن في السيرة ، والطبري ، ومعجم الشعراء ، والروض ، والكامل لابن الأثير ، وشرح المواهب : نحن قتلناكم على تأويله . وفي الاستيعاب ، وابن عساكر ، وأساس البلاغة : نحن ضربناكم على تنزيله . وفي القرطبي ، وسير أعلام النبلاء : اليوم نضربكم على تنزيله . وفي البداية والنهاية ، والإصابة ، وشرح شواهد المغني : اليوم نضربكم على تأويله ، وفي الاستيعاب والسيرة الحلبية ، وإحدى روايات البداية والنهاية : فاليوم نضربكم على تأويله ، وفي هذه الرواية ضرورة تسكين الفعل (نضربْكم) حتى يستقيم الوزن ، كقول امرىء القيس : فاليوم أشربْ غير مستحقب . . . والتاسع ، في السيرة ، والطبري ، ومعجم الشعراء ، والروض ، والكامل ، وشرح المواهب : كما قتلناكم على تنزيله . وفي أساس البلاغة : كما ضربناكم على تأويله .

والحادي عشر ، في معجم الشعراء : ويُذْهب الخليل عن خليله .

- ١٩ -

الأبيات الثلاثة في البداية والنهاية : ٤ / ٢٢٩ ، والثالث في الطبري : ٣ / ٢٤ . وروايته :

إني شهيد أنه رسوله

وقد وردت هذه الأبيات في المصدرين مختلطة برجز المقطوعة السابقة (١٨) .

- ٢٠ -

الأبيات في السيرة : ٤ / ١٥ ، وفي مغازي الواقدي : ٧٥٧ ، البيت الأول ، والثلاثة في الطبري : ٣ / ٣٧ ، وحلية الأولياء : ١ / ١١٩ ، والاستيعاب : ٣/ ٨٩٨ ، والروض الأنف : ٧ / ١١ ، وصفة الصفوة : ١ / ١٩٢ ، والاكتفاء في مغازي الرسول : ٢ / ٢٧٥ ، والكامل لابن الأثير : ٢ / ١٥٨ ، وأسد الغابة :

٣ / ١٥٨ ، وسيرة ابن سيد الناس : ٢ / ١٥٣ ، والبداية والنهاية : ٤ / ٢٤٢ ، وسيرة دحلان : ٢ / ٢٧٠ .

ورواية الأول في الكامل: وضربة ذات فرع ، أي سعة ، وكذا في البداية والنهاية ، وفي أسد الغابة : ذات فرع يقذف الزبدا . . ورواية الثالث في الطبري : حتى يقولوا . . . أرشدك الله . . . ، وكذا في حلية الأولياء ، وفي الاستيعاب :

حتى يقولوا إذا مـروا على جدثي   يـا أرشد الله من فـاز وقد رشـدا

وفي صفة الصفوة :

حتى يقولوا . . . .   أرشدك ربك من غـازٍ وقد رشـدا

ولا يقوم بها الوزن .

وفي الاكتفاء : ما أرشد الله من غازٍ . . . ، وفي الكامل :

حتى يقولوا . . يا أرشد الله ، وكذا في أسد الغابة ، وفي سيرة دحلان : حتى يقال . . يا أرشد الله . . .

- ٢١ -

البيت في السيرة : ٤ / ١٦ ، وتاريخ الطبري : ٣ / ٣٧ ، والروض الأنف : ٧ / ١٢ ، والاكتفاء في مغازي الرسول : ٢ /٢٧٦ ، والكامل لابن الأثير : ٢ / ١٥٩ ، والبداية والنهاية : ٤ / ٢٤٢ .

- ٢٢ -

الأبيات في السيرة : ٤ / ١٧ ، وتاريخ الطبري : ٣ / ٣٨ ، وفي معجم ما استعجم : ١١٧٣ ، الأبيات : ١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، وفي تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩٤ ، جميع الأبيات ما عدا الأخير ، وهي في الروض : ٧ / ١٢ ، والاكتفاء : ٢ / ٢٧٧ ، والبداية والنهاية : ٤ / ٢٤٣ ، وفي شرح شواهد المغني : ٩٣٢ الأبيات السبعة الأولى ، وكذا في معجم البلدان (معان) وفي اللسان (عون) البيت الثالث ، وفي اللسان والتاج (أوب) البيت الخامس . والأول في

الطبري ، وابن عساكر : من آجام قُرح ، وفي شرح شواهد المغني :

حملنا الخيل من آجام قــرح يُعَدُّ من الحشيشِ لها العكوم

وذكر السهيلي (٧ / ٣٢) رواية أخرى وهي :

تقر من الحشيش لها العكوم

أي يجمع بعضها إلى بعض . وفي معجم ما استعجم : أجأ وقرح . والقرح : سوق وادي القرى . والثاني ، في البداية والنهاية ، وشرح الشواهد : حدوناها (بالدال)

والثالث في الشواهد : بعد فترتها حموم (بالحاء)

والرابع في ابن عساكر والشواهد : فرحنا بالجياد مسومات . . ، وفي البداية والنهاية : في مناخرها سموم .

والخامس في ابن عساكر والشواهد : فلا وأبي لنأتيها جُمَيعاً . .

والسادس في شرح الشواهد :

وفقَّأ اللهُ أعينهم فجاءت عوابس والغبار لها يزيم

ولا يستقيم بها الوزن ، وأحسبها (وفقا)

والسابع في شرح الشواهد : برزت فوارسها النجوم

والثامن في الطبري ، والاكتفاء ، والبداية والنهاية : طلقتها أسنتنا . .

ـ ٢٣ ـ

الأبيات في السيرة : ٤ / ١٨ ، وفي مغازي الواقدي : ٧٥٩ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، وفي الكامل للمبرد : ١ / ١٢٩ البيتان : ١ ، ٢ ، وهي في الطبري : ٣ / ٣٨ ، وفي الجمهرة : ١ / ٣١٤ ، ٢ / ٣٠٣ ، ٣/ ٢٠٤ ، البيت الخامس ، وفي أضداد أبي الطيب : ١ / ٧١ البيت الأول ، وفي الأضداد لابن الأنباري : ٢٢٦ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، وفي الأشباه والنظائر : ١ / ٢٢٢ ، والموشح : ٩٤ ، وسمط اللآلي : ٢١٩ ، البيتان : ١ ، ٢ ، وهي في حلية الأولياء : ١ / ١١٩ ، وفي مجمع الأمثال : ٢ / ٨١ البيت الثاني ، وفي تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩٣ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، ٥ ، وهي في الروض الأنف :

١٣/٧ ، والاكتفاء في مغازي الرسول : ٢ / ٢٧٦ ، والكامل لابن الأثير ٢ / ١٥٩ ، وأسد الغابة : ١٥٧/٣ ، والبداية والنهاية : ٢٤٣/٤ ، وفي الإصابة : ١ / ٣٠٧ ، وخزانة الأدب : ٢ / ٣٠٣ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٣ ، والأبيات الخمسة في سيرة ابن سيد الناس : ٢ / ١٥٤ ، وفي معجم البلدان ، واللسان ، والتاج (حسي) البيت الأول ، وفي مقاييس اللغة : ١ / ٥٢ ، واللسان ، والتاج (بعل) البيت الخامس. ورواية الأول في الأشباه والنظائر : مسافة أربع ، وفي الموشح ، ومعجم البلدان ، واللسان ، والتاج : إذا بلغتني ، وفي حلية الأولياء ، والتهذيب ، والاكتفاء ، وأسد الغابة ، والبداية والنهاية ، والإصابة : إذا أدنيتني . .

والثاني في الكامل للمبرد ، والحلية ، والتهذيب ، والاكتفاء ، وأسد الغابة ، والإصابة : فشأنك فانعمي . . وفي الأشباه : فدونك فانعمي . . وفي الموشح : فشأنك فانعمي . . . فلا أرجع . .

والثالث في الحلية ، والتهذيب : وآب المسلمون ، وفي التهذيب : مشتهر الثواء . وفي الكامل لابن الأثير ، وأسد الغابة : مشهور الثواء . وفي الروض ، والبداية والنهاية : مستنهيْ الثواء ، وهو مستفعل من النهاية والانتهاء ، أي حيث انتهى مثواه . وفي الإصابة :

وجاء المسلمون وخلفوني بأرض الشام مشهور الثواء

والرابع في الاكتفاء : وردك كل ذي رحم . .

والخامس في جمهرة اللغة :

هنالك لا أبالي نخل سقي ولا بعل وإن عظم الأَتَاءُ

وفي مقاييس اللغة :

هنالك لا أبالي سقي نخل . . .

والأتاء : البركة والنماء وحمل النخل ، وفي التهذيب : لا أبالي طلع نخل . . . ولا بعل . .

- ٢٤ -

البيتان الأول والثالث في السيرة : ٤ / ١٩ ، وسيبويه : ١ / ٣١٥ ، والكامل للمبرد : ٣ / ٢١٧ (ط. شحاتة ، وأبي الفضل إبراهيم) والطبري : ٣/ ٣٩ ، وتهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩٣ ، والروض الأنف : ٧ / ١٤ ، وأسد الغابة : ٣ / ١٥٨ ، والبداية والنهاية : ٤ / ٢٤٣ ، والمفصل : ٢/ ١٠ ، والتاج (عمل) ، وسيرة ابن سيد الناس : ٢/ ١٥٤ ، وخزانة الأدب : ٢ / ٣٠٤ ، وانفرد السيوطي في شرح الشواهد : ٨٥٥ ، بإيراد الأبيات الأربعة .

وقد نسبت الأبيات في جميع المصادر لابن رواحة ، وانفرد المبرد بنسبة البيتين لعمر بن لجأ ، ونسبهما صاحب المفصل لبعض ولد جرير ، ووردا بغير نسبة في التاج .

ورواية التاج : تطاول الليل عليك فانزل .

- ٢٥ -

في السيرة : ٤ / ٢١ الأبيات (١ - ٦) وفي طبقات ابن سعد : ٣ / ٥٢٩ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٤ ، وفي طبقات فحول الشعراء : ٢٢٦ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، وفي فتح الباري : ٧ / ٣٦٠ الأبيات : ١ ، ٢ ، ٤ ، وفي حماسة البحتري : ٦٢ ، الأبيات : ١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، وفي الطبري : ٣ / ٣٩ (١ - ٦) وفي المحاسن والمساوىء : ٢ / ١٦٨ (١ ، ٢ ، ٤) . وفي حلية الأولياء : ١ / ١٢٠ (١ - ٦) وفي الاستيعاب : ٣ / ٨٩٩ جميع الأبيات ، وفي تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩٠ (١ - ٦) وكذا في الروض : ٧/ ١٥ ، وصفة الصفوة : ١/ ١٩٣ ، والاكتفاء : ٢/ ٢٧٩ ، والكامل لابن الأثير : ٢/ ١٦٠ ، وأسد الغابة : ٣/ ١٥٩ ، وفي سير أعلام النبلاء : ١/ ١٦٨ (١ ، ٢ ، ٤ ، ٥) وفي البداية والنهاية : ٤ / ٢٤٤ (١ - ٦) وكذا في سيرة دحلان : ٢ / ٢٧٣ ، وفي ذخائر المواريث : ١ / ٢٩٣ (١ ، ٢ ، ٤) .

ورواية الأول في طبقات ابن سعد ، والاستيعاب ، والذخائر : أحلف بالله لتنزلنه ، وفي صفة الصفوة ، وأسد الغابة : أقسم بالله لتنزلنه . .

والثاني في السيرة ، والروض ، والاكتفاء ، والبداية والنهاية : لتنزلن أو لتكرهنه ، وفي فتح الباري ، وحماسة البحتري : كارهة أو لتطاوعنه ، وفي الطبري : طائعة أو فلتكرهنه ، وفي المحاسن والمساوىء ، والاستيعاب ، وأسد الغابة ، وسيرة دحلان ، والذخائر : طائعة أو لتكرهنه ، وفي الحلية : لتنزلنه أو لتكرهنه . . .

والثالث في الحلية : إذ جلب الناس . . . في صفة الصفوة ، وأسد الغابة : قد أجلب الناس . .

والرابع في الصفة ، والأسد : يا نفس مالك تكرهين الجنة ، ولا يقوم بها الوزن ، وفي الذخائر : يا نفس لا أراك تكرهين الجنة . .

والخامس في طبقات فحول الشعراء ، وابن عساكر : وطالما قد كنت مطمئنة . . وفي الحلية : لطالما قد كنت مظمئنة ، وفي الاستيعاب ، والصفة ، والأسد ، والسير : فطالما قد كنت مطمئنة ، وفي الاستيعاب رواية أخرى : وقبل ذا ما كنت مطمئنة . .

- ٢٦ -

في السيرة : ٤ / ٢١ (٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨) وفي : ١ / ٤٧٦ (١ ، ٢) وكذا في البيان والتبيين : ١ / ٣٠٦ ، والعقد : ٥ / ٨٢ ، وفي حماسة البحتري : ٦٢ (٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧) وفي الطبري : ٣/ ٤٠ (٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨) وكذا في الحلية : ١ / ١٢٠ ، والاستيعاب : ٣ / ٨٩٩ ، وفي العمدة : ١ / ١٨٥ (١ ، ٢) وفي تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩١ (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩) وفي الروض : ٧ / ١٦ (٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨) وفي الروض : ٦ / ٥٤٧ (١ ، ٢) وفي صفة الصفوة : ١ / ١٩٣ (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩) وفي الاكتفاء : ١/ ٤٣٧ (١ ، ٢) وفي : ٢ / ٢٨٠ (٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨) وكذا في الكامل لابن الأثير : ٢ / ١٦٠ ، وفي أسد الغابة : ٣ / ١٥٨ (٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨ ، ٩) وفي البداية والنهاية : ٤ / ٢٤٥ (٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨) وكذا في سيرة دحلان : ٢ / ٢٧٣ ، وفي الجمهرة : ٢/ ٣٠٣ (١ ، ٢) وفي شرح المواهب : ١ / ٤٠٥ (١ ، ٢ ، ٣ ، ٤ ، ٧ ، ٨) ورواية البيت الثالث في حماسة البحتري ، وابن

عساكر : يا نفس إن لم تقتلي . . . والرابع في الحماسة : هذي حياض ، وفي الصفة ،والأسد ،والمواهب : هذا حياض . . والسابع في الصفة : وما تمنيت فقد لقيت . وفي المواهب : وما تمنيه . . . وقد نسب البيتان (١ ، ٢) في السيرة للوليد بن المغيرة ،أنْشدهما حيث كان مهاجراً من مكة إلى المدينة ، فعثر وهو في الطريق ، فانقطعت إصبعه ، فربطها وأنشد هذا الرجز ، وكذا في الاكتفاء .

كما نسب هذان البيتان في البيان والتبيين ،والعمدة ، والروض ، والعقد للرسول صلى الله عليه وسلم ـ على أنهما حديث ، وقد علّق على ذلك ابن رشيق بقوله : إن قوماً رأوا أن مشطور الرجز ليس بشعر ، لقول النبي : هل أنت . . الخ ورد عليهم بقوله : « هذا ليس دليلاً ، وإنما الدليل هو عدم القصد ، والرسول لم يقصد قول الشعر » وذكر صاحب العقد أن الرسول عندما دخل الغار نكب ـ ولعله يعني جرجت إصبعه ـ فقاله ، وذكر صاحب المواهب هذه الأقوال جميعها ، ثم قال : « والذي يظهر أنه من إنشاء الصديق ، وأن كلا من المصطفى والوليد تمثل به . . . وضمنه ابن رواحة شعره المذكور . . . » والشعر منسوب لابن رواحة في سائر المصادر .

ـ ٢٧ ـ

ـ البيت في تفسير القرطبي : ٢٠ / ١٥٨ ، وسير أعلام النبلاء : ٢ / ٣٦٩ ، واللسان (كدي) وديوان حسان بن ثابت : ٧٣ . . ولم ينسب البيت لابن رواحة إلا القرطبي ، وهو منسوب في جميع المصادر لحسان ، من قصيدته المشهورة :

عفَتْ ذاتُ الأصـابع فـالجِـوَاءُ   إلـى عـذراءَ منـزلُـهـا خـلاءُ

التي يهجو فيها أبا سفيان بن الحارث قبل فتح مكة ، ورواية البيت في الديوان واللسان :

عـدمنـا خيلنـا إن لم تروها   تثيـر النقـع مـوعِـدُهـا كَـدَاءُ

ـ ٢٨ ـ

الأبيات في تفسير القرطبي : ٢٠ / ١٧٥ ، والبيت الأول في الروض

الأنف : ٤ / ٩٥ ، وشرح المواهب اللدنية : ١ / ٣٧٨ .

وقد ذكر محقق القرطبي رواية أخرى للبيت الثاني جاءت في نسخة من الأصل ، وهي : وخير نبي جاء . .

والثالث في إحدى النسخ : وكان قضاء الله أمراً . .

- ٢٩ -

- البيتان في تفسير القرطبي : ٧ / ٧٩ ، والفاخر في الأمثال : ١٩٣ ، وعيون الأخبار : ١/ ١٤٣ ، والوسيط في الأمثال : ١٢٢ ، وفصل المقال في شرح كتاب الأمثال : ٢٠٩ ، ٢٦٦ ، ومجمع الأمثال : ١ / ٦٣٣ ، ومعجم البلدان (سوى ، قراقر) .

ولم ينسبهما أحد لابن رواحة إلا القرطبي ، وفي الفاخر ، والوسيط ، وفصل المقال ، ومجمع الأمثال نسبا لخالد بن الوليد ، وذكر أن هذا الرجز قد قاله عندما بعثه أبو بكر من اليمامة إلى العراق ، وجاء قبلهما :

لله درُّ رافع أنى اهتدى فوّزمن قُراقر إلى سُوى
خمساً إذا صار بها الجيش بكى ما سارها من قبله إنسٌ يُرى

وذكر أبو عبيد في فصل المقال أن هذا الرجز ينسب كذلك للأغلب العجلي ، وقيل للجليح بن شريد التغلبي ، وفي عيون الأخبار أنهما لراجز من المسلمين .

- ٣٠ -

في السيرة : ٤ / ١٦ (١ ، ٢ ، ٣) وفي طبقات ابن سعد : ٣ / ٥٢٨ (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦) وفي طبقات فحول الشعراء : ٢٢٥ (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) وفي المحاسن والمساوىء : ٢ / ١٦٨ (٣) وفي معجم الشعراء : ١٢٦ (٢ ، ٣ ، ٤ ، ٦) وفي العمدة : ١ / ٢١٠ (٣ ، ٦ ، ٧ ، ٨) وفي الاستيعاب : ٣ / ٩٠٠ (١ ، ٢ ، ٣) وفي تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩٠ (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) وفي الروض الأنف : ٧ / ١١ (١ ، ٢ ، ٣) وكذا في الاكتفاء : ٢ / ٢٧٦ ، وأسد الغابة : ٣ / ١٥٧ ، وفي تفسير القرطبي : ١ /

٤٣ (١) وفي سير أعلام النبلاء : ١ / ١٦٨ (١ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ،) وفي البداية والنهاية : ٤ / ٢٤٢ (١ ، ٢ ، ٣) وفي الإصابة : ١ / ٣٠٧ (٣) وفي شرح شواهد المغني : ٢٨٩ (٣) وفي : ٢٩٣ (١ ، ٢ ، ٣) وكذا في حاشية الأمير : ٩٢ وشرح المواهب : ٢ / ٢٧٠ ، وسيرة دحلان : ٢ / ٢٧١ .

والأول في السيرة ، والروض ، والبداية :

إني تفرست فيك الخير نافلة   الله يعلم أني ثابت البصر

وفي رواية أخرى في السيرة ، والروض ، والاكتفاء ، ودحلان :

إني تفرست فيك الخير نافلة   فراسة خالفت فيك الذي نظروا

وفي طبقات ابن سعد ، وفحول الشعراء ، والسير : فراسة خالفتهم في الذي نظروا . . وفي ابن عساكر :

إني توسمت فيك الخير نافلة   والله يعلم أني ثابت البصر

وفي تفسير القرطبي :

إني تفرست فيك الخير أعرفه   والله يعلم أني ثابت البصر

وفي شرح شواهد المغني : والله يعلم ما إن خانني البصر .
والثاني في السيرة ، والبداية ، والروض :

أنت الرسول فمن يحرم نوافله   والوجه منه . . . . . .

وفي معجم الشعراء :

أنت الرسول . . . . أزرى به البصر
وفي الاستيعاب : لقد أزرى به القدر
وفي الاكتفاء : أنت الرسول فمن يحرم نوائله . .
والثالث في السيرة (إحدى الروايتين) ومعجم الشعراء ، والروض ، والاكتفاء : . . ما آتاك من حسن في المرسلين . .
وفي المحاسن والمساوىء : ونصراً كالذي نصرا . .
وفي شرح الشواهد : كالمرسلين ونصرا . .

والرابع في طبقات ابن سعد ، وفحول الشعراء ، ومعجم الشعراء ، والسير : يا هاشم الخير . .

والخامس في السير : في حل أمرك . .

والسادس في ابن سعد : خبروني ، ولا يقوم بها الوزن ، وفي معجم الشعراء : أم دانت لكم . .

والثامن في طبقات الفحول : بأنا ليس غالبنا . .

- ٣١ -

البيت الأول في البيان والتبيين : ١ / ٣٠ ، وعيون الأخبار : ١ / ٢٢٤ ، والإصابة : ٢ / ٣٠٧ ، والثاني في العقد : ٥ / ٧٨ ، ويبدو أن هذين البيتين من أبيات المقطوعة السابقة ، وقد ورد هذان البيتان في المجموعة النبهانية في المدائح النبوية : ١/ ٦٤ ، مع آخرين قبلهما وهما :

روحي الفداءُ لمن أخلاقُه شهدت بـأنـه خيـرُ مولـودٍ من البشـر
عمَّتْ فضـائلُه كـلَّ البـلاد كمـا عمَّ البـريةَ ضـوء الشمس والقمـر

ولكني لم أجدهما في أيٍّ من المصادر التي بين يديّ

وقد ورد البيت في عيون الأخبار غير منسوب ، وروايته : كانت بداهته . .

- ٣٢ -

- البيت في التاج (بور) وقد جاء هناك : « أنشدنا الإمام ابن المسناوي رضي الله عنه لبعض الصحابة ، وإخاله عبدالله بن رواحة . . » والصواب أن البيت لعبد الله بن الزبعرى كما في السيرة : ٤/٦١ ، وطبقات فحول الشعراء : ٢٤٢ ، وديوان حسان : ١٠١ ، والاستيعاب : ٣ / ٩٠٢ ، وأسد الغابة : ٣ / ١٦٠ ، والإصابة : ١ / ٣٠٨ ، من أبيات عديدة يعتذر فيها للرسول صلى الله عليه وسلم وقد جاءه مسلماً .

-٣٣ -

- الأبيات في جمع الجواهر : ٣٨ ، وتهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩٢ ، وفي مسند الإمام أحمد : ٣ / ٤٥١ ، وأخبار الأذكياء : ٢٧ ، وأخبار الحمقى

والمغفلين : ١١١ ، وتفسير القرطبي : ٥/ ٢٠٩ ، وأخبار النساء : ٩٣ ، والبداية والنهاية : ٤ / ٢٥٨ ، وشرح شواهد المغني : ٢٩١ ، وحاشية الأمير : ٩١ ، الأبيات الثلاثة الأولى .

ورواية الأول في جمع الجواهر : كما انشق معروف .. وفي أخبار الأذكياء ، والقرطبي ، وشرح الشواهد :

أتـانـا رسـول الله يتلو كتـابـه كما لاح مشهور من الصبح ساطع

والثاني في القرطبي : أتى بالهدى .. وفي شـرح الشواهـد : أتانـا بالهدى ... والثالث في جمع الجواهر . إذا أثقلت .. وفي القرطبي : إذا استثقلت بالمشركين .. وفي شرح الشواهد : إذا اشتعلت بالكافرين ..

- ٣٤ -

الأبيات في الأصنام : ٤٤ ، والأغاني : ٤/ ١٥٢ ، وفي تهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩٣ (١ ، ٢) وفي مقاييس اللغة : ٢/ ١١٦ (١) وفي سير أعلام النبلاء : ١/ ١٧١ (١ ، ٢) وفي اللسان (فلل) : ١ ، ٣ ، وفي التاج (فلل) : ١ ، ٢ ، ٣ .. وقد نسبت الأبيات لكل من ابن رواحة وحسان بن ثابت ، فهي في مقاييس اللغة ، والتاج ، واللسان لعبدالله ، ونسبت في ابن عساكر ، وسير الأعلام لعبدالله ، ولكن ذُكر هناك أنهما يرويان كذلك لـ ن ، والأبيات الخمسة في ديوان حسان : ٣٠٥ ، وهي في الأصنام لحسان ، ولكن المحقق ذكر أنه ورد في هامش إحدى نسخ الأصل (نسخة الخزانة الزكية) تحقيق نصه أن الشعر لابن رواحة .

ورواية الأول في التاج : شهدت ـ ولم أكذب ـ بأن محمداً ... وفي مقاييس اللغة : شهدت ـ فلم أكذب ـ بأن ...

والثاني : في الأغاني ، والديوان : .. ويحيى كلاهما .. وفي سير الأعلام :

وأن أبـا يحيى ويحيى كـلاهمـا لـه عمـل من ربـه متقبـل

والثالث في الأصنام والديوان : وأن التي بالسُّدِّ ..

والخامس في الأغاني : يقوم بدين الله فيهم فيعدل . . ووردت الأبيات في الأغاني بترتيب مختلف . .

- ٣٥ -

- البيتان في العمدة : ٢/ ١٣٦ ، وتحرير التحبير : ١٠٨ ، والبيت الأول في البديع في نقد الشعر : ٣٠ .

وهما منسوبان لابن رواحة ، ولكن ابن رشيق نسبهما لكعب بن زهير ، وهما غير موجودين في ديوانه .

والأول في البديع : جلىٰ نوره الظلما .
والثاني في العمدة : أو أثناء ريطته .

- ٣٦ -

الأبيات في أمالي اليزيدي : ١٠٢ ، والإبدال لأبي الطيب اللغوي : ٢ / ٢٨٥ ، وجمع الجواهر : ٣٨ ، والاستيعاب : ٣/ ٩٠١ ، وتهذيب ابن عساكر : ٧ / ٣٩٢ ، وسير أعلام النبلاء : ١/ ١٧١ ، وشرح شواهد المغني : ٢٩٠ ، وحاشية الأمير : ٩١ .

ورواية الثاني في الاستيعاب : وأن العرش فوق الماء حقٌّ . .
والثالث في أمالي اليزيدي : وتحمله ثمانية شداد . . وفي الإبدال ، وجمع الجواهر : وتحمله ملائكة شداد . . وفي الاستيعاب :

وتحمله ملائكة غلاظ ملائكة الإله مسوَّمينا

- ٣٧ -

البيت في الكتاب لسيبويه : ١/٨٣ ، ١ / ١٥٤ ، والخصائص : ٢/ ٣٥٣ ، وخزانة الأدب : ٣/ ٦٦٦ .

وقد نسبه سيبويه مرة لصرمة الأنصاري ، ومرة لزهير بن أبي سلمى ، وجاء في الخزانة أنه يروى لابن رواحة الأنصاري ، وقال ابن خلف : والصحيح أنه لابن صرمة ، وورد في الخصائص بدون نسبة .

فهارس الكتاب

(أ) فهرس بشعر ابن رواحة

(ب) فهرس بالشعر لغيرابن رواحة

المطلع	القافية	إسم الشاعر	الصفحة
ـ فأُبنوا	إرمْ	حسان بن ثابت	١٤
ـ نؤدي	والنضير	حسان بن ثابت	١٦
ـ إن سميراً	أنفوا	مالك بن العجلان	٢٣
ـ يا مالِ	السرفا	عمرو بن امرىء القيس	٢٣
ـ أجدَّ	شأنها	قيس بن الخطيم	٢٤
ـ لعمرةَ	بها	قيس بن الخطيم	٢٤
ـ أبلغْ	واقع	كعب بن مالك	٢٨
ـ يا حبذا	شرابها	جعفر بن أبي طالب	٣٧
ـ تأوَّبني	مسهرْ	حسان بن ثابت	٤٠
ـ عين	جعفرُ	حسان بن ثابت	٤٠
ـ صرمت	جديدا	قيس بن الخطيم	٥٢ـ١١٧
ـ لما رأيت	حفلوا	عُبيد بن نافذ	٥٩
ـ ألَّم خيال	لأمر	قيس بن الخطيم	٦١ـ٦٢ـ١٢٢
ـ أتعرف	راكب	قيس بن الخطيم	٦٤
ـ إذا استنزلوا	المصاعب	النابغة الذبياني	٧١
ـ ردّ الخليط	السببا	قيس بن الخطيم	٧١ـ١٢٥
ـ أجالدهم	لاعبِ	قيس بن الخطيم	١٢١
ـ ألا أبلغ	غير شهرِ	قيس بن الخطيم	١٢٢

فهرس الأعلام (الأفراد والأمم والطوائف)

حرف الباء

حرف التاء

حرف الثاء

حرف الجيم

حرف الحاء

حرف الشين

حرف الصاد

حرف الصاد

حرف الطاء

حرف الظاء

حرف العين

حرف الغين

حرف الفاء

حرف القاف

حرف الكاف

حرف اللام

حرف الميم

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

(د) فهرس الأماكن والبلدان

(هـ) فهرس الوقائع والأيام والحروب

(و) ثبْت بالمصادر والمراجع

- الإبدال: لأبي الطيب اللغوي. تحقيق عزالدين التنوخي، مجمع اللغة العربية، بدمشق: ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦١م.
- أخبار الأذكياء: لأبي الفرج ابن الجوزي ــ تحقيق محمد مرسي الخولي. القاهرة: ١٩٧٠ م.
- أخبار الحمقى والمغفلين: لإبن الجوزي، بيروت، دار الآفاق الجديدة: ١٩٧٩ م.
- أخبار النساء: لإبن قيم الجوزية. تحقيق نزا رضا. مكتبة الحياة، بيروت,
- أساس البلاغة: للزمخشري، طبعة مصر.
- الاستيعاب في معرفة الأصحاب: لإبن عبد البر، تحقيق علي محمد البجاوي. نهضة مصر، القاهرة، مطبعة دار صادر، بيروت، التي بهامش الإصابة.
- أسد الغابة: لإبن الأثير، جمعية المعارف، بمصر.
- الأشباه والنظاير: للخالديين (أبي بكر محمد، وأبي عثمان سعيد) تحقيق السيد محمد يوسف. القاهرة: ١٩٥٨م.
- الإصابة في تمييز الصحابة: لإبن حجر العسقلاني. ط، دار صادر، بيروت.
- الأصنام: لإبن الكلبي، تحقيق أحمد زكي، دار الكتب المصرية: ١٩٢٤م.
- الأضداد: لإبن الأنباري، الكويت: ١٩٦٠ م.
- الأضداد: لأبي الطيب اللغوي، تحقيق عزة حسن، دمشق، مجمع اللغة العربية: ١٩٦٣ م.
- الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني. دار الكتب المصررية: ١٩٣٦ م.
- الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء: لسليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، مكتبة الخانجي بمصر: ١٣٨٧ هـ ــ ١٩٦٨ م.
- أمالي اليزيدي: لأبي عبدالله محمد بن العباس اليزيدي، حيدر آباد، الهند: ١٣٦٧هـ ــ ١٩٣٨ م.
- إمتاع الأسماع: للمقريزي، تصحيح أحمد محمد شاكر، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر: ١٩٤١ م.
- الأوائل: لأبي هلال العسكري، تحقيق: وليد قصاب، ومحمد المصري، دمشق، وزارة الثقافة: ١٩٧٥ م.

- البيان والتبيين: للجاحظ، تحقيق عبدالسلام هارون، القاهرة: ١٩٦١ م.
- البداية والنهاية: لابن كثير، بيروت: ١٩٦٦ م.
- البديع في نقد الشعر: لأسامة بن منقذ، تحقيق أحمد أحمد بدوي، وجامد عبدالمجيد. طبعة القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد.
- تاج العروس: محمد مرتضى الزبيدي.
- تاريخ الرسل والملوك: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف، بمصر: ١٩٦٣ م.
- تاريخ العرب: فيليب حتي، بيروت، دار الكشاف: ١٩٦٥ م.
- تاريخ اليهود في بلاد العرب: إسرائيل ولفنسون. القاهرة: ١٩٢٧ م.
- تحرير التحبير: ابن أبي ا لاصبع، تحقيق حفني محمد شرف. القاهرة: ١٣٨٣ هـ.
- تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن): لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي. دار الكتب المصرية: ١٣٦٩ هـ - ١٩٥٠ م.
- التنبيه والأشراف: علي بن الحسين المسعودي، تحقيق عبدالله إسماعيل الصاوي: ١٣٥٧ هـ - ١٩٣٨ (ولم يذكر مكان الطبع).
- تهذيب ابن عساكر: لإبن بدران الشيخ عبد القادر الدومي الدمشقي، الطبعة الأولى، المكتبة العربية بدمشق.
- الجزيرة العربية قبل الاسلام.
- جمع الجواهر: لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، تحقيق علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي، مصر: ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٣ م.
- جمهرة أشعار العرب: لأبي زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي. المطبعة التجارية بمصر: ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م. وطبعة دار صادر، بيروت: ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م.
- جمهرة اللغة: لإبن دريد (محمد بن الحسن الأزدي البصري) مطبعة المثنى ببغداد.
- حاشية الأمير على كتاب المغني: القاهرة، المكتبة التجارية الكبرى: ١٩٥٦ م.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: لأبي نعيم (أحمد بن عبدالله الأصبهاني) مكتبة الخانجي، ومطبعة السعادة، مصر: ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م.
- حماسة البحتري: تحقيق كمال مصطفى. مصر: ١٩٢٩ م.
- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب: لعبد القادر البغدادي. المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، الطبعة الأولى.
- الخصائص: ابن جني. تحقيق محمد علي النجار. دار الكتب المصرية: ١٩٥٥ م.
- دراسات في تاريخ العرب القديم: محمد بيومي مهران، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض: ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م.
- ديوان حسان بن ثابت، تحقيق سيد حنفي حسنين، وحسن كامل الصيرفي، الهيئة المصرية العامة، القاهرة: ١٩٧٤ م، وطبعة ليدن.
- ديوان عبدالله بن رواحة، جمع وتحقيق محمد حسن باجودة. مصر

- ديوان قيس بن الخطيم، تحقيق ناصر الدين الأسد، مكتبة العروبة، بمصر: ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦٢ م.
- ديوان كعب بن زهير، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة: ١٣٦٩ هـ ـ ١٩٥٠ م.
- ديوان كعب بن مالك، جمع وتحقيق سامي مكي العاني، مكتبة النهضة، بغداد.
- ذخائر المواريث في الدلالة على مواضع الحديث: لعبد الغني النابلسي، المطبعة الأزهرية، بمصر: ١٣٥٢ هـ.
- الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام: عبد الرحمن السهيلي، تحقيق عبد الرحمن الركيل، دار الكتب الحديثة بمصر.
- سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي: لعبد الملك بن حسين العصامي المكي، المطبعة السلفية، بمصر.
- سير أعلام النبلاء: لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، الجزء الأول بتحقيق صلاح الدين المنجد، ونشر معهد المخطوطات. والثاني بتحقيق ابراهيم الإبياري، طبعة ذخائر العرب بمصر.
- سيرة دحلان: أحمد زيني دحلان، المطبعة الذهبية بمصر: ١٢٨٥ هـ.
- السيرة النبوية: لإبن هشام، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ الشلبي، الطبعة الثالثة: ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١ م، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- سيرة ابن سيد الناس اليعمري (المعروفة بعيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير) القدسي، بمصر: ١٣٥٦ هـ.
- شرح شواهد المغني: لجلال الدين السيوطي، مطبعة دار الحياة، ببيروت.
- شرح المواهب اللدنية: للزرقاني (محمد بن عبد الباقي) المطبعة الأميرية، بمصر
- شرح نهج البلاغة: لإبن أبي الحديد، تحقيق نور الدين شرف الدين، ومحمد خليل الزين، الطبعة الثالثة، وطبعة دار الفكر ببيروت: ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٦ م.
- شذرات الذهب: لإبن العماد الحنبلي، مطبعة الصدق الخيرية بمصر: ١٣٥٠ هـ.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار، دار الكتاب العربي بمصر.
- صحيح البخاري بشرح الكرماني: مصر.
- صفة الصفوة: لإبن الجوزي، حيدرآباد، الهند، الطبعة الأولى: ١٣٥٥ هـ.
- طبقات فحول الشعراء: لإبن سلام، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود، بالرياض.
- الطبقات الكبرى: لإبن سعد، دار صادر، بيروت: ١٣٧٧ هـ ـ ١٩٥٧ م.
- العقد الفريد: لإبن عبد ربه الأندلسي، مطبعة لجنة الترجمة والتأليف والنشر؛ بمصر: ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦ م.
- العمدة: لابن رشيق، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة بمصر: ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٥ م.
- عيون الأخبار: لإبن قتيبة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣ م.
- الفاخر في الأمثال: للضبي،؛ تحقيق عبد العليم الطحاوي، عيسى البابي الحلبي، بمصر: ١٣٨٠ هـ.

ـ فتح الباري بشرح صحيح الإمام البخاري: للحافظ شهاب الدين بن حجر العسقلاني، المطبعة الخيرية، بمصر: ١٣٢٥ هـ.
ـ الفاخر في الأمثال: للضبي، تحقيق عبدالعليم الطحاوي، عيسى البابي الحلبي بمصر: ١٣٨٠ هـ.
ـ فتوح البلدان: للبلاذري، تحقيق رضوان محمد رضوان، المكتبة التجارية مصر.
ـ فصل المقال في شرح كتاب الأمثال: لأبي عبيد البكري، تحقيق عبدالمجيد عابدين، وإحسان عباس، مطبعة جامعة الخرطوم: ١٩٥٨ م.
ـ الكامل في التاريخ: لإبن الأثير، المطبعة الأميرية بمصر: ١٣٤٨ هـ.
ـ الكامل في اللغة والأدب: لأبي العباس المبرد، تحقيق زكي المبارك، مصر: ١٣٥٥هـ ـ ١٩٣٦ م. وطبعة شحاتة، وأبي الفضل إبراهيم.
ـ الكتاب: لسيبويه: المطبعة الأميرية، بمصر: ١٣١٦ هـ.
ـ لسان العرب: لابن منظور، دار الكتب المصرية.
ـ مجاز القرآن: لأبي عبيدة، تحقيق فؤاد سيزكين، مطبعة الخانجي، بمصر: ١٣٧٤ هـ ـ ١٩٥٤ م.
ـ مجمع الأمثال: للميداني، دار الحياة، بيروت: ١٩٦١ م.
ـ المجموعة النبهانية: لعبد الغني النابلسي، طبعة مصرية قديمة (بلا تاريخ).
ـ المحاسن والأضداد: للجاحظ، القاهرة، مطبعة السعادة: ١٣٢٤هـ.
ـ المحاسن والمساوىء: للبهقي، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم، مكتبة نهضة مصر.
ـ المحبر: لأبي جعفر محمد بن حبيب، تحقيق ايلزه ليختن شتيتر، المكتب التجاري بيروت.
ـ المزهر: للسيوطي، تحقيق محمد أحمد جاد المولى، وعلي البجاوي، وأبي الفضل ابراهيم. القاهرة.
ـ مسالك الممالك: لأبي إسحاق الاصطخري، تحقيق محمد جابر عبد العال، القاهرة، وزارة الثقافة: ١٣٨١ هـ ـ ١٩٦١ م.
ـ مسند أحمد: المطبعةالميمنية، القاهرة: ١٩١٣هـ.
ـ معجم البلدان: لياقوت الحموي، دار صادر بيروت.
ـ معجم الشعراء: للمزرباني مكتبة القدسي بمصر: ١٣٥٤ هـ.
ـ معجم ما استعجم: لأبي عبيد البكري، تحقي مصطفى السقا، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة: ١٣٦٤ هـ.
ـ مغازي الواقدي: محمد بن عمر الواقدي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة: ١٣٦٧ هـ ـ ١٩٤٨ م.
ـ المفصل: للزمخشري، القاهرة، مطبعة التقدم: ١٣٢٣ م.
ـ مقاييس اللغة: لأحمد بهفارس، تحقيق عبد السلام هارون، مصر: ١٣٦٦ هـ.
ـ المؤتلف والمختلف: للآمدي، القاهرة: ١٣٥٤هـ.
ـ الموشح: للمرزباني، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر: ١٩٦٥ م.
ـ ميزان الاعتدال: للذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، دار إحياء الكتب العربية: ١٩٦٣ م.

ـ النهاية في غريب الحديث والأثر: لابن الأثير، القاهرة، المطبعة الخيرية: ١٣٢٢ هـ.

ـ الوسيط في الأمثال: لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي، تحقيق عفيف عبدالرحمن، الكويت: ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥ م.

ـ وفا الوفا: بأخبار دار المصطفى: لنور الدين السهودي، تحقيق محمد محي الذين عبدالحميد، مصر: ١٣٧٤هـ.

ـ وقعة صفين: لنصر بن مزاحم، تحقيق عبدالسلام هارون، عيسى البابي الحلبي، القاهرة: ١٣٦٥هـ.

فهرس الموضوعات

القسم الثاني

ديوان عبدالله بن رواحة